

# خفة المرأة المسلمة

الشيخ الإمام راعية الإسلام  
محمد متولى الشعراوى

أعده وعلق عليه وقدم له  
عبد الرحيم محمد متولى الشعراوى



إمام الباب الأخضر - سيلنا الحسين

٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠

## جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
لمكتبة التوفيقية (القاهرة - مصر) ويحظر طبع أو  
تصوير أو ترجمة أو إعادة تنسيق الكتاب كإصدار أو  
مجزءاً أو تسجيله على شريطة كسيت أو إدخاله على  
الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات مدمجة إلا  
بموافقة الناشر خطياً .

Copyright ©

All Rights reserved

Exclusive rights by Al Tawfikia Bookshop  
(Cairo-Egypt) No part of this publication may be  
translated, reproduced, distributed in any form or  
by any means, or stored in a data base or retrieval  
system, without the prior written permission of the  
publisher.

## المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر

العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

تليفون: ٥٩٠.٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٦٨١٧٩٥٧

## Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt

Addr.: In Front of the Green Door Of El Hussein

Tel.: (٠٠٢٠٢) ٥٩٠.٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

Fax: ٦٨١٧٩٥٧

إشراف

توفيق شعلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين.

في الواقع أن الإنسان حين ينظر إلى موضوع من الموضوعات التي قد تختلف فيه العقول يجب أن يبحث في موضوع مشابه له اتفقت فيه العقول، وبذلك يرد الحكم في الأول المختلف فيه، على نظام الحكم في المتفق عليه.

وكلمة امرأة تعني أن لها مقابلاً وهو الرجل، امرأة تعني أنثى ورجل يعني ذكر لو نظرنا إليهما... وجدنا أن هناك جنساً يجمعهما وهو «إنسان».

وحيث أقول جنساً يجمعهما.. وهو إنسان أقصد أن الجنس هو ما يمكن أن ينشأ منه نوعان، والنوع ينشأ منه أفراد متساوون، فأنا أقول إنسان لأنه ينشأ منه نوعان وهما الذكر والأنثى، وبعد ذلك أن الذكر يأتي منه زيد وعمرو وعبيد، ولا اختلاف في تكوينهم الحقيقي.

إذا نظرنا إلى جنس نَحْدَه ينقسم إلى نوعين، فيجب أن نقول... أنه لم ينقسم إلى نوعين إلا لأداء مهمتين، وإلا لو كانت المهمة واحدة، لظل الجنس واحداً، ولم ينقسم إلى نوعين؟.. فانقسامه إلى نوعين دل على أن كل نوع له خصوصية في ذاته والجنس يجمعهما، ولهما معه خصوصية في ذاته. مثلاً الزمن جنس.. يشمل الليل والنهار - الليل والنهار كظاهرتين - قد يظن البعض أنهما متعارضتان أو متناقضتان، لأن هذا نور، وذلك ظلام، نقول، لا... النور لم يأت ليعارض الظلام، والظلام لم يأت ليعارض النور، ولذلك لا يصح أن نقارن، بين نور وبين ظلام، لأن لكل واحد منهما مهمة يؤديها لا يستطيع الآخر أن يؤديها فما دام الزمن قد انقسم إلى ليل ونهار، فنقول أن الزمن بجنسيته

له معنى، وهو أنه ظرف لحدوث الأشياء فيه، هذا هو المعنى المشترك، وبعد ذلك انقسم إلى نوعين، وهذان النوعان، غار وليل، فلا بد أن يكون للنهار مهمة وأن يكون لليل مهمة أخرى.

وحين يعرض الحق سبحانه وتعالى هذه القضية فإنه يعرضها عرضاً واضحاً معللاً فيقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧].

إذاً فقد جاء بعلّة وجود الليل، وهو السكن والهدوء والراحة والاستقرار، والنهار للكدح والعمل، إذاً فلا نستطيع أن نقول أن الدنيا كنهار دائم أو الزمن كنهار دائم ينفع، ولا الزمن كليل دائم ينفع فيعرضها القرآن أيضاً فيقول:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [قصص: ٧١، ٧٢]. إذا فالحق، من رحمته أنه جعل الزمن، الذي هو كجنس... ظرفاً لحدوث الأشياء فيه فينقسم إلى نوعين، كل نوع يؤدي مهمة فلو أردنا أن نشبه الليل بالنهار أو النهار بالليل، فنكون قد خرجنا بالنوعين عن المهمة الأصلية لهما.

الرجل والمرأة نوعان لجنس هو الإنسان فكأن، هناك أشياء تطلب من كل منهما كإنسان، وبعد ذلك أشياء تطلب من الرجل كرجل، ومن المرأة كامرأة، بحيث نستطيع أن نقول أنهما كتوعين من الجنس، لهما مهمات مشتركة كجنس، ومهمات مختلفة كتوعين، الحق سبحانه وتعالى حينما عرض قضية الليل وقضية النهار - وهذه قضية كونية لا يختلف فيها أحد، ولا يمكن لأحد أن

يعارض فيها، لأننا جميعاً نجعل الليل للسكن والراحة، والنهار للكدر- عرضها الحق سبحانه وتعالى ليقدمها إنساناً للقضية التي يمكن أن يختلف فيها، وهي قضية الرجل والمرأة، فقال: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَشَّيْ ۝ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾ فهذان نوعان من الزمن.

ثم أتى بالنوعين الآخرين اللذين يمكن أن يختلف فيهما فقال: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝﴾ [الليل: ٣٠، ٣١]...

فكان لليل مهمة وللنهار مهمة، وكأنه- تبعاً لذلك- للرجل مهمة والمرأة لها مهمة، أي للذكر مهمة وللأنثى مهمة ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝﴾ ثم يأتي بعد ذلك في هذه القضية العامة فيقول: ﴿وَلَا تَحْمِنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]...

لا يتمنى الرجل أن يكون امرأة ولا المرأة أن تكون رجلاً، ولذلك فإن الحديث يأتي صراحة فيقول ﷺ: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال» لماذا؟

لأنها خرجت عن النوعية المقصودة كذلك لكل أزواج الحياة. ومن هنا فالخلق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]...

ويقول: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦]...

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]...

إذن فَلِلْعَلَّةِ وجود الزوجية في الإنسان، وفي النبات، وفي الحيوان، وفيما عرفنا من بعض الجمادات التكاثر...

## المرأة قبل الإسلام

كيف كان حال المرأة قبل نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ الذي أرسله الله سراجاً منيراً هادياً إلى أقوم سبيل.

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في بلاد العرب وفي غيرها من بلاد العالم محرومة من حقوقها مَحْنِيًّا عليها دائماً، لا يحافظ أحد على كرامتها ولا يأبه بمشاعرها مما أثر على حياتها وأفقدتها شخصيتها، حتى وصل الحال في اليونان مثلاً أن المرأة كانت تدخل ضمن ممتلكات وليّ أمرها.

فهي قبل الزواج ملكٌ أبيها أو أخيها أو من يتولى أمرها.

وبعد الزواج تكون ملكاً لزوجها، فليس لها تصرف في نفسها، وهي لا تنلك ذلك قبل الزواج، ولا بعده.

إنما تُباع لمن يدفع ثمنها، والذي يقبض الثمن هو ولي الأمر.

أما في القانون الروماني فقد كانت المرأة تُعامل مثل الأطفال أو المجانين فليس لها أهلية ولا شخصية، وكان رب الأسرة من حقه أن يبيع من يشاء من نساء أسرته أو ممن هُنَّ تحت ولايته، وتظل المرأة خاضعة لسلطة ولي أمرها من المهدي إلى اللحد، ولولي أمرها كذلك أن يبيعها أو ينفيها أو يعذبها.. أو حتى يقتلها.

وتعتبر المرأة عند اليهود في منزلة الخادم، وتحرم من الميراث إذا كان للميت ذكور.

بل إن قوانين الأحوال الشخصية عندهم تنص على أنه إذا توفي الزوج ولم



يكن له ابن ذكر فإن أرملته تصير زوجة لشقيق زوجها، أو لأخيه من أبيه، ولا تحل لغيره إلا إذا تراء منها ورفض أن يتزوجها.

وليس للنساء قيمة في القانون الصيني، ويجب أن تُسند إليهن هناك أحقر الأعمال.

وفي القوانين الهندية ليس من حق المرأة أن تريد أو ترغب، فهي تابعة في طفولتها لوالدها، وفي شبابها تابعة لزوجها، فإذا مات زوجها تصير تابعة لأولادها.

وفي إنجلترا كان الرجال يبيعون زوجاتهم، فيما بين القرنين الخامس والحادي عشر الميلاديين.

ولقد وضعت محاكم الكنيسة قانوناً يعطي الزوج الحق في أن يعطي زوجته لرجل آخر لفترة محددة بأجر أو بدون أجر، وظل هذا القانون مطبقاً مدة طويلة قبل أن يُلغى.

وفي عام ١٩٣٣م باع رجل إنجليزي زوجته مقابل مبلغ خمسمائة جنيه إسترليني، وأُلغى القضاء هذا البيع.

ولم يكن للمرأة في أوروبا كلها حتى فترة قريبة حق الحضور أمام القضاء، أو حق إبرام العقود ولا تملك البيع أو الهبة بدون مشاركة زوجها في العقد بموافقة مكتوبة.

وقد كان الزوج فيما قبل ١٩٤٢م هو المتصرف في أموال زوجته. وهذه كلها مجرد أمثلة توضح مدى ما كانت تعانيه قبل الإسلام.

فإذا كانت المرأة في أمريكا وأوروبا قد حصلت أخيراً على حقوق مساواة،

فإن الإسلام هو أول من أعطى المرأة حقوقها، وأعاد إليها كرامتها، وأعطاهما الحرية في أن ترفض أو تختار الرجل الذي ستتزوج، فلا يتم زواج الفتاة دون استئذانها وموافقتها وبشهادة شاهدين إن المرأة المسلمة لها شخصيتها القانونية المستقلة مثلها تمامًا مثل الرجل لقد وضع الإسلام أسس هذه المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات بضوابط دقيقة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا فيكفي المرأة المسلمة فخرًا أن تُنسب إلى الإسلام.



## المرأة بعد الإسلام

إن الإسلام حين جاء إلى العالم رفع من مكانة المرأة وأعطاهها حريتها وكرامتها وشخصيتها المستقلة، وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات.

يقول الحق سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [المحرات: ١٣].

لقد كفل الإسلام للمرأة حرية الاختيار في العقيدة والزواج وسائر أمور الحياة، وكفل لها الحق في التملك والشراء والبيع والهبة، وجعل لها نصيباً معلوماً في الميراث.

وحافظ على كل حقوقها وقدرها أمّا وأختاً وزوجة وابنة، وجعل لها مكانة عظيمة.

فالمرأة المسلمة تشارك زوجها في الحياة وتعينه وتشير عليه وتربي أولادها التربية الإسلامية الصحيحة.

وبقضاء الإسلام على الرقّ كفل لها الكرامة والحق في أن يكون لها زوج وأسرة، وأعطاهها الإسلام كذلك حق طلب الطلاق عند الضرر ﴿فَامْسَاكُ﴾ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ ﴿[البقرة: ١٢٩] وقول رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

وحافظ الإسلام على حياة المرأة بمحاربته ظاهرة وأد البنات وهي دفنها وهي حية من كراهته لها أو غيرته عليها وهذه كانت منتشرة في الجاهلية.

وكان في ذلك أعظم درس للناس يعلمهم أن لا فرق بين ذكر وأنثى وأن

التفاضل بينهما لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة أن الحق سبحانه يوصي بالوالدين ثم لا يذكر إلا الأم..

مثلاً في سورة يقول الحق سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشُدَّهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اأُزْغِنِي أَنْ اأَشْكُرَ بِعَمَلِكَ اأَلَّتِي اأَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَاأَلَدَىٰ وَلَنْ اأَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُثِبتُ اأِلَهَكَ وَلِإِنِّي مِنَ اأَلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وفي سورة لقمان يقول الحق سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا وَعَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ اأَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدِكَ اأَلَى اأَلْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

يُجد أن الله سبحانه وتعالى أوصى بالوالدين، ثم ذكر الأم وحدها دون الأب.

يأتي هنا بعض المستشرقين ويسألون: كيف أن الله سبحانه وتعالى لم يوصى إلا بالأم ثم ذكر في أول الآية الأم والأب، وفي آخر الآية الأم والأب دون أن يوصى بالأب ثم من يوصي الله سبحانه في هذه الآية؟

هل هو يوصي الطفل وهو رضيع في حالة الحمل والولادة، وهل يفقه هذا الطفل شيئاً؟

وهل يقرأ القرآن أو يعقل؟ هل يذكر الطفل شيئاً عن هذه المرحلة؟

إذن من يخاطب القرآن هنا؟

إذا كان يخاطب الطفل وهو رضيع فهو يخاطب إنساناً لا بعقل، وإذا كان يخاطبه بعد أن كبر فهو يخاطب إنساناً عن فترة لا يتذكرها ولا يعرفها؟

نقول له: إن الحق سبحانه وتعالى في توصيته بالأم قد احتصنها، لأنها تقوم بالجزء غير المنظور في حياة الابن، وفي الحمل والولادة، وحتى يبلغ ويعقل.

الأم هي التي تقدم كل شيء، هي التي تسيّر ترضعه، وهي التي تعمل، وهي التي تلد، فإذا كبر الطفل وعقل فمن الذي يمد أمامه؟

إنه الأب إذا أراد شيئاً فإن أباه هو الذي يحققه له، وإذا أراد أن يشتري شيئاً لعبة جديدة أو ملابس جديدة، وإذا أراد مالاً كل هذا يقوم به الأب.

إذن فضل الأب ظاهر أمامه، أما فضل الأم فهو مستتر بالنسبة للطفل ولذلك جاءت التوصية بالأم أكثر من الأب.. لماذا؟

لأن الطفل حينما يحقق له أبوه رغباته يحس بفضل أبيه عليه، لكنه نادراً ما يقدر التعب الذي تعبته أمه في حمله وولادته وإرضاعه والسهر عليه وهو يزيد أضعاف أضعاف ما يقدمه أبوه.

ومن هنا جاءت التوصية بالأم، حتى أن رسول الله ﷺ قال: أملك ثلاث مرات ثم قال أبوك ولكن ما هو الهدف من هذا التذكير إذا كان الإنسان لا يعقل هذه الفترة من حياته لا يتذكرها مطلقاً؟

إن الهدف هو أن يرى ذلك على غيره ينظر إلى الأمهات ليرى كيف يتعبن وكيف يعانين ويقاسين وكيف يسهرن على أطفالهن وماذا يتحملن من مشقة وعندما يراه على غيره يدرك أن هذا قد حدث ويحس به ولذلك يرث الجميل.

فإنه سبحانه وتعالى يريد أن يذكرنا بتعب الأم، ويريد أن يوصينا بالاثنتين

معاً الأب والأم ولكنه يوصينا بالأم ويخصّها بالذكر أكثر لأنّ تعبها غير واضح في عقل الابن بينما ما يفعله الأب واضح وظاهر أمام الطفل.  
هكذا نرى تكريم الإسلام للأم وتقدير دورها في الحياة حتى أنّ رسول الله ﷺ يقول:

«الجنة تحت أقدام الأمهات»<sup>(١)</sup>.



(١) لم يصح بلغظه وصححه عماد.

## فقه وحكم تعلم النساء

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»<sup>(١)</sup>.

إذن: نحن فرضنا التعليم على المرأة.. وحينما تزوج رسول الله ﷺ من حفصة بنت عمر وكان عمر قد جاءها بامرأة من بني عدي تعلمها القراءة والكتابة وبعدها تعلمت وتزوجها رسول الله ﷺ، طلب الرسول ﷺ أن يستمر بحبيء العذوبة إلى بيته، لتعلم حفصة باقية العلم..

فقال عمر: لقد تعلمت. فقال رسول الله ﷺ: «لتجوده وتحسنه، فلتتعلم المرأة، ولكن يجب أن تركز على التعليم النوعي.. التعليم النوعي الذي يناسب المهمة التي ستؤمل لها في الحياة»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح: بدون زيادة (مسلمة) أخرجه ابن ماجة (٣٢٤) بنحوه، والطبراني (٢٤٠/١٠) في «الكبير»، و (١٦/١) في «الصغير»، وله طرق كثيرة.

(٢) بعلمنا ديننا الحنيف أن تعلم العلم لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومدارسه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذلك لأهله قربة. فالعلم هو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، ومنار العقل في الدنيا، وبه يرفع الله أتواناً، ويتفرض آخرون. وبالعلم يُعبد الله تعالى، ويطاع، وبه يرحم ويحمى، وبه يتورع، وتتواصل الأرحام، ويُعرف الحلال من الحرام، ويُقدر معرفة المرء لأحكام دينه، والنفقة فيها يرتفع قدره عند رب العالمين. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا زَكَاةً ذُرِّيَّتًا﴾ [الحجرات: ١١]. وقال جل شأنه: ﴿قُلْ كُلٌّ يَرْجُو إِلَهِي فَأَلْزِمُوا الْوَعْدَ الَّذِي لَكُمْ وَتَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ١٨].

ويروي الصحابي الجليل أبو الدرداء -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن السماوات والأرض، والخوت تندعو له، وإن فضل العالم على العابد

وليس بعجيب بعد قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>.

فقوله: (يفقهه في الدين) أي يجعله على معرفة بأحكام دينه، وتعاليمه.

والفقه في اللغة: الفهم، ويكون ذلك بالتدبر في آيات الله تعالى، والتفكير في أحاديث النبي ﷺ، والنظر في آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأئمة الدين. فلنكن من خيار الناس في الإسلام بالفقه في الدين كما قال خاتم الأنبياء والمرسلين.

«تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>(٢)</sup>.



«كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر، العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه به، فقد أخذ بحظٍّ وافٍ» [حديث حسن لغيره: أخرجه أحمد (١٩٦/٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٤)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي (٩٨/١) في سننه، وابن حبان (١٥٢/١)، والبيهقي (١٢٩) في شرح السنة].

ومن كلام سلفنا الصالح يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «تدارس العلم ساعة من الليل خيرٌ من إحيائها، يعني صلاة». ويقول التابعي الجليل قتادة رحمه الله: «بابٌ من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصلاح من بعده، أفضل من عبادة حول». وقال الثوري رحمه الله: (ليس عملٌ بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، وما أعلم اليوم شيئاً أفضل من طلب العلم لمن أراد به وجه الله). وقال الحسن بن صالح: (إن الناس يحتاجون إلى هذا العلم في دينهم، كما يحتاجون إلى الطعام، والشراب في دنياهم).

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٧/١)، ومسلم (١٠٣٧)، وأحمد (٩٢/٤)، والترمذي (٢٦٤٥)، وابن ماجه (٢٢٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٨/٦)، ومسلم (٢٦٣٨).



## قراءة القرآن الكريم للحائض

إمرار آيات القرآن على ذهن المرأة الحائض مباح، أما قراءتها للقرآن بأي صورة فممنوع، وذلك لإيجاد قداسة للقرآن، فلا يجوز أن يقبل الإنسان على القرآن إلا وهو متطهر، ولقد أعفى الله الحائض من الصلاة والصوم، فهل تصلي وتصوم برغم إعفائها هذا؟

إن امتثال أوامر الله في ذلك عبادة، فكما أن قراءة القرآن في الطهر عبادة فكذلك عدم قراءته عند الحيض عبادة<sup>(١)</sup>.

وتجد أيضًا أن الإنسان حر في أن يصوم في أي يوم من السنة، ولكن فطره في يوم العيد واجب، لأنه عبادة، وكذلك تعجل الإفطار عند أذان المغرب والامتنال لذلك عبادة مثل صوم النهار تمامًا.



### (١) الحائض لا تقرأ القرآن الكريم:

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تقرأ الحائض القرآن [أخرجه ابن شعبة (١/١٢٦)، وعبد الرزاق (١٣٠٧)، والدارمي (٢٣٥/١)، والبيهقي (٨٩/١)].. ومن نسب إليه منع القراءة من الصحابة: علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومن التابعين: الشعبي، وأبو العالية، وسفيان الثوري، ومن علماء سلفنا الصالح: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه [المجموع (١٥٨/٢) للووي، شرح السنة (٢٣/٢) لليغوي، سنن الدارمي (٢٣٥/١)].

## مس المصحف في الحيض

يقترن الامتناع عن أداء العبادات من صلاة وصوم وقراءة قرآن وغيره مما يشترط لأدائه الطهر في حالات الولادة أو الإجهاض، يقترن ذلك بنزول الدم...

فستطيع المرأة إذا انقطع عنها الدم أربعين يومًا أن تتطهر وتمارس عبادتها بشكل طبيعي.

أما إذا نزل الدم أكثر من أربعين يومًا فعليها أن تتطهر بعد الأربعين، وتمارس عبادتها بعد ذلك، لأن هذا الدم ليس طبيعيًا فلا يفسد صلاتها ولا صومها.

أما عن طهوه الطعام وهي على غير طهارة فهذا لا شيء فيه، وتستطيع أن تؤدي كل واجباتها اليومية بلا أي حرج لأن الإنسان المؤمن لا ينحس أبدًا.

وأما الاستماع إلى القرآن فيمكنك ذلك ولكن الممنوع هو إمساك المصحف الشريف، أو قراءة القرآن<sup>(١)</sup>.

### (١) ذكر الله تعالى وشهود صلاة العيد:

فلا حرج على المرأة المسلمة في فترة حيضها من ذكر الله تعالى، والدعاء، والتسبيح، والتكبير، والتهليل والتحميد. تقول الصحابة أم عطية -رضي الله عنها-: كنا نؤمر أن نخرج الحيض فيكون بتكبيرهم، ويدعون ويعزلن المصلين. وفي رواية أخرى: قالت: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نخرج البكر من عدرها، وحتى نخرج الخيول فيكن علف الناس، فيكون بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٩٧١)، ومسلم (٨٩٠)، والترمذي (٥٣٩)، وأحمد (٨٤/٥)، والبيهقي (١١١٠) في شرح السنة].

فالخائض لا تحجر ذكر الله تعالى، ومواطن الخير، وبالحال العلم إلا أنها لا تقرأ القرآن، ولا تدخل المسجد، وسوف يأتي الكلام على ذلك. وفي هذا استحباب خروج النساء إلى مواطن الخير، وشهود الأعياد ما أمنت الفتنة.

= ولتتام الفائدة نذكر أهم ما يلزم المرأة المسلمة معرفته في هذا الباب.

### (١) ما يحل للرجل من امراته الخائض

يحل النوم مع المرأة الخائض، والأكل، والمخالطة، والمباشرة دون الجماع. تقول زينب بنت أبي سلمة إن أم سلمة قالت لي: حضت وأنا مع رسول الله ﷺ في الخميلة، فانسلت [ذهبت غفية] فخرجت منها، فأخذت ثياب حيزني فلبستها، فقال لي رسول الله ﷺ: «أَنْفَسْتَ؟» [فتح التو، وكسر الفاء: إذا حاضت، وبضم التو إذا ولدت فهي نفساء]. قلت: نعم، فدعاني، فأدخلني معه في الخميلة، قالت: وحدثني أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم، وكنت أغسل أنا والنبي ﷺ في إناء واحد من الخبابة [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٢٩٦)، والنسائي (١٥٠/١)، وابن ماجه (٦٣٧)].. وفيه: استحباب اغتاض المرأة ثياباً للحيض، غير ثيابها المعتادة، ويان أنه لا حرج في تقبيل الخائض.

وتقول لم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً، فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تنزل في فور حيضتها، ثم يباشرها. قالت: وأبيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه؟ [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٢)، ومسلم (٢٩٣)، وأبو داود (٢٧٠)، والترمذي (١٣٢)، والنسائي (١٥١/١)، وابن ماجه (٦٣٥)].

(يباشرها) أي: ملاقة البشرة بالبشرة، لا الجماع، فالمباشرة فوق الإزار، لا يمكن أن تكون جماعاً. (فور حيضتها) أي: معظمها، ووقت كثرتها، يقال: فور الحيض: أوله ومعظمه، من فوران القدر وغليانها. (يملك إربه) المراد: أنه ﷺ كان أملاك الناس لأمره، فلا يخشى عليه ما يخشى على غيره من أن يحوم حول الحمى، ومع ذلك فقد كان يباشر فوق الإزار تشريعاً لغيره ممن ليس بمعصوم.

ومن هنا تعلم أن مخالطة الخائض، ومباشرتها فوق الإزار ليس فيه بأس.

فمن نافع قال: أرسل عبيد الله بن عمر- رضي الله عنهما- إلى عائشة- رضي الله عنها- ليسألها، هل يباشر الرجل امرأته، وهي حائض؟ فقالت: تشدد إزارها على أسفلها، ثم يباشرها [حديث صحيح: أخرجه مالك (٧٧/١) في الموطأ، والدارمي (٢٤٢/١) في سنه].  
ويحل للرجل من امرأته الخائض: غسل رأس زوجها وترجله. والترجيل: هو أن تشرح شعر الرأس.

سُئِلَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أَتَدْمِسُ الْخَائِضُ أَوْ تَدْنُو مِنْ الْمَرْأَةِ وَهِيَ حَبْ؟ قَالَتْ عُرْوَةُ: كُلُّ ذَلِكَ عَلَيَّ هَينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَعْدَمَنِي، وَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِي ذَلِكَ بَأْسٌ، أَحَرَضَنِي عَائِشَةُ أَفَّا كَانَتْ تَرَجُلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ خَائِضٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْضٌ بِمَجَاورٍ فِي الْمَسْحَدِ، يَدْنِي خَا رَأْسَهُ، وَهِيَ فِي حَجَرِهَا، فَتَرَجُلُهُ، وَهِيَ خَائِضٌ [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٦)، وَالسَّائِي (١٤٨/١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٣٣)، وَابْنُ حِبَّانَ (٣٢٢/٢)].

وَلَا بَأْسَ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ أَنْ تَلْوِلَهُ الشَّيْءَ، فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: إِنْ السَّيِّدَةُ ﷺ قَالَ خَا مِنَ الْمَسْحَدِ: «تَالْوِلِي الْحُمْرَةَ». فَقَالَتْ: إِنِّي خَائِضٌ. فَقَالَ ﷺ: «إِنْ حَيْضُكَ لَيْسَ فِي يَدِكَ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٣٤)، وَالسَّائِي (١٤٦/١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٣٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٦٠/٢)، وَأَحْمَدُ (٢١٤/٦)].

وَالْحُمْرَةُ هِيَ السَّحَابَةُ الَّتِي يَسْحَدُ عَلَيْهَا الْمُصَلِّي، وَصُمِّتَ حُمْرَةٌ لِأَنَّهَا تُغْمَرُ وَجْهَ الْمُصَلِّي عَنْ الْأَرْضِ أَي: تَسْتَرُهُ وَلِتُحْبِئَهُ. (إِنْ حَيْضُكَ لَيْسَ فِي يَدِكَ) يَعْنِي أَنَّ النِّجَاسَةَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ، لِأَنَّهَا لَا حَيْضَ فِيهَا، وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ النِّجَاسَةَ الَّتِي يَصَانُ عَنْهَا الْمَسْحَدُ لَيْسَتْ بِإِدِكَ. وَلَا بَأْسَ بِقِرَاءَةِ الرَّجُلِ الْقُرْآنَ فِي حَجَرِ امْرَأَتِهِ الْخَائِضَةِ.

تُرْوَى لَنَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ فَقْهِ الرَّسُولِ ﷺ فِي ذَلِكَ فَتَقُولُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَكَبَّرُ فِي حَجَرِي، وَأَنَا خَائِضٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٧)، وَمُسْلِمٌ (٣٠١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٠)، وَالسَّائِي (١٤٧/١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٦٣٤)، وَأَحْمَدُ (١١٧/٦)].

وَمِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ تَعَلَّمَ حَوَازٌ مِلَامِسَةَ الْخَائِضِ، وَأَنَّ ذَلِكَ وَثِيْقًا عَلَى الطَّهَارَةِ مَا لَمْ يَلْحَقْ شَيْئًا مِنْهَا بِنَجَاسَةٍ. وَفِيهِ: يَبَانَ حَوَازٌ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ مُضْطَحًّا.

#### (٢) مَا يَحْرُمُ عَلَى الزَّوْجِ مِنَ الْخَائِضِ

يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ جَمَاعَ امْرَأَتِهِ فِي زَمَانِ الْحَيْضِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقِزُوا نِسَاءَكُمْ فِي أَنْتَحِيضٍ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَنْظَهَرْنَ﴾ ١٢١، يَعْنِي حَتَّى يَنْقُطَ دَمُ الْحَيْضِ ﴿فَإِذَا نَظَهَرْنَ﴾ ١٢٢، أَي: اغْتَسَلْنَ ﴿فَاتَّوَحُّوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرْتُمْ اللَّهُ﴾ ١٢٣ [البقرة: ٢٢١].

أَي: فَاتَّوَحُّوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْرِضُوهُنَّ، فَأَمَرُوا أَنْ يَأْتُوا مِنْ حَيْثُ غَوَا. وَيَقُولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ الْيَهُودُ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا، وَلَمْ يَجْمَعُوها فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ

= أصحاب النبي ﷺ النبي عليه الصلاة والسلام، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسُئِلْتُمْ عَنْ  
الْمُحْجِيّ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا أَلَيْسَ فِي الْمُحْجِيّ وَلَا تَعْرِضُوا عَنْهُ حَتَّى تَنْظُرُوا﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فقال النبي ﷺ: «افعلوا كل شيء إلا الجماع» [حديث صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٢)، وأبو  
داود (٢٥٨)، والترمذي (٢٩٧٧)، والسنائي (١٥٢/١)، وابن ماجه (٦٤٤)، وأحمد (١٣٢/٣)،  
والقرطبي (٢٤٥/١) في سننه، وابن حبان (١٣٦٢)]. فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا  
الرجل أن يدع لنا شيئاً إلا عاقلنا فيه، فجاء عباد بن بشر، وأسيد بن حضير، فقالا: يا رسول الله،  
ألا يجمعهن؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه وجد [غضب] عليهما، فحرحا من عنده،  
فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فبعث في آثارهما فسقاما، عرفا أنه لم يجد عليهما.

ومن فقه الرسول ﷺ في هذا الحديث:

- ١- حواز الاستمتاع من الخائض غير الوطء، وكذلك جواز المؤاكلة، والمؤانسة معها.
- ٢- الغضب عند انتهاك محارم الله تعالى.
- ٣- سكوت التابع عند الشروع، وعدم مراجعته له بالجواب، إن كان الغضب للحق.
- ٤- المؤانسة والملائقة بعد الغضب على من غضب إن كان أهلاً لها [عون الميعود (٣٠٢/١)]  
لسباركتوري].

وعقب العلامة البغوي على هذا الحديث، فقال رحمه الله [شرح السنة (١٢٦/٢) للبغوي]:  
اتفق أهل العلم على تحريم غشيان الخائض، ومن فعله علاناً عصي، ومن استحلّه كفر، لأنه  
محرم بنص القرآن، ولا يرتفع التحريم حتى ينقطع الدم، وتنفسل، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا  
النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي بَيْتِي مِنْكُمْ أَلَيْسَ فِي الْمَحْجِيّ وَلَا تَعْرِضُوا عَنْهُ حَتَّى تَنْظُرُوا﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وتعرف الآن على المباحات للمرأة الخائض، والمحرمات، ومن الله العون والسداد.

### (٣) الأمور المحرمة على الخائض

في أثناء فترة الحيض يطلب من المرأة المسلمة الامتناع من القيام بالأُمور التالية:

ترك الصلاة والصوم، وقضاء الصوم، وترك قضاء الصلاة:

يحدثنا أبو سعيد الخدري - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ خرج في أضحية أو فطر إلى المصلى،

## كفارة الوطء في الحيض

الوطء أثناء الحيض يسبب تعفن الرحم، فضلاً عن أنه قد يسبب العقم، فهو من أشد الأمراض إبلاماً للمرأة، حيث تقاسي منه آلاماً في الحوض لا تطاق، وارتفاعاً في درجة الحرارة، والمضاعفات الأخرى الخطيرة التي تكون نتيجة ذلك التعفن.

هذا بالنسبة للمرأة، أما بالنسبة للأضرار التي تصيب الرجل، فمن أهمها:

التهابات حادة تصيب الإحليل وغدة كوبر، والبروستاتا، والحويصلة المنوية، والخصيتين، والبربخ.

— فمر على النساء، فقال: «يا معشر النساء، تصدقن فإني أرىكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال ﷺ: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير» أي يتحدثن حق الزوج، ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين، أذهب للرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا، وعقلنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. عدم دخول الحائض للمسجد:

مرَّ حديث النبي ﷺ: «حِمَيتُكِ لَيْسَتْ بِيَدِكَ» [حديثٌ صحيح: سبق تخريجه] وذلك لما طلب من أم المؤمنين عائشة إدخال يدها إلى المسجد لتأوله سجادةً. وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: تناول الحائض من المسجد الشيء، ولا تدخله [سنن الدارمي (٢٦٤/١)].

وعن نافع قال: كان جوارِي غَيْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ يَلْقَيْنَ لَهُ الْحُمْرَةَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُنَّ حَيْضٌ. والمقصود أنه لو كان يباح لمن الدخول لما احتججن إلى الإلقاء من الخارج [مصنف عبد الرزاق (١٢٥٥)، (١٦٣٠)، ومالك (٧٣/١) (١٦٣٠)، في الوطء مختصراً وسنن الدارمي (٢٤٦/١)]. وعن منع الحائض من المكث في المسجد من سلفنا الصالح: عطاء بن أبي رباح، وسليمان الثوري، ومالك، والشافعي، وجوزَّ أحمد بن حنبل المكث [شرح السنة (٤٥/٢) للبغوي].

### أما بالنسبة للكفارة:

فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال:

« إن الذي يأتي زوجته وهي حائض يتصدق بدينار أو بنصف دينار<sup>(١)</sup>.

والحديث يدل على وجوب الكفارة على من وطئ امرأته وهي حائض.




---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٠/١)، وأبو داود (٢٦١)، والترمذي (١٣٧)، والنسائي (١٨٨/١)، وابن ماجه (٦٤٠)، وابن الخارود (١٠٨) في المتن، والحاكم (١٧١/١)، والدارقطني (٢٨٧/٣)، والبيهقي (٣١٤/١) في سننهما.

## تحريم الوطء في الدبر

سأله عليه السلام امرأة من الأنصار عن التحببة (وهي وطء المرأة في قبلها من ناحية دبرها)؟

فلا عليها قوله سبحانه وتعالى:

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال يا رسول الله: هلكت.

قال صلى الله عليه وسلم: «وما أهلكك؟». قال حولت رحلي الليلة، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، قال: فأوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أقبل، وأدير «واتق الدبر والحبضة»<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي أباحه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من وطء من الدبر، وليس في الدبر.

وهو القائل صلى الله عليه وسلم: «ملعون من أتى امرأته في دبرها».

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(٢)</sup>.

(١) حديث حسن: أخرجه أحمد (٢٩٧/١)، والترمذي (٤٠٦٤)، والنسائي (٩٢) في العشرة،

وابن حبان (٤١٩٠)، والطبراني (١٢٣١٧) في الكبير، والبيهقي (١٩٨/٧) في سننه الكبرى.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤٠٨/٢، ٤٧٦)، وأبو داود (٣٨٩٨)، والترمذي (١٣٩)،

والنسائي (١٣١)، وابن ماجه (٦٣٩). وماذا تقول آخر الأبحاث الطبية؟

وتقول آخر الأبحاث الطبية عن علة تحريم إتيان المرأة الحائض:

إن الميب يرجع إلى مادة البروستاجلاندين في المني، وهذه المادة إذا امتصت، ووصلت إلى

بؤرة الدعوية فإنها تسبب نقص المناعة.



## تطهير الثوب من دم الحيض

قال يُتَيَمَّنُ : «تحتة، ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه»<sup>(١)</sup>.

وتحتة: أي تحكه.

ثم تقرصه: أي تدلكه بأطراف الأصابع والأظفار، مع صب الماء عليه حتى يذهب أثره.

ثم تنضحه: أي تغسله.



« وإن إفرازات الرحم تحتوي على مادة مضادة لمادة البروستاجلاندين الموجودة في المني، وإذا وضع المني في مهبل المرأة، فإن مادة البروستاجلاندين سوف لا تصل إلى الدورة الدموية، لأنها سوف تتعادل مع المادة المضادة الموجودة في إفرازات الرحم. ووجود هذه المادة في المني يفسر السبب في اعتزال النساء أثناء الحيض. لأنه في أثناء الحيض يسقط الغشاء المخاطي للرحم ليستبدل بأخر جديد، وفي هذه الأثناء لا توجد المادة المضادة للبروستاجلاندين الموجودة في المني. وهذا يكون هناك خطورة من امتصاص البروستاجلاندين، وحصول مرض نقص المناعة المكتسب. وخذا أمر الله - جل شأنه - باعتزال النساء في الحيض. وصدق الله العظيم حيث يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَنَسْتَكُونُكَ عَنِ أَنْتَجِيهِ قُلْ مَنْ أَدَّى فَأَعْتَرِلُوا أَيْسَاءَ فِي أَنْتَجِيهِ وَلَا تَقْرَبُواهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [النقرة: ٢٢٢].

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٧)، (٣٠٧٠)، ومسلم (٢٩١)، ومالك (٧٩/١)، وأبو داود (٣٦٠)، والترمذي (١٣٨)، والنسائي (١٩٥/١)، وابن ماجه (٦٢٩)، والشافعي (٣٩).

## الإعجاز الطبي في الحيض

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ فَأَنْوَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَحُبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

حين نقرأ ﴿ هُوَ أَذًى ﴾ فقد أخذت الحكم من يؤمن على الأحكام، ولا تناقض المسألة، ومهما قال الطب من تفسيرات وتعليلات وأسباب نقل له: لا، الذي خلق قال:

﴿ هُوَ أَذًى ﴾. و﴿ الْمَحِيضِ ﴾ يطلق على الدم، ويراد به أيضاً: مكان الحيض، ويراد به أيضاً زمان الحيض.

وقول الحق سبحانه عن ﴿ الْمَحِيضِ ﴾ إنه ﴿ أَذًى ﴾ يهين الذهن لأن يتلقى حكماً في هذا الأذى، وبذلك يستعد الذهن للحظر الذي سيأتي به الحكم، وقد جاء الحكم بالحظر والمنع بعد أن سبقت حيثيته.

إن الحق سبحانه وتعالى وهو الخالق أراد أن تكون عملية الحيض في المرأة عملية كيميائية ضرورية لحياتها وحياة الإنجاب، وأمر الرجال أن يعتزلوا النساء وهن حوائض؛ لأن المبيض أذى لهن، ولكن هل دم الحيض أذى للرجال أم للنساء؟

إنه أذى للرجال والنساء معاً، لأن الآية أطلقت الأذى، ولم تحدد من المقصود به.

والذي يدل على ذلك أن الحيض يعطي قذارة للرجال في مكان حساس هو موضع الإنزال عنده، فإذا وصلت إليه الميكروبات تصيبه بأمراض خطيرة.

والحيض هو دم يحتوي على أنسجة غير حية، وتصبح منطقة المهبل والرحم في حالة تقيح، لأن منطقة المهبل والرحم حساسة جدًا لنمو الميكروبات المسببة للالتهابات سواء للمرأة، أم للرجل إن جامع زوجته في زمن الحيض، والحيض يصيب المرأة بأذى في قوتها وجسدها؛ بدليل أن الله سبحانه رخص لها ألا تصوم وألا تصلي في هذه الحالة.

إذن... فالمسألة منهكة ومتعبة لها، فلا يجوز أن يرهقها الرجل بأكثر مما هي عليه.

إذن... فقلوه تعالى: ﴿هُوَ أَذَى﴾ تعميم بأن الأذى يصيب الرجل والمرأة وبعد ذلك يبين الحق سبحانه أن كلمة: ﴿أَذَى﴾ حيثية تتطلب حكمًا يأتي، إما بالإباحة وإما بالخطأ وما دام ﴿هُوَ أَذَى﴾ فلا بد أن يكون حظرًا.

يقول الحق ﷻ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾.

والذي يقول: إن المحيض هو مكان الحيض يبين قوله بأن المحرم هو المباشرة الجنسية، لكن ما فوق السرة وما فوق الملابس فهو مباح، فقلوه الحق ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ أي: لا تأنوهن في المكان الذي يأتي منه الأذى وهو دم الحيض ﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ و﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ﴾: من الطهور.



## نظر الحائض إلى المصحف الشريف

قراءة القرآن للحائض بأي صورة حرام، وذلك لقداسة القرآن الكريم، فلا يصح أن يقبل الإنسان على قراءته إلا وهو متطهر.

بل إن الوضوء واجب أيضاً إلى جانب الطهارة.

وكما أعفى الله سبحانه الحائض من الصوم والصلاة فلا تصلي ولا تصوم امتثالاً لأمر الله فعليها ألا تقرأ القرآن أيضاً امتثالاً لأمر الله وتلتق.

وفي ذلك الامتثال أجر عند الله.

وكما أن قراءة القرآن في الطهر عبادة.

فكذلك عدم قراءته للحائض اعترافاً منا وتقديراً لقداسته عبادة أيضاً.

ولكن يمكن للحائض تمرير القرآن على ذهنها، إناساً لها، واطمئناناً لقلبها.

وفي هذا القدر كفاية.



## فقه وحكمة الاعتزال في الحيض

جاء الإسلام وفي الجو الاجتماعي تياران:

تبار يرى أن الحائض هي امرأة تعاني من قذارة، لذلك لا يمكن للزوج أن يأكل معها أو يسكن معها أو يعاشرها أو يعيش معها في بيت واحد، وكذلك أبناؤه.

وتبار آخر يرى المرأة في فترة الحيض امرأة عادية لا فرق بينها وبين كونها غير حائض، أي تباشر حياتها الزوجية مع زوجها دون شروط أو تحفظ.

كان الحال - إذن - متأرجحاً بين الإفراط والتفريط، فحاء الإسلام ليضع حداً لهذه المسألة فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ٤﴾ [البقرة: ٢٢٢].

حين تقرأ ﴿هُوَ أَذَى﴾ فقد أخذت الحكم ممن يؤمن على الأحكام، ولا تناقش المسألة، ومهما قال الطب من تفسيرات وتعليلات وأسباب نقل له: لا، الذي خلق قال: ﴿هُوَ أَذَى﴾. ﴿الْمَحِيضُ﴾ يطلق على الدم، ويراد به - أيضاً - مكان الحيض ويراد به أيضاً زمان الحيض.

وقول الحق عن ﴿الْمَحِيضِ﴾ إنه ﴿أَذَى﴾ يبين الذهن لأن يتلقى حكماً في هذا الأذى، وبذلك يستعد الذهن للخطر الذي سيأتي به الحكم، وقد جاء الحكم بالحظر والمنع بعد أن سبقت حيلته.

إن الحق سبحانه وتعالى وهو الخالق أراد أن تكون عملية الحيض في المرأة عملية كيميائية ضرورية لحياتها وحياة الإنجاب. وأمر الرجال أن يعتزلوا النساء وهن حوائض، لأن الحيض أذى لهن، لكن هل دم الحيض أذى للرجال أو للنساء؟

إنه أذى للرجال والنساء معاً، لأن الآية أطلقت الأذى، ولم تحدد من المقصود به، والذي يدل على ذلك أن الحيض يعطي قدرة للرجال في مكان حساس هو موضع الإنزال عنده، فإذا وصلت إليه الميكروبات تصيبه بأمراض خطيرة.

والذي يحدث أن الحق قد خلق رحم المرأة وفي مبيضها عدد محدد معروف له وحده سبحانه وتعالى من البويضات، وعندما يفرز أحد المبيضين البويضة فقد لا يتم تلقيح، فإن بطانة الرحم المكون من أنسجة دموية تفل فيها نسبة الهرمونات التي كانت تثبت بطانة الرحم، وعندما تفل نسبة الهرمونات يحدث الحيض.

والحيض هو دم يحتوي على أنسجة غير حية، وتصبح منطقة المهبل والرحم في حالة تقيح، لأن منطقة المهبل والرحم حساسة جداً لنمو الميكروبات المسببة للالتهابات سواء للمرأة، أو للرجل إن جامع زوجته في فترة الحيض، والحيض يصيب المرأة بأذى في قوتها وجسدها، بدليل أن الله رخص لها ألا تصوم وألا تصلي في هذه الحالة.

إذن فالمسألة منهكة ومتعبة لها، فلا يجوز أن يرهقها الرجل بأكثر مما هي عليه.

إذن فقوله تعالى: ﴿هُوَ أَذَى﴾ تعميم بأن الأذى يصيب الرجل والمرأة.

وبعد ذلك يبين الحق أن كلمة ﴿أَذَى﴾ حيثية تتطلب حكماً يرد، إما بالإباحة وإما بالحظر، وما دام هو أذى فلا بد أن يكون حظراً.

يقول رحمه الله: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾.

والذي يقول: إن المحيض هو مكان الحيض يني قوله بأن المحرم هو المباشرة الجنسية، لكن ما فوق السرة وما فوق الملابس فهو مباح، فقوله الحق: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ أي: لا تاتوهن في المكان الذي يأتي منه الأذى وهو دم الحيض.

﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ و﴿يَظْهَرْنَ﴾ من الظهور مصدر طهر يطهر، وعندما نتأمل قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ نجد أنه لم يقل (فإذا طهرن) فما الفرق بين (طهر) و (تطهر)؟

إن ﴿يَظْهَرْنَ﴾ معناها امتنع عنهن الحيض، و﴿تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن من الحيض، ولذلك نشأ خلاف بين العلماء، هل بمجرد انتهاء مدة الحيض وانقطاع الدم يمكن أن يباشر الرجل زوجته، أم لا بد من الانتظار حتى تتطهر المرأة بالاغتسال؟.

وخروجاً من الخلاف نقول: إن قوله الحق: ﴿تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن فلا مباشرة قبل الاغتسال.

ومن عجائب ألفاظ القرآن أن الكلمات تؤثر في استنباط الحكم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مُكْتُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

ما المقصود إذن؟ هل المقصود أن القرآن لا يمسه إلا الملائكة الذين طهرهم الله من الخبث، أو أن للبشر أيضاً حق الإمساك بالمصحف لأنهم يطهرون؟

بعض العلماء قال: إن المسألة لا بد أن ندخلها في عموم الطهارة، فيكون معنى ﴿إِلَّا أَلْمَطَّهَرُونَ﴾ أي الذين طهرهم أي من شرع لهم التطهير، ولذلك فالمسلم حين يغتسل أو يتوضأ يكون قد حدث له أمران: التطهير والطهر.

فالتطهر بالفعل هو الوضوء أو الاغتسال، والطهر بتشريع الله، فكما أن الله طهر الملائكة أصلاً فقد طهرنا معشر الإنس تشريعاً، وبذلك نفهم الآية على إطلاقها ونرفع الخلاف.

وقول الحق في الآية التي نحن بصدد خواطرها عنها: ﴿حَتَّى يَطْهَرُونَ﴾ أي حتى يأذن الله لمن بالطهر، ثم يغتسلن استحابة لتشريع الله لمن بالتطهر.

﴿فَأَنذَرُوهنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني في الأماكن الحلال.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وأراد الحق تبارك وتعالى أن يدخل عليك أنساً، فكما أنه طلب منك أن تتطهر مادياً فهو سبحانه قبل أيضاً منك أن تتطهر معنوياً بالتوبة، لذلك جاء بالأمر حسياً ومعنوياً.

وبعد ذلك جاء الحق سبحانه وتعالى بحكم جديد، هذا الحكم ينهي إشكالاً أثاره اليهود، وقد كان اليهود يشيرون أن الرجل إذا أتى امرأته من خلف ولو في قُبْلَها - بضم القاف - جاء الولد أحول.

و (القُبْل) هو مكان الإتيان، وليس معناه الإتيان في الدبر - والعباد بالله - كما كان يفعل قوم لوط.

ولما كان هذا الإشكال الذي أثاره اليهود لا أساس له من الصحة فقد أراد الحق أن يرد على هذه المسألة فقال:

﴿يَسْأَلُكُمْ خَرَجٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَجَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ وَفَعِلْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُنْكَفَرُونَ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].



إن الحق سبحانه وتعالى يفسح المجال للتمتع للرجل والمرأة على أي وجه من الأوجه شريطة أن يتم الإتيان في محل الإنبات.

وقد جاء الحق بكلمة ﴿ حَرَّثَ ﴾ هنا ليوضح أن الحرث يكون في مكان الإنبات ﴿ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ ﴾ وما هو الحرث؟

الحرث مكان استنبات النبات، وقد قال تعالى: ﴿ وَهَئِلِكَ آلُحَرَثِ وَالنَّسْلِ ﴾. فأتوا المرأة في مكان الزرع، زرع الولد، أما المكان الذي لا ينبت منه الولد فلا تقربوه وبعض الناس فهموا خطأ أن قوله: ﴿ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنْتُمْ ﴾ معناها إتيان المرأة في أي مكان، وذلك خطأ، لأن قوله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرَثَ لَكُمْ ﴾ يعني محل استنبات الزرع، والزرع بالنسبة للمرأة والرجل هو الولد، فأثما في المكان الذي ينبغي الولد على أي جهة شئت.

ويتابع الحق: ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ أي إياك أن تأخذ المسألة على أنها استمتاع جنسي فحسب، إنما يريد الحق سبحانه وتعالى بهذه اللذة الجنسية أن يحمي متاعب ما ينشأ من هذه اللذة، لأن الذرية التي ستأتي من أثر اللقاء الجنسي سيكون لها متاعب وتكاليف، فلو لم يربطها الله سبحانه وتعالى بهذه اللذة لزهّد الناس في الجماع.

ومن هنا يربط الحق سبحانه وتعالى بين كدح الآباء وشقائهم في تربية أولادهم بلذة الشهوة الجنسية حتى يضمن بقاء النوع الإنساني.

ومع هذا يحدّرنا الحق أن نعتم هذه اللذة الجنسية هي الأصل في إتيان النساء، فقال:

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ يعني انظروا جيداً إلى هذه المسألة على ألا تكون

هي الغاية، بل هي وسيلة، فلا تقلبوا الوسيلة إلى الغاية، ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ أي ادخروا لأنفسكم شيئاً ينفعكم في الأيام المقبلة.

إذن فالأصل في العملية الجنسية الإيجاب. ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ أي لا تأخذوا المتاع اللحظي العاجل على أنه هو الغاية بلخذوه لما هو آت.

وكيف نقدم لأنفسنا؟ أو ماذا نفعل؟ حتى لا نشقى بمن يأتي، وعليك أن تبين هذه العملية فقدم لنفسك شيئاً يريحك، وافعل ما علمنا رسول الله ﷺ ...

ساعة تأتي هذه النعمة وتقرب من زوجتك لا بد أن تسمي الله وتقول:

(اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني)، وعندما يأتي المسلم أهله وينشأ وليده فلن يكون للشيطان عليه دخل.

وقال بعض العلماء: لا يمكن أن يؤثر فيه سحر، لماذا كل ذلك؟.

لأنك ساعة استنبتته أي زرعته، ذكرت المنبت وهو الله ﷻ.

وما دمت ذكرت المنبت الخالق فقد جعلت لابنك حصانة أبدية. وعلى عكس ذلك ينشأ الطفل الذي ينسى والده الله عندما يباشر أهله فيقع أولاده فريسة للشياطين.

﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ أي قدموا لما ما يريحكم وما يطيل أمد حياتكم وأعمالكم في الحياة، لأنك عندما تقبل على المسألة بنية إيجاب الولد، وتذكر الله وتستعذ من الشيطان فينعم عليك الخالق بالولد الصالح، هذا الولد يدعو لك، ويعلم أولاده أن يدعو لك، وتظل المسألة مسلسلّة فلا ينقطع عملك إلى أن تقوم الساعة، وهنا تكون قدمت لنفسك أفضل ما يكون التقدم.

وهب أنك رزقت المولود ثم مات ففجعت به واسترجعت واحتسبته عند ربك، أنك تكون قد قدمته، ليغلق عليك بابها من أبواب النيران.  
إذن فكل أمر لابد أن نذكر فيه ﴿ وَقَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾.



## حكم الوضوء ومس المرأة

اختلف العلماء في نقض الوضوء لمصافحة الرجل للمرأة الأجنبية، وذلك بسبب اختلافهم في فهم قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْدِّينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ۝﴾ [النساء: ٤٣].

في آية الوضوء والتيمم فقال فقهاء الحنفية: أن المقصود في الآية هو الجماع، وأما اللمس وهو لمس الرجل للمرأة الأجنبية لا ينقض الوضوء، لأنه لا يدخل في المعنى المراد من الملامسة. وقالوا: إن الرجل لو لمس بيده امرأته، أو حتى قبلها لم ينتقض وضوؤه واستدلوا بما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قبل بعض نساءه، ثم خرج إلى الصلاة فلم يتوضأ.

وقال فقهاء المالكية: إذا لمس بلذة انتقض الوضوء، وإن لمس بلا شهوة لم ينتقض الوضوء، وبهذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله.

والله تعالى أعلم.



## عورة المرأة في الصلاة

إذا انكشف ذراع المرأة أثناء الصلاة فحركة سريعة تغطي نفسها.  
 على أن تحتاط بعد ذلك قبل الصلاة، بأن ترتدي من الملابس ما يسترها  
 تحت الطرحة، فلا تتعرض لمثل هذه الظروف.  
 ونحن نرى بعض النساء الفضليات وقد صممن زياً خاصاً للصلاة، بحيث  
 يجعل المرأة تصلي في هدوء، وهي مطمئنة لستر كل ما طلب ستره.  
 فلا ينشغل بالها بلف الطرحة حولها، لتستر ما قد يبدو منها، وبذلك لا  
 تشغل بالها أثناء الصلاة إلا بوقوفها بين يدي ربها **وَتُحْيِي** فتؤدي بذلك صلاة  
 خاشعة مطمئنة.  
 ويشترط في الملابس التي تؤدي فيها المرأة الصلاة ألا تكون واصفة ولا  
 كاشفة بمعنى ألا تكون ضيقة تحدد شكل جسمها، ولا شفافة بحيث يظهر ما  
 تحتها وأن تكون ساترة لبدنها كله.



## حكم الأذان للنساء

من شرط المؤذن أن يكون رجلاً، لأنه منصب من مناصب الرجل كالإمامة والقضاء.

قال رسول الله ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرُؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلِمُهُم بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً فَأَقْدِمُهُمْ هَجْرَةَ فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدِمُهُمْ سَنًا وَلَا يُؤْمِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَعْقِدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»<sup>(١)</sup>.

وأذان المرأة غير جائز لأنها إن رفعت صوتها ارتكبت معصية وإن خففتها فقد تركت سنة الجهر.

وأذان النساء لم يكن في السلف. ولو أذنت أجزأ أذناها وارتكبت معصية وإن أذنت للنساء جاز، لكنه غير مستحب.



(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١١٨/٤، ١٢١، ١٢٢)، وعبد الرزاق (٣٨٠٨) في مصنفه، والحميدي (٤٥٧)، ومسلم (٦٧٣)، والترمذي (٢٣٥)، وأبو داود (٥٧٨)، والنسائي (٧٦/٢)، وابن ماجه (٩٨٠).

## فقه المرأة المسلمة في الحجاب

سألتني صحفية إنجليزية: لماذا يمنع الدين الإسلامي المرأة من أن ترتدي ما تشاء؟ لماذا يقيد حريتها في أن تختار ثيابها وترتدي ما تحب؟ أليست هذه حرية شخصية للمرأة؟

قلت: قبل أن أحيب عن هذا السؤال، لابد أن نتفق على نقطة هامة.. هي أن الإنسان الذي يعيش في مجتمع ما يسمى بالحرية المطلقة. لابد أن تكون حريته حرية نسبية، لا تعتدي على حريات الآخرين، ويعيداً عن مخالفة الدين وتعاليمه.

هل تستطيعين أنت أن تفعلي ما تريدن؟ إذا أردت أن تمشي في الطريق العام بدون ملابس على الإطلاق.. فهل يمكنك ذلك بدعوى أنك حرة تفعلين ما تشائين؟!

إذا أردت أن تستمعي إلى موسيقى عالية بعد منتصف الليل... فهل تستطيعين أن تستمعي إلى الراديو في أعلى صوت؟ أو إذا أردت أن تصلحي شيئاً في منزلك والناس نيام.. فهل تستطيعين إحضار النجار أو النقاش ليفعل ما يشاء؟.

هل تستطيعين إذا دخلت أحد المحال أو البنوك ووجدت صفّاً طويلاً من الناس يقف.. هل تتجاهلين الصف وتكونين أول الواقفين؟.

هل تستطيعين أن تتركي سيارتك وسط الطريق أو في مكان ممنوع فيه الانتظار لأنك حرة، ومن حريتك أن تضعي سيارتك في المكان الذي تريدينه؟ بل هل تستطيعين أن تتجاوزي بسيارتك السرعة المسموح بها، وهل تستطيعين أن ترتكبي فعلاً فاضحاً أمام الناس.. لأن ذلك من حريتك؟

وأستطيع أن أمضي إلى ألوف الأمثلة.. لأنه لا يوجد شيء اسمه الحرية المطلقة في أي مجتمع من المجتمعات، ولكنها حرية نسبية.. تعطيك من التصرف الذي تريده ما ليس فيه اعتداء على حرية الآخرين.

فإذا حدث اعتداء على هذه الحرية، فإن المجتمع يتدخل ليوقفك عند حدك قاللاً: هذا ليس من حريتك لأنك اعتديت على حرية الآخرين.

الطريق الوحيد لكي تتمتع بالحرية المطلقة.. هو أن تذهبى إلى مكان لا يعيش فيه أحد.. مكان تعيشين فيه وحدك.. دون أن يكون فيه آخرون.. حينئذ تستطيعين أن تتمتعى بحريتك كما تشائين.

فما دام لا يوجد أحد حولك، ولا أحد من الناس يراك.. فإنك تستطيعين أن تفعل ما تشائين.

هذا بعيد عن منطق الدين وبعيد عن منهج السماء، فإذا كان هذا هو منطق الحياة في الكون..

فكيف تريدن من منهج الله أن يخلق مجتمعاً من القوضى الذي يضع فيه كل شيء؟

الله- سبحانه وتعالى- يقول في القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ<sup>(١)</sup> عَلَيْنَهُنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَضْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

(١) يدنين عليهن: يرعين ويسدالن عليهن.

(٢) جلابيهن: ما يسترن به حتى لا يظهر إلا أقدامهن.



ويقول -جل جلاله- في كتابه العزيز:

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَتْسُرِهِنَّ وَخَفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ<sup>(١)</sup> عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

هذا هو حكم الله - سبحانه وتعالى - بالنسبة للمرأة، وهو إخفاء الزينة التي تلفت الأنظار.

وبداية أحب أن أقول: إن من اختار الدين.. فعليه أن يقبل أحكام هذا الدين، حتى ولو كانت هذه الأحكام تقيد حريته في الفعل ولا تفعل.

لأن تقييد الحرية هنا.. هو لخير الإنسان وليس شرًا له.

إن هذه الأحكام جاءت من الله - سبحانه وتعالى - وهو أعلم بنا من أنفسنا.

فإذا كانت تقييد حركتنا، فهي تعطينا الخير، وتُذهب عنا السوء، فلا يوجد دين بلا منهج.. إلا أن يحاول الإنسان أن يرضي غريزة التدين فيه، وفي الوقت نفسه يفعل ما يشاء.. فيعبد الأصنام أو الشمس أو غير ذلك مما لا يقيد به. بمنهج في الحياة، فيخلص نفسه من تعاليم الله ليفعل ما يشاء، وفي هذه الحالة يكون قد كفر والعباد بالله.. لأنه لا يريد منهجًا سماويًا يقيد حريته.

والمرأة التي تتضرر من الحجاب بزعم أنه يقيد من حريتها بستر ما أمر الله من مفاتها.

عليها ألا تعترض على منح هذه الحرية لغيرها.. فإن أباحت لنفسها أن

(١) الحمر: جمع حمار وهو غطاء الرأس. والجيوب: جمع جيب وهو فتحة الثوب في أعلى الصدر.

تتزين وتكشف عن مفاتها لتجذب إنساناً وتفتنه.

فعلينا ألا تعترض إذا سرق زوجها منها بفعل فائنة، فما دامت قد أباحت لنفسها ذلك فلا تلو من إلا نفسها.

إن الهدف هو صيانة المجتمع كله من الفتنة، وإبقاء للاستقرار والأمن بالنسبة للمرأة.. حتى لا يخرج زوجها من بيته وهي لا تعلم هل ستفتنه امرأة أخرى فيتزوجها أم أنه سيعود إلى بيته؟.

إن الله - سبحانه وتعالى - قد وضع من القواعد والضوابط ما يمنع الفتنة للمرأة والرجل حفاظاً على استقرار الأسرة وأمنها وأمانها، وحرّم أي شيء يمكن أن تكون فيه فتنة من امرأة لرجل غريب عنها، ولذلك حرم إبداء الزينة إلا لحارم المرأة.. فقال - تبارك وتعالى - :

﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ<sup>(١)</sup> أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ<sup>(٢)</sup> غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا<sup>(٣)</sup> عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١].

وهؤلاء الذين ذكرهم الله - تبارك وتعالى - في هذه الآية الكريمة هم من يحارم المرأة التي لا تحرص على إبداء زينتها أمامهم، وحتى إذا فعلت..

فإن هذه الزينة لا تثير في نفوسهم أية شهوة.. إما لأنهم لم يبلغوا السن التي

(١) البعول: جمع بعل. وهو الزوج.

(٢) التابعون: الخدام.

(٣) أي: لم يبلغوا الحلم.

يحسون فيها بالشهوة، وإما أنهم تعدّوا هذه المرحلة تمامًا.

بل إن الله - سبحانه وتعالى - حرم على النساء أن يضررن بأرجلهن كتوسع من التحابل لإظهار الزينة التي أخفتها الثياب، وذلك بتعمد اهتزاز الجسم لتظهر مفاتها..

وقال الحق - جل جلاله -:

﴿ وَلَا يَضُرَّ بَأَرْجُلَيْهِ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِمْ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

كل هذا قد يفهمه البعض على أنه تقييد لحرية المرأة، ولكنه في الحقيقة حماية لها.

لو أن الله - سبحانه وتعالى - لم يفرض الحجاب، لكان على المرأة أن تطالب به.. لأنه أكرم تأمين لها ولحياتها..

ذلك أن نضارة المرأة موقوتة، وفترة جمالها - لو حسبتها - فلن تزيد على خمسة عشر عامًا، ثم بعد ذلك تبدأ في الذبول.

حب أن امرأة بدأت في الذبول وزوجها ما زال محتفظًا بنضارته.. قادرًا على الزواج.. وخرج إلى الشارع ووجد فتاة في مستقبل العمر وفي أتم نضارتها وقد كشفت عن زينتها. ماذا سيحدث؟!.

إما أن يُفتن بهذه الفتاة ويترك زوجته ويتزوجها، وإما أنه عندما يعود إلى المنزل يلحظ الفرق الكبير بين امرأته وهذه الفتاة، فيزهده في زوجته، ويبدأ في الانصراف عنها..

لكن لو حجت النساء مفاتهن عن الرجال.. لصارت كل منهن آمنة من

فقدان زوجها، ومن تُغيّر نفسه من ناحية زوجته، ولظلت محتفظة بحبه لها وإقباله عليها.. لماذا؟

لأن الجمال نمو، والنمو في المخلوقات والنبات والحيوان والإنسان لا يدركه المتبع له.. ولذلك نجد الرجل وله ولد ينتظر إليه كل يوم، فلا يمكن أن يلحظ أنه يكبر، ولكن لو غاب عنه شهراً.. يتجمع نمو الشهر كله وهو بعيد عنه، وعندما يعود يحس بأنه قد كبر.

والفلاح مثلاً إذا جلس بجوار الزرع.. لا يلحظ نموه ولا يراه.. فإذا غاب عنه فترة لاحظ هذا النمو.

الرجل مع زوجته كذلك.. فهو عندما يتزوجها وهي عروس تكون في أُمّى زينتها ونضارتها، لكن لأنه يراها كل يوم، فإنه لا يلحظ فيها أي تغيير، وتكبر وتذهب نضارتها وجمالها من أمامه شيئاً فشيئاً، دون أن يلاحظ هذا الذبول، بل تظل في عينيه هي نفس العروس الجميلة التي زُفّت إليه.

ولكن إذا رأى امرأة غيرها.. أصغر منها ولا تزال في قمة نضارتها.. بدأت المقارنة وأحس بالتغيير، وأثر ذلك في نفسه.

ولذلك ونحن نرى أمهاتنا بعد أن كبرن وملأت وجوههن التجاعيد.. لا نشعر بهذا.. بل نجد في أمهاتنا نضارة لا نشبع من النظر إليها.

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد حجب المرأة من أن تستلقت الأنظار إليها بالكشف عن زينتها، وهو قد حجب غيرها ممن هُنَّ أصغر وأجمل وأكثر نضارة من أن يستلقتن أنظار زوجها فيعرض عنها.

والعجيب أن المرأة لا تلتفت إلى هذه الحكمة، وهي أن الحجاب حماية لها،

ولزوجها وليبتها، بل تأخذ المسألة على أسس من الحرية الجوفاء.. ناسية أن هذا التقييد إنما شرعَ لحمايتها.

والعقاب في الشرع في كل الحالات.. لا يبدأ إلا عند النزوع إلى عمل شيء.. فأنت ترى وردة جميلة.. انظر إليها كما شئت فليس في ذلك إثم ولا حساب، وتمتع برائحتها كما شئت.. فليس هناك إثم ولا حساب، إلا أن تمد يدك لتقطعها.. حينئذ تكون قد اعتديت.

وأن ترى فرسًا جميلة.. انظر إليها كما شئت.. وتمتع بالنظر إليها كما تريد.. فلا إثم عليك.. إلا أن تحاول أن تركيبها دون إذن صاحبها، وهكذا كل ما في الدنيا من جمال... والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ <sup>(١)</sup> وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَمَتَلَأْنًا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الحل: ٨] زينة لمن؟ لأصحابها فقط؟ الآية جاءت بالزينة على إطلاقها، ولهذا فهي زينة لأصحابها، ولمن أراد أن ينظر إليها ويتمتع بجمالها.

كل ما في الكون من جمال.. انظر إليه كما تشاء.. فليس هذا محرماً.. إلا المرأة.

فالنظرة إليها محرمة.. من المرأة للرجل.. ومن الرجل للمرأة.. والنظر إليها والتأمل في جمالها من غير زوجها، إثم، وكذلك الرجل بالنسبة للمرأة. نظر المرأة للرجل وتأملها في ملامح رجولته إثم.

ولذلك يقول الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعْشَرٌ مِّنْ أَبْصَارِهِمْ يُحَافِظُونَ أَرْوَاجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرْكَىٰ لَهُمْ

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقوله جل جلاله:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ [النور: ٣١]

لماذا حُرِّمَتِ النظرة بين الرجل والمرأة؟

ولم تُحَرِّم بالنسبة لباقي مخلوقات الكون؟<sup>(١)</sup>

لأن النظرة هي بداية النزوع بالنسبة لرجل والمرأة، وما دامت النظرة قد بدأت فأنت لا تستطيع أن تتحكم في نفسك بالنسبة لما يمكن أن يحدث بعد ذلك.

النظرة قد أوجدت تغييراً يقودك إلى المعصية، ولذلك نجد مثلاً عندما حرم الله- سبحانه وتعالى- على آدم وحواء أن يأكلا من الشجرة المحرمة في الجنة.. لم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة.. بل قال- جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

لماذا لم يقل الله- سبحانه وتعالى- لا تأكلا من هذه الشجرة؟

لأنه أراد أن يحميها من إغراء المعصية، فلو أنه قال لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة.. ربما جلسا إلى جوارها، فأغراها لون ثمارها أو شكل هذه الثمار، أو الرائحة المتبعثة منها، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ليقيهما الإغراء الذي يمكن أن يوقعهما في المعصية، وكما يقول رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ مُحَارِمٌ فَلَا تَقْرِبُوهَا، فَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٢٦/١)، مسلم (١٥٩٩)، أبو داود (٣٣٢٩)،

الترمذي (١٢٠٥)، النسائي (٤٤٥٣)، ابن ماجه (٣٩٨٤)، أحمد (٢٧٠/٤).

وقال الرسول - عليه الصلاة والسلام:

« إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنهكوها »<sup>(١)</sup>.

إذن: فتحرم النظر بين الرجل والمرأة حماية ل كليهما، وقالت أم سلمة:

كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وكان أعمى.. ذلك بعد أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا منه»، فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟

فقال رسول الله ﷺ: «أفعيا وان أتما.. ألتما تبصرانه»<sup>(٢)</sup>.

والله جل جلاله يقول:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

على أننا لا بد أن نلفت إلى حقيقة هامة.. هي أن الله - سبحانه وتعالى - يريد أن تعتدل الموازين في كونه.

ويريد العقل الذي ميز الله به الإنسان أن يعطي حرية الاعتبار دون أية مؤثرات، حتى تستقيم الأمور في الكون، وإظهار المرأة لمفاتها يجعل الميزان يختل.. لماذا؟

لأن المرأة إذا تعمدت إغراء رجل غريب بزيتها والكشف عن جسدها.. تتدخل في عمل العقل.

(١) حديث ضعيف: أخرجه الحاكم (١١٥/٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٢٩٦/٦)، أبو داود (٤١١٢)، الترمذي (٢٧٧٨).

لأنه في هذه الحالة، قد يتخذ قراراً ويعلم أنه باطل لينال من هذه المرأة أو يرضيها، وكلنا يعلم تأثير النساء في الصفقات التي تحدث في العالم كله، وكيف أنهن يتخذن كوسيلة للإغراء ليقضي الإنسان بغير الحق، ويختل ميزان الحكم.

كل هذا موجود في شركات عالمية كبيرة تستخدم إغراء المرأة لتتم أعمالاً وصفقات مشبوهة.. ما كانت لتتم لو أن الميزان كان معتدلاً، والعقل هو الحكم الوحيد في هذه المسائل من أمور الدنيا.

والغريب أنك تجد بعض الرجال أشد تحمساً ودفعاً للمرأة لإبداء زيتها وعدم التحجب وإلى الاختلاط بالرجل..

ونحن نقول لهؤلاء الرجال: إن الله قد وضع لكم القانون الذي يحمي زوجاتكم وبناتكم.

فإذا كنتم تدفعون بعض النساء للتبرج. فأنتم قد وضعتم - باستباحكم النظر إلى زوجات وبنات غيركم - المبدأ لنظر المجتمع كله إلى زوجاتكم وبناتكم.

إن الله قد حماكم من هذا، ولكنكم استبحتموه فلا تلموا إلا أنفسكم إذا انحرفت الزوجة أو الابنة.

بل من الغريب.. أن بعض الأمهات بمنعن بناتهن من الحجاب ويقاومن هذا بدعوى أنه يقلل فرص الفتيات من الزواج.

نقول لمن: متى كان الزواج ابتذالاً؟

ومتى كان الزوج يبحث عن فتاة متبرجة ليأتمنئها على عرضة وسُمنته وكرامته؟

إن الإنسان يبحث عن الفتاة المتدينة. التي تصونه وتحفظه إذا غاب في عرضة وماله وأولاده. ولا يبحث عن فتاة متبرجة تعرض مفاتها على الناس.

ونقول لكل أم تتخذ هذا السبيل: إن القصاص في هذه المسألة يتم في الدنيا،



فالزوجة التي تبرز مقاتنتها للناس، أو تمنع ابنتها من التحجب ستجد القصاص إما في زوجها أو في ابنتها.. وستجده في فتاة صغيرة تخطف الزوج منها، أو في فتاة تخطف ابنتها في أولى سنوات عمره، فتفسد عليه حياته وتضيع مستقبله.

وهكذا لا يعتقد أحد أنه وهو يحارب شرع الله، ويحارب دين الله، سيكون المنتصر أبداً، بل يبعث الله من يفسد عليه حياته ويملؤها بالشقاء.

على أننا قبل أن ننتهي من الحديث عن الحجاب.. فلا بد من كلمة حول الحجاب والنقاب، وما دامت المسألة تدور كلها على ألا تكون المرأة فتنة للرجال، ولا دعوة لهم إلى المفسدة.. فإننا- ومع الخط العام- نقول: إن كان وجه المرأة جميلاً.. جمالاً فتاناً.. يمكن أن يأتي بآثار على كل من يراها، ففي هذه الحالة يجب أن تستر وجهها.

أما المرأة العادية، فلا ضرورة لأن تستر وجهها وكفيها، ولذلك أقول عن النقاب.. إن النقاب لا مفروض ولا مرفوض.

ولقد تحدثنا في هذا الفصل عن الحجاب بالنسبة للمرأة، وكيف أنه لصالحها ولأمنها، وليحفظ لها بيتها وزوجها، وأنه من مصلحة المرأة- قبل غيرها- أن يكون الحجاب عاماً.. وألا يختلط الرجال والنساء، وأن المرأة التي تسمح لنفسها.. بأن تفتن أزواج غيرها بدعوى الحرية أو غير ذلك.. لابد أن تسمح لغيرها بأن تخطف منها زوجها..

ورسول الله ﷺ يقول:

«تتكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ((٩/٧))، مسلم ((١٤٦٦))، أبو داود ((٢٠٤٧))، ابن ماجه

((١٨٥٨))، أحمد ((٤٢٨/٢)).

## شروط وأحكام الحجاب

إن أحكام الحجاب لم تنمر ثمرتها، ولا أعطت نتيجتها الطيبة في المجتمع الإسلامي في الماضي، إلا لأن الناس في ذلك المجتمع قد آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وكفروا بكل أرباب الأرض حتى أشربوا في قلوبهم روح الإسلام ومقاصده وغاياته وأهدافه السامية، وأصبحت تصوراتهم ومعاييرهم ومقاييسهم إسلامية محضة.

فما يريده الله ورسوله، وما يؤثرائه ويُفضلانه، وما يُقرّنه للناس في ديناهم إنما هو الحق المبين الذي لا ريب فيه يتمسكون بكل قوة ويمثلونه في حياتهم مهما كانت تصورات غيرهم مختلفة، ومهما كان ظلم عاداتهم وتقاليدهم وطغيان العرف الذائع بين ظهرانيهم.

فالمسلم يتلقى أمر ربه ﷻ ورسوله ﷺ ويتحرك به ثَوّاً، ويمضي في سبيله حاداً حاسماً لا يهيمه ما عليه هذه الكتل البشرية النائية الضالة الداهلة عن حقيقتها وعن مصيرها الأسود.

هذا هو الإيمان الأصيل الذي خالط بشاشة قلوب الرعيل الأول من المؤمنين وهو الذي دفع نساء الأنصار أن يقمن فور سماع قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْمُرُهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ الشَّيْعِينَ غَيْرَ أُولَئِكَ الْإِزْنَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِ نِسَاءٍ ﴾ [النور: ٣١].

يقمن إلى مروطن فيشققنها ويعتجن بها حتى جئن في صلاة الغداة وكان على رؤوسهن الغربان، ولذلك أثنت عليهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فلم تتعلل أيّ منهن بالخوف من ذهاب الأناقة أو قسوة الحرّ صيفاً، وكُنَّ يعشن في بلاد جافة شديدة القیظ صيفاً، ولم تقع منهن كلمات عصرية، وكذلك كانت أمهاتنا وكان الناس.

لم تشدق واحدة قائلة: (اقنعوني بضرورة هذا الأمر) ولم تُلدّ إحداهن بالحررية والانتلاقية إلى غير ذلك مما أملت الشياطين على أبناء هذا الزمن المنكوبين.

يكفيهن أن هذا الأمر (فليضربن) منزلٌ من عند الحق سبحانه، وجاء من فوق سبع سموات ليحرك ذلك المجتمع المبارك في اتجاه يرضاه الله ويمقت ما عدا ذلك مقتاً كبيراً.

ونحن إذا أردنا أن نعيد التجربة بنفس النجاح الذي حققه المسلمون الأوائل فلا بد من هيئة أسباب هذا النجاح لابد أن يكون جهاز الاستقبال مُعافٍ من العطب حتى ينفعل بإشارات الإرسال بطريقة صحيحة.

إذن: لابد أن يكون الموجه إليهن هذه الأحكام والتعليمات الإلهية يتمتع بالقوة الإيمانية والخلقية ذاتها التي كان عليها فضليات الإسلام الأوليات، وبقدر التفاوت في هذه القوة الإيمانية يكون التباين والاختلاف في النتائج.

فمنهن من سوف تدعن إذعائنا كاملاً لأمر ربنا ﷻ، وستكون حيث يريدنا الحق سبحانه، وهؤلاء سيدخلون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومنهن من سوف تؤمن ببعض وتكفر ببعض، وما جزاء من تفعل ذلك

منهن إلا الخزي في الدنيا والآخرة.

ومنهن من سوف تكفر به كله وتتولى على أعقابها، وهؤلاء سيذقن عذاب الهون بكفرهن.

وبعد ذلك غمضي قُدماً لنوضح صورة الحجاب الإسلامي من واقع كتاب الله سبحانه وتعالى والسنة الصحيحة لرسول الله ﷺ.

(أ) **القدر الذي يجب أن يستتره النوب : مواصفات ذِي المرأة المسلمة :**

يقول الحق سبحانه:

﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].  
(الخُمُر) جمع خمار وهو غطاء الرأس.

و(الجيوب) مفردها جيب وهو النحر (العنق) مع مُقدّم الصدر، والمطلوب أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر. كيف؟

إنكن أكثر دراية منا في هذا الشأن..!!

عرفنا الآن حدود الحجاب من أعلى، ولكن أين حدوده من أسفل؟

الجواب في الآية ذاتها:

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

زينة الأرجل هي الخلاخيل، ولما كنَّ يخفينها بأثواب طويلة سابغة كما ندلنا الآية الكريمة فإنهن كنَّ يضربن بأرجلهن حتى تعلن هذه الزينة عن نفسها من وراء الحجاب.

إذن: فلا بد، بموجب هذه الآية الكريمة ستر الساقين حتى مكان الزينة منهما، أي: العقيين.

ويقول رسول الله ﷺ عندما دخلت عليه أسماء بنت أبي بكر بثياب رفاق: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت اغيض لم يصح أن يُرى منها إلا هذا، وهذا»<sup>(١)</sup> وأشار إلى وجهه وكفيه.

وتحكي السيدة عائشة رضي الله عنها: (كُنَّ نساء المؤمنات يشهدن مع النبي ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى يوقن حين يقضين الصلاة لا يعرفن من الغلس)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحكاية من السيدة عائشة رضي الله عنها، والأخرى التي أثبت فيها على نساء الأنصار لحسن امتثالهن لأمر الحق سبحانه وتعالى تدلان على كيفية ترجمة توجيهات الله ورسوله ﷺ إلى سلوك وواقع في المجتمع الإسلامي.

وعندما يقول رسول الله ﷺ في حديث:

«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر إليه يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

فكيف يصنع النساء بذيوطن؟ فيحييها (يرعين شراً).

فتقول: إذن تنكشف أقدامهن، فيقول النبي ﷺ:

«فيرعينه ذراعاً لا يزدن عليه» .

(١) حديث ضعيف: أخرجه أبو داود (١٤٠٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٨٦٧)، مسلم (٦٤٥).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، مسلم (٢٠٨٥).

ومعنى هذا الكلام أن المرأة من المؤمنات كانت تجر ثوبها ورداءها على الأرض، فحذر الرسول ﷺ من أن تفعل إحداهن هذا للاحتيال والدلال، ويرى ﷺ أن ترخي المرأة ثوبها شيئاً من نصف الساق أو الكعب حسب أقوال المفسرين. ولكن أم سلمة نحشى ظهور (القدم)، والرسول ﷺ يأبى أبضاً أن يظهر القدم، فيزيد القدر الذي يُرعى إلى ذراع ولا زيادة.

لأن في ذلك ما يكفي لتغطية قدم المرأة مهما بلغت من الطول، ويترك مجالاً للاختيار من الشر إلى الذراع حسب ما يقتضيه طول المرأة. فالرسول ﷺ لا يحب أن يُجرَّ الثوب احتيلاً، ولا يجب كذلك أن يرى القدم.

فعلى المرأة المسلمة إذن أن تتخير السبيل الذي ينأى بها عن الوقوع في أي من هذين المحظورين.

إذن لو نظرنا إلى آثار هذه التعليمات:

هل ظهرت في المجتمع الإسلامي الأول، أو وضعت النساء أصابعهن في آذانهن وانقلبن على أعقابهن؟

نعرف الإجابة من هذه القصة:

تأتي أم ولد لإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف إلى أم سلمة وتسألها:

إني امرأة أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر؟

فترد أم سلمة: قال رسول الله ﷺ: «يظهره ما بعده»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث حسن: أخرجه أبو داود (٣٨٣)، الترمذي (١٤٣)، ابن ماجه (٥٣١)، أحمد

(٢٩٠/٦)، الشافعي (٥٠)، مالك (٢٤)، الدارمي (١٨٩/١).

فأم سلمة سمعت الإجابة آنفاً من الرسول ﷺ .

إذن: فلا بد أنه ﷺ قد سئل عن حل لهذه المسألة من نساء أطلقن ذيوهن وصادفنهن القدر في الطريق، وهذه الأخرى تلتبس حلاً عند أم سلمة.

إذن: لا مفر من التسليم بأنها كانت ظاهرة ماضية في هذا المجتمع الطاهر. من هذا العرض السريع يظهر واضحاً جلياً أن المرأة المسلمة لا يعمل لها أن تظهر من جسمها إلا الوجه والكفين من أعلى ولا يظهر أي شيء من أسفل.

(٢) ومن شروط الزي الإسلامي للمرأة المسلمة كذلك:

ألا يكون الثوب نفسه زينة، وهذا الشرط يُستقًى من مفهوم عموم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١]. وقوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقول رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفأها مؤونة الدنيا فبرجت بعده، فلا تسأل عنهم»<sup>(١)</sup>.

(٣) أن يكون الثوب طفيفاً لا دقيفاً:

نفهم ذلك من قول رسول الله ﷺ:

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١٩/٦)، الحاكم (١١٩/١)، ابن حبان (٥٠)، الطبراني (٣٠٦/١٨) في الكبير.

«ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأشمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.  
وقصة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر لما رآها السيدة عائشة رضي الله عنها بخمار رقيق، فشقته وقالت:

أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها.

(٤) ألا يكون الثوب مجسداً لهيئة الجسم:

نفهم ذلك من قول أسامة بن زيد:

كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي فكسوها امرأتى فقال:

«مالك لم تلبس القبطية؟». فقال أسامة: كسوها امرأتى. فقال ﷺ: «مُرّها فلتجعل تحتها غلالة، فإني أخاف أن تصف حجم عظامها»<sup>(٢)</sup>.

إذن: فالرسول ﷺ يخاف على نساء أمته أن يلبسن ثياباً تصف حجم الجسم، وهذا الشرط يختلف عن الشرط السابق الذي يخشى فيه ظهور اللون لرقعة الثوب.

(٥) ألا يكون الثوب مُعطرًا ولا مُبخرًا:

لقوله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»<sup>(٣)</sup>.

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢/٢٨)، أحمد (٢/٣٥٦)، البيهقي (٢/٢٣٤) في سننه الكبرى.

(٢) حديث ضعيف: أخرجه الحاكم (٤/١٨٧)، ابن سعد (٤/٤٥١)، البيهقي (٢/٢٣٤).

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤١٧٣)، أحمد (٤/٤٠٠)، الترمذي (٢٧٨٦).



(٦) ألا يشبه ثوب المرأة المسلمة ثوب الرجل:

لقوله ﷺ: «ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال»<sup>(١)</sup>.

(٧) ألا يشبه ثوب المرأة المسلمة أزياء الكافرات:

لأن المسلمين مطالبون في كثير من آيات القرآن الكريم ألا يتبعوا أهواء الكفار بعد ما جاءهم من البينات من ربهم.

وكان رسول الله ﷺ يتحرى مخالفة الكفار في كل شيء حتى في الهياكل البسيطة مثل: فرق الشعر أو إسداله.

وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص: رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»<sup>(٢)</sup>.

(٨) ألا يكون الثوب ثوب شهرة:

لقول النبي ﷺ:

«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألجم فيه ناراً»<sup>(٣)</sup>.

إما إذا كان وجه المرأة فيه جمال فتان يمكن أن يؤثر على من يراه فهنا إذن ينبغي أن تستر هذه المرأة وجهها.

أما المرأة العادية فترى أنه لا ضرورة لأن تستر الوجه والكفين.

إذن: فالحجاب مفروض على جميع النساء المسلمات، أما النقاب فلا هو مفروض ولا هو مرفوض.

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٢/٢٠٠)، أبو نعيم (٣/٣٢١) في الحلية وله شواهد.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٦٤٧)، البيهقي (٥/٦٠).

(٣) حديث حسن: أخرجه أحمد (٢/٩٢)، أبو داود (٤٠٢٩)، ابن ماجه (٦/٣٦٠).

## فقہ المرأة في النقاب

نأتي للنقاب وهو غير مفروض وغير مرفوض.

فالذين يرفضونه لا يحق لهم ذلك، واحدة تغطي وجهها مالك أنت وما دخلك؟

ولماذا لم تتدخل في حال المترجحة؟

لماذا تضيق على المنقبات وتترك المترجات؟

حتى تعرفوا ببساح كل شيء يغري بالتحلل.

احضر مرة حفلة لمعهد رياضي تجد الفتيان لابسين بنطلونات طويلة، والبنات لابسين فراشة، ضب قولوا لي الرياضة تنفع بالبنطلون أم بالفراشة؟

مسائل كلها معروفة ومقصودة وهذه مخطلطات اليهود ولو قرأتم بروتوكولات حكماء صهيون لوجدتم هذه الأشياء منصوفاً عليها لإفساد المسلمين.

وبالنسبة للطالبات المنقبات لماذا لا يؤتى بموظفة على باب الجامعة أو في الامتحان وما أكثر الموظفين للتأكد من شخصية الفتاة المتقبة ولا داعي لكل هذا العنت والتضييق وعلى ذلك فما دام النقاب لا هو مفروض ولا هو مرفوض، فالإتزام به يرجع لحرية البنت الشخصية.

الغريب أن كثيرات من السيدات يشكون من أزواجهن بمنعهن من ارتداء الحجاب، شيء عجيب، زوجة تقول لك لا أريد أن يراني أحد غيرك، تقول لها: لازم كل الناس تشوفك هذه ليس لها إلا معنى واحد، هو يريد أن تظل هي

مكتشوفة حتى يكشف له من الغير المساتير حتى بعض الأمهات مع الأسف يمنعن  
بناتهن من الحجاب لأنها تخجل من نفسها أن ينتها تتحجب وهي ما زالت  
متبرجة، شيء غريب وعجيب.



## فقہ وأحكام عورة المرأة

إن ستر الجسم أمر شرعي لا جدال فيه.. والعلماء قد اتفقوا على أن جسم المرأة كله عورة، ومنهم من قال: ما عدا كفيها ووجهها.. وقد زاد أبو حنيفة ورجليها حتى الكعبين.

إذن: فلا يجوز شرعاً للمرأة أن تكشف إلا عما قال به العلماء.

وهذا هو المفهوم من قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَجَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيسِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>  
[الأحزاب: ٥٩].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأسماء بنت أبي بكر:

«يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت الحيض لا يجوز لها أن تظهر إلا كفيها ووجهها»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن المرأة إذا سترت شعرها ويديها وكشفت رجليها، تكون قد ارتكبت أمراً محرماً وخالفت شرع الله تعالى، وعليها أن تسارع بستر رجليها حتى لا تتماذى في معصية الله، فينالها العقاب من الله.

وهنا سؤال: هل يجوز للمرأة أن ترى عورة المرأة؟

الجواب: نظرة المرأة إلى عورة المرأة، والرجل إلى عورة الرجل حرام، لقوله ﷺ: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»<sup>(٣)</sup>.

وكذا المرأة تحفظ عورتها إلا عن زوجها فقط.

(١) حديث ضعيف: رواه أبو داود (٤١٠٤).

(٢) حديث صحيح: رواه أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٩٤).

## فقہ المسلمة في الغسل

### تغسيل الزوج زوجته بعد الوفاة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رجع إلي رسول الله ﷺ من جنازة، وأنا أجد صداعًا في رأسي وأقول: وأرأساه.. فقال:

«بل أنا وأرأساه ما ضرك لو مت قبلي، فغسلتك، وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟»<sup>(١)</sup>.

والحديث يدل على أن المرأة يغسلها زوجها إذا ماتت، وهي تغسله قياسًا، وقد ثبت أن أسماء غسلت أبا بكر، وأن عليًا - كرم الله وجهه - غسل فاطمة، هذا ولم يقع من سائر الصحابة إنكار على أسماء أو علي - رضي الله عنهما - فكان إجماعًا.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٥٥/٧) (١٠٠/٩)، وأحمد (٢٢٨/٦)، وابن ماجه (١٤٦٥)، وابن سعد (١١/٢/٢) في طبقاته، والدارمي (٣٨/١) في سننه، والبيهقي (٣٩٦/٣) في سننه الكبرى.

## حكم ترك المرأة للصلاة

إن تركت الزوجة الصلاة عمداً وجحوداً وإنكاراً قد ارتدت عن الإسلام ووجبت الفرقة بينها وبين زوجها على الفور.. أما إذا تركتها كسلا مع الإيمان بفرضيتها فعلى الزوج نصحتها وتوجيهها والصبر عليها.

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

وهذا الخطاب للنبي ﷺ ويدخل في عمومه جميع أمته.

وكان النبي ﷺ عقب نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى فاطمة وعليّ رضوان الله عليهما فيقول: «الصلاة».

والله تعالى جعل للرجل ولايته على أسرته وهو مسئول عنها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُلْ أُنَفْسُكُمْ وَأَهْلُكُمْ نَارًا ﴾ [التحریم: ٦].

وفيه دلالة على مسئولية ولي الأمر عن نفسه وعن أسرته.



## حكم صلاة الجمعة للنساء

صلاة الجمعة غير واجبة على الأنثى، لكن إذا حضرت وأدتها أجزأتها عن الظهر، وإن صلت في المنزل فلتصل أربع ركعات ظهرًا.

ومن قال من العلماء بكراهة خروج الجميلة للجمعة خوفاً للفتنة أو حرمة خروجها أو قالوا بأفضلية صلاحها في البيت مطلقاً، فإنما قالوا ذلك حينما كانت صفوف النساء في الصلاة لا يفصلها شيء عن صفوف الرجال، أما الآن وقد خصص في بعض المساجد مكان محجوب للنساء حتى يتعلمن أمور الدنيا فلا حرج من حضور الجمعة مع الاحتشام.

وفي الحديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»<sup>(١)</sup>.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧/٢)، ومسلم (١٣٦) وأبو داود (٥٦٥)، وأحمد (١٦/٢).

## فقہ المرأة في الزكاة

### الصدقة من مال الزوج:

س: هل يحق للمرأة غير العاملة أن تتصدق من مال زوجها؟ وإذا رفض عمل زوجته فهل يحق لها أن تؤدي فريضة الحج عن والدتها المتوفاة براءً بها من مال زوجها؟

ج: يمكن للمرأة غير العاملة أن تتصدق من مال زوجها إذا استأذنته. وكذلك لا يحق لها أن تحج عن والدتها من مال زوجها إلا إذا أذن لها هو بذلك.

### صدقة المرأة بدون إذن زوجها:

س: هل صدقة المرأة في مالها بدون إذن زوجها حرام أم حلال؟  
ج: سألت امرأة رسول الله ﷺ عن حُلِّي لها تصدقت به، فقال لها: «لا يجوز لامرأة عطية في مالها إلا بإذن زوجها»<sup>(١)</sup>.  
وفي لفظ: «لا يجوز للمرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عصمتها». ذكره أهل السنن.

وروى ابن ماجه أن امرأة كعب بن مالك أتت رسول الله ﷺ بحُلِّي لها فقالت: إني تصدقت بهذا فقال: «إنه لا يجوز للمرأة في مالها أمر إلا بإذن زوجها فهل استأذنت كعباً؟» فقالت: نعم، فبعث رسول الله ﷺ إلى كعب، فقال: «هل أذنت لحيمة أن تتصدق بحليها هذا؟» فقال نعم. فقبله رسول الله ﷺ منها<sup>(٢)</sup>.

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٣٤٥٧)، والنسائي (٦٥/٥)، (٢٧٨/٦)، وأحمد (٢٠٧)، وابن ماجه (٢٣٨٨).

(٢) حديث حسن: أخرجه ابن ماجه (٢٣٨٩)، والطيحاوي (٣٥١/٤) في شرح المعاني. وانظر: السلسلة الصحيحة (٨٢٥) للألباني.



## فقه المرأة في الحج

### حيض المرأة قبل طواف الركن:

س: إذا حاضت المرأة قبل أداء طواف الركن من الحج، واضطرت إلى مغادرة مكة قبل الظهور لارتباطها بالفوج الذي نَحَجَّ معه، فماذا تفعل؟  
ج: قالوا: تضع احتياطاً بحيث لا يسيل منها دم، ثم تتوجه مباشرة إلى الحرم وتطوف، لكن تذهب بدنة، أي بقرة، وإن لم تستطع الذبح تصوم.

### لبس المرأة في الإحرام:

س: ما هو لبس المرأة في الإحرام؟  
ج: اللبس العادي للمرأة هو لبس الإحرام.

### حج المرأة بغير إذن زوجها؟

س: هل يجوز حج المرأة بغير إذن زوجها؟  
ج: لا، يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها في الخروج إلى الحج الفرض فإن أذن لها خرجت، وإن لم يأذن لها خرجت بغير إذنه لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة، لأنها عبادة وجبت عليها ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولها أن تعمل به لتبرئ ذمتها، كما لها أن تصلي أول الوقت وليس له منعها. ويلحق به الحج المنذور لأنه واجب عليها كحجة الإسلام وأما حج التطوع فله منعها منه.



## فقہ المرأة في أحكام وشروط الزواج والخطبة

الزواج عقد لا يتم إلا بالإيجاب والقبول بشروطهما الشرعية.

الإسلام يعتبر الزواج ميثاق عقد، على أساس التفاهم المتبادل بين الطرفين الرجل والمرأة.

وأركانها: الإيجاب والقبول والشهود والإعلان، فلو أن خاطبًا ومخطوبته أعلنوا إرادتهما بتراضيتهما في الاقتران وأشهدا شاهدين معترين شرعًا ولم يكن ثمة مانع من زواجهما، تم عقد الزواج بينهما سواء أكان ذلك أمام مأذون أو قاض، والزواج في هذا يعتبر صحيحًا من الوجهة الدينية.

**ويمكن إجمال شروط الزواج والخطبة كالآتي:**

١- طلب الرجل امرأة معينة للزواج بها، والتقدم إليها وإلى ذويها والأفضل أن يرى الخاطب مخطوبته وترى المخطوبة خاطبها، حتى تأتلف القلوب ولا تندم بعد فوات الوقت فهي ليست بعقد فما زالت مخطوبة.

٢- ومن حق الخاطب أن ينظر إليها: أي إلى المخطوبة مع محرم لها، لقول رسول الله ﷺ: «أذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»<sup>(١)</sup>.

٣- لكل من الخاطب والمخطوبة العدول عن الخطبة، وإذا عدل الخاطب عن خطبته، أو ردت المخطوبة خاطبها، ترد الهدايا كالحلي وغيرها إلى مهديها، إن كانت قائمة أما إذا استهلكك، كالأطعمة والعطور فلا يرد بدلها شيء.

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٠٨٧)، والنسائي (٦٩٦/٧٠)، وأحمد (٢٤٦/٤)، وابن أبي شيبة (٣٥٥/٣)، وابن حبان (١٢٣٦).

- ٤- إن ما يدفعه الخاطب لمخطوبته على أنه من المهر، ومات قبل العقد الشرعي يكون بوفاته حقاً لورثته، ولا شيء منه للمخطوبة شرعاً.
- ٥- إذا صارت الشبكة جزءاً من المهر اتفاقاً، أو عرفاً أخذت حكمه، وكان من حق ورثة الخاطب استردادها إن كانت قائمة ومثلها أو قيمتها إن كانت هالكة أو مستهلكة، ما دام العقد لم يتم.
- ٦- إذا لم تكن الشبكة جزءاً من المهر بالاتفاق أو العرف في هذه الحالة تكون هدية وهبة يمتنع الرجوع فيها بموت الواهب، أو الموهوب له.



## صفات الزوجة المسلمة

أفضل صفات المرأة المسلمة حين تكون زوجة تلخصها لنا في إيجاز بليغ أم إلياس في نصائحها ووصاياها لابنتها قبل زواجها إنما تقول لابنتها:

«أي بنية: اعلمي لو أن امرأة استغنت عن الزوج لِعَنَى أهلها لكنت أغنى الناس، ولكنّ النساء للرجال خُلُقن ولهن خُلُق الرجال، وبأبنتي احفظي عني عشر حصال تكن لك زخراً:

أما الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالرضا والقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع أنفه وموقع عينه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فاهدوء عند منامه، والتفقد لوقت طعامه، فإن مرارة الجوع ملهية، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حشمه وعياله.

وأما التاسعة والعاشرة: فإياك أن تعصي له أمراً، أو تفشي له سرّاً فإنك إن عصيت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره وأعظك بعد ذلك من الفرح إن كان ترحاً ومن الترح إن كان فرحاً<sup>(١)</sup>.

(١) وكما أن المرأة تعدل بها الاتصاف بهذه الصفات، فلها حقوق على زوجها، ولجملها كالتالي:

### (١) الوصية بحسن العشرة

قال الله تعالى: ﴿وَعَادِرُواْ مَنْ يَلْمِزُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَ لَكُمْ تَرَكَهُنَّ شَيْئًا وَيَعْمَلِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا صَفِيحَةً ١٩﴾ [النساء: ١٩]

« ودعا النبي ﷺ إلى حسن عشرة النساء، والقيام بحقوقهن، فروى معاوية بن حيدة - رحمه الله - فقال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ فقال ﷺ: « أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهرج إلا في البيت » [حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٢/٢)، والنسائي (٢٦٩) في (العشرة)، وابن ماجة (١٨٥٠)، والحاكم (٢/١٨٨-١٨٧) وصححه، وأقره الذهبي].

ويروي أبو هريرة - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ قال: « استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإذا ذهب نعيمه كسوته، وإن تركته لم يزل أعوجاً، فاستوصوا بالنساء خيراً » [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨)، وابن أبي شيبة (٢٧٦/٥)، والبيهقي (٢٩٥/٧) في سننه الكبرى].

وعنه أيضاً - رحمه الله - قال النبي ﷺ: « لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضی منها آخر، أو غيرها » [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٦٩)، وأحمد (٣٢٩/٢)، والبيهقي (٢٩٥/٧) في سننه الكبرى].

وتقول عائشة رضي الله عنها: « ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب امرأة، ولا خادماً له قط، ولا ضرب يده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، أو تنتهك حرمة الله، فينقم الله » [حديث صحيح: أخرجه مسلم (٧٨)، (٧٩)، والترمذي (٣٣١)، والنسائي (٢٨١)، (٢٨٣) في (العشرة)، وابن ماجة (١٩٨٤)، والدارمي (١٤٧/٢) في سننه].

## (٢) الإطعام والكسوة

روى حابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع: « اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضرباً غير مبرح، وكن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأحمد (٣١٣/٣)، وابن خزيمة (٢٨٠٩)، وابن حبان (٩/٣)].

وإذا قصر الرجل في القيام بهذا الحق فإنه أغم، كما روى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيَّع من يَفُوت » [حديث صحيح: أخرجه مسلم

= (٩٩٦)، وأبو داود (١٦٩٢)، وأحمد (١٦٠/٢، ١٩٣، ١٩٥)، والبيهقي (٤٦٧/٧) في سننه الكبرى].

ويقول الله ﷻ: ﴿لِيُثَبِّتَ دُونَكَ مِنْ نَفْسٍ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُثَبِّتْ بِمَا نَفَثَ اللَّهُ لَا يَكْتِفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا نَفَثَ سَبْحَلُ اللَّهِ نَفْثَ عَشْرٍ مِثْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٧].

ويسمى النبي ﷺ بمشاعر الزوج المسلم، ويعضه على احتساب الأجر والثواب في نفقته على أهله، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يَحْتَسِبُهَا، فهي له صدقة» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢١/١)، (٨٠/٧)، ومسلم (١٠٠٢)، والنسائي (٦٩/٥)، وأحمد (١٢٠/٤، ١٢٢)، والطبراني (١٩٦/١٧) في الكبير].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَنفِقَ نَفَقَةً تَبْغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي امْرَأَتِكَ» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٢/١)، (١٠٣/٢)، ومسلم (١٦٢٨)، وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦)، والنسائي (٢٤٢/٦)، وأحمد (١٧٩/١)].

### (٣) تعليمها العلم الشرعي

قال الله تعالى: ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا نَوْمًا أَوْ أَفْشَىٰ نَارًا وَلَقَدْ يَكُونُ نَارًا وَقُودًا لِأَنفُسٍ وَأَلْجَازُهُ﴾ [التحریم: ٦]. أي: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية، بالقيام بما أمرتم به، والانتفاء عما نهيتهم عنه، وقوا أهلهم دخول النار فعلموهم الخير، وأدبواهم بالعمل الصالح، واغفواهم عن الشر.

### (٤) المحافظة على شعورها

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٢٨]. ويقول الرسول ﷺ: «إِنْ مِنْ أَشَرِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مِزْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُلْغِزِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُلْغِزِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يُنْشَرُ سِرْهَاهُ» [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٣٧)، وابن أبي شيبة (٣٩١/٤) في مصنفه، والبيهقي (١٩٤/٧) في سننه الكبرى].  
ويروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا، وَخَيْرَهُمْ خِيَارَكُمْ لَسَالِكُمْ» [حديث حسن: أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢٥٠/٢، ٤٧٢)، والدارمي (٣٢٣/٢)].

### (٥) الإعفاف وتلبية نداء الغريزة

روى عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: «فلا تفعل، صُم وأفطر، وقُم ونم، فإن جسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥١/٣)، (٤٠/٧)، ومسلم (١١٥٩)، والنسائي (٢١١/٤)، وأحمد (١٩٨/٢)، والبيهقي (٢٩٩/٤)]. وقد سما النبي ﷺ بهذا الحق، وحض الرجال على القيام به، فحمله من الصدقات التي يتصدق بها الرجل.

فمن أبي ذر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «وفي بضع أحدكم صدقة». [بضع: جماع، وهو معاشرة الرجل زوجته]. قالوا: يا رسول الله، أياي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ فقال ﷺ: «أرجو لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال، كان له أجر» [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٠٠٦)، وأحمد (١٦٨/٥)، والبيهقي (١٨٨/٤)، والبخاري (١٦٤٤)].

### (٦) القسم بين الزوجات

روى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشفه مائل» [حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٦٣/٧)، وابن ماجه (١٩٦٩)، وأحمد (٣٤٧/٢)].

وكان معاذ بن جبل -رضي الله عنه- له امرأتان، فإذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الأخرى ماء، وكانت له امرأتان مائتا في الطاعون، فأسهم بينهما أيهما تدل أولاً، فأما الحب فعارج عن القدرة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْهَا لَئِنْ تَعْدَلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَئِنْ حَرَضْتُمْ عَلَيْهَا﴾ [النساء: ١٢٩].

وبروي أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة قيل لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٨)، (٢٨٤)، وأحمد (٢٩١/٣)، والبيهقي (٢٣٢٣)].

- وتروي عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أفرغ بين نسائه، فأبتهن خرج سهمها، خرج لها معه [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٥٩٣)، (٢٦٨٨)، ومسلم (١٤٦٣)، وأبو داود (٢١٣٨)، والنسائي (٣٧) في العشرة، وابن ماجه (١٩٧٢)].

#### (٧) عدم التجسس على الزوجة

روى جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ (كان يكره أن يأتي الرجل أهله طروقاً). وفي رواية أخرى: لعن النبي ﷺ «إذا أطال الرجل الغيبة أن يأتي أهله طروقاً، لئلا يتخوفهم. أو يطلب عثراتهم» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٤٣)، ومسلم (١٩٣٨)، وأبو داود (٢٧٧٣)، والنسائي (٢٦٠) في «العشرة»، وأحمد (٢٩٩/٣)]. والظروق هو الهجاء بالليل من السفر أو من غيره على غفلة.

#### (٨) تحمل أذاها والتصر عليها

يروى النعمان بن بشير - رضي الله عنه - فيقول: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة - رضي الله عنها - عالياً، وهي تقول: والله لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي. فأهوى إليها أبو بكر ليطلمها، وقال: يا ابنة فلانة، أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فأمسكه رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، كيف رأيت أنفقتك من الرجل؟!». ثم استأذن أبو بكر بعد ذلك، وقد اصطالح رسول الله ﷺ وعائشة، فقال: أدعلائي في السلم، كما أدخلتماني في الحرب، فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلنا، قد فعلنا» [حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٩٩)، والنسائي (٢٧٣) في «العشرة»، وأحمد (٢٧٢/٤)].

#### (٩) المحافظة على ماله

أعطى الإسلام المرأة حق الملكية، فلا يجوز للزوج أن يأخذ من ماله شيئاً قل أو كثر إلا عن رضا نفس، وطيب قلب، فهي صاحبه، ولها التصرف فيه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَنْ يَكُونَ عَنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ لِنَفْسٍ فَكُلُوهُ هَبْطًا شَرِيفًا﴾ [النساء: ٤]. والنحلة في كلام العرب: الواجب، فلا ينعكس الرجل المرأة بشيء واجب لها، ألا وهو المسمى بالمهر. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَ فَلْيَمْسِكْ زَوْجَ وَتَشْتَرِ بِمَنْ يَمْسِكُ فَلَا يَأْخُذُوا بِثَمَّةٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِهِنَّ وَتَمْسِكْ بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٠].



## المرأة الصالحة متاع الدنيا والآخرة

قالت أم سلمة - رضي الله عنها - لرسول الله ﷺ: أخبرني يا رسول الله عن قول الحق ﷻ: ﴿ حُورٌ عِينٌ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ حُورٌ ﴾ معناها بيض، و﴿ عِينٌ ﴾ معناها: ضخام شعر.. والهوراء في منزلة جناح النسر قالت: أخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ آبَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ ﴾ . فقال ﷺ: « صفاؤهن كصفاء الحمره أي اللؤلؤ الحر، الذي في الأصداق لا تمسه الأيدي.

وقالت أم سلمة: يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ حَبِيرٌ حِسَانٌ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه، فقالت: فأخبرني يا نبي الله عن قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ . فقال ﷺ: « رقيقهن كرقعة الجلد الذي في داخل البيضة فيما يلي القشرة . » وقالت أم سلمة أخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ .

### (١٠) الوفاء وحسن الذكر

حفظ النبي ﷺ عهد زوجته خديجة - رضي الله عنها - في حياتها، فلم يسبب لها أي إساءة، ولم ينس ذكرها بعد موتها، تقول عائشة - رضي الله عنها - : ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، هلكت قل أن يتزوجني، من كثرة ذكر الرسول ﷺ إياها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يمعنها في صدائق خديجة، فرما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟! فيقول ﷺ: « إفا كانت، وكانت، وكان لي منها الولد » [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥)، والترمذي (٣٨٧٥)، والبيهقي (١٥٨/١٤) في شرح السنة].

فقال رسول الله ﷺ: «هن اللاتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شططاً خلقهن الله يوم القيامة بعد الكبر فجعلهن عذارى عُرُبًا متعشقات محبات، أتراباً على ميلاد واحد أي في سن واحدة» .

فقالت أم سلمة: يا رسول الله: أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟

فقال النبي ﷺ: «هل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة» .

فقالت أم سلمة: يا رسول الله وبم ذلك؟

فقال ﷺ: «بصلاقتن وصيامتن وعبادتن لله ﷻ، ألبس الله وجوهن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلبي مجامرهن الدر، وأمشاظهن الذهب يقلن: نحن الخالدات، فلا تموت أبداً، ونحن الناعمات، فلا نئس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات، فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كُنَّ له وكان لنا» .

فقالت أم سلمة: يا رسول الله: المرأة منا قد تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة، فمع أي الأزواج تكون؟

فقال النبي ﷺ: «يا أم سلمة إنما تُتخير، فتختار أحسنهم خُلُقاً فتقول: يارب: إن هذا كان أحسن خُلُقاً معي، فزوجنيه. يا أم سلمة: إنَّ حُسْنَ الخُلُقِ بخيري الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

والمرأة الصالحة هي المرأة التي استقامت على المنهج الذي وضعه لها حسن خلقها، فما دامت هي صالحة تكون قاتنة، والقنوت هو دوام الطاعة لله، ومنه

(١) حديث ضعيف: رواه الطبراني كما في المجموع.

قنوت الفجر الذي نقتته.

والمرأة القائنة خاضعة لله، إذن فحين تكون خاضعة لله تلتزم بمنهج الله وأمره فيما حكم به من أن الرجال قوامون على النساء.

والحق سبحانه يقول: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

فوصف الصالحات بأنهن حافظات للغيب يدل على سلامة العفة، فالمرأة حين يغيب عنها الراعي لها والحامي لعرضها كالأب بالنسبة للبنات، والابن بالنسبة للأم، والزوج بالنسبة للزوجة.

فكل امرأة في ولاية أحد لابد أن تحفظ غيبته، فتحافظ على عرضها وعلى مال زوجها في غيبته، فتتظر المنافذ التي تأتي منها الفتنة وتمتنع عنها، فلا تخرج إلى الطرقات إلا لحاجة ماسة أو ضرورة، كي لا ترى أحداً يفتنها أو يُفتن بها، لأن هذه هي مقدمات الحفظ.

ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي: بالمنهج الذي وضعه الله لأن تحفظ المرأة غيبة زوجها، وهي لا تحفظه بمنهج من عندها، بل بالمنهج الذي وضعه خالقها وخالقه.

ومنهج الله في هذا ألا تعرض المرأة نفسها إلى إدراك، فينشأ عن الإدراك وحدان، ثم نزوع، فكل شعور في الإنسان له ثلاث مراحل:

مرحلة أن يدرك، ومرحلة أن يجد في نفسه، ومرحلة أن ينزع، أي يحول الأمر إلى سلوك.

فالمرأة لكي تكون حافظة للغيب عليها أن تغض بصرها إن اضطرت للخروج.

ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣١].

فالمرأة إن لم تغض النظر يحدث التفات عاطفي، ولذلك يتدخل التشريع من أول الإدراك، لأن الذي خلقنا علم أننا إن أدركنا جمالاً، نظرنا له، وستولد عندنا مواجيد بالنسبة للأشياء التي نراها ونشتتها، وساعة يوجد إدراك واشتهاء، والاشتهاء لا يهدأ إلا بنزوع، فبين لك الشرع:

أنا رحمتك من أول الأمر، وتدخلت من أول المسألة، أي من أول الإدراك، وكل شيء تدخل فيه عند النزوع إلا المرأة فقد تدخلت فيها من أول الإدراك؟ لذلك أمر الحق سبحانه الرجل أن يغض البصر. وكذلك أمر المرأة.

لماذا؟ لأنك إن أدركت فستجد، وإن وجدت فستحاول أن تنزع، ونزوعك سيكون عريضة في أعراض الناس، وإن لم تنزع فسيبقى عندك كبت.

لذلك حسم الحق سبحانه المسألة من أولها وقال:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠-٣١].



## فقه وحكمة الزواج

إذا نظرنا إلى كلمة (امرأة) وجدنا أنَّ لها مقابلاً، وهو (رجل) فالمرأة (أي الأنثى)، والرجل (أي الذكر) لو نظرنا إليهما لوجدنا أنَّ هناك جنساً يجمعهما وهو الإنسان، والجنس هو ما يمكن أن ينشأ منه نوعان، أي منه ينشأ أفراد متساوون.

فنحن نقول: إن الإنسان (جنس) لأنه ينشأ عنه نوعان هما الذكر والأنثى ولا اختلاف في تكوينهما الحقيقي.

ونحن إذا نظرنا إلى جنس ينقسم إلى نوعين فيجب أن نقول:

إنه لم ينقسم إلى نوعين إلا لأداء مهمتين، وإلا لو كانت المهمة واحدة لظل الجنس واحداً، وانقسامه إلى نوعين يدل على أنَّ كل نوع منهما له خصوصية في ذاته، والجنس يجمع لهما معية خصوصية.

ضربنا في الماضي مثلاً بالزمن، فالزمن جنس يشمل النهار والليل، النهار نور، والليل ظلام، وهما ظاهرتان قد يظن البعض أنَّهما متعارضتان أو متناقضتان.

نقول له: لا، النور لم يأت ليعارض الظلام، ولا الظلام يعارض النور.

ولذلك لا يصح أن نقارن بين نور وظلام لأن لكل واحد منهما مهمة يؤديها لا يستطيع الآخر أدائها.

فالزمن ينقسم إلى ليل ونهار، والزمن بجنسيته له معنى وهو أنه ظرف تحدث فيه الأعمار، هذا هو المعنى المشترك لليل والنهار فكلاهما يشترك في هذا المعنى.

وبعد ذلك ينقسم الزمن إلى نوعين (ليل ونهار) لماذا؟

لأن النهار له مهمة، والليل له مهمة أخرى.

والحق سبحانه وتعالى حينما يعرض هذه القضية يعرضها عرضاً واضحاً:

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [غافر: ٦١].

إذن فقد جاءت علة وجود الليل وهي السكن والهدوء والراحة والاستقرار، والنهار للكدح والعمل.

إذن نحن لا نستطيع أن نقول إن الزمن كنهار دائم ينفع أو كليل دائم ينفع.

والحق سبحانه وتعالى يقول عن ذلك:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآيَاتِكُمْ بَضِيبًا أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ بِآيَاتِكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القمر: ٧١-٧٢].

إذن فالحق سبحانه وتعالى من رحمته جعل الزمن نوعين، وكل نوع منهما يؤدي مهمة معينة، فلو أردنا أن نشبه الليل بالنهار أو النهار بالليل نكون قد خرجنا بالنوعين عما قد خلقهما الله من أجله.

نفس الشيء بالنسبة للرجل والمرأة فالرجل والمرأة نوعان للجنس هو (الإنسان) فكان هناك أشياء تتطلب من كل نوع كإنسان، وبعد ذلك هناك أشياء تتطلب من الرجل كرجل، ومن المرأة كامرأة، بحيث نستطيع أن نقول أنهما كتوعين من الجنس لهما مهمات: مهمات مشتركة كعجن، ومهمات مختلفة كتوعين.

والحق سبحانه وتعالى حينما عرض قضية الليل والنهار، وهي قضية كونية لا يختلف فيها أحد، يأتي الحق سبحانه في هذه القضية ليقدمها إنساناً بالقضية التي يمكن أن يختلف فيها، وهي قضية الرجل والمرأة فقال سبحانه:

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الزلزال: ١-٤].

نوعان للزمن، ونوعان آخران يمكن أن يختلف فيهما فكان الليل مهمة، وللنهار مهمة، وكان تبعاً لذلك للرجل مهمة، وللمرأة مهمة: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

ويأتي الحق سبحانه وتعالى إلى القضية العامة فيقول:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء: ٣٢].

إذن لا يصح أن يتمنى الرجل أن يكون امرأة ولا المرأة أن تكون رجلاً، ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال»<sup>(١)</sup>.

لأن ذلك خروج عن النوعية المقصودة.

وكذلك كل أزواج الحياة.. ومن هنا يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

أي خلق من جنسها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً إذن فحكمة وجود الزوجية في كل من الإنسان والنبات والحيوان التكاثر، والتكاثر في هذه الأشياء يهدف إلى حفظ النوع.

وقد بين الحق سبحانه وتعالى أن لكل نوع من الجنس مهمة يؤديها وهذه المهمة يجب أن يقف عندها، وإذا ما وقف عندها أمكن لكل نوع أن يؤدي مهمته دون تعارض ﴿وَلَا أَلْبَسُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، بل يتساو وتعاطف ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

والذي يفسد الأمر أن نوعاً يريد أن يغير على حقوق نوع آخر أو واجباته، ومن هنا يحدث الفساد في الكون إذن فلكل من المرأة والرجل دور في الحياة خلقه الله ليؤديه ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن خلق الزواج لكي يتعاون الرجل والمرأة في الحياة ويكمل كل منهما الآخر.

فالمرأة والرجل مثل الليل والنهار يختلفان في طبيعة المهمة في الحياة، ولكنهما مع ذلك يتكاملان في أداء المهمة أي يكمل أحدهما الآخر.

فالرجل له وظيفته في السعي على الرزق ورعاية زوجته وأولاده وتوفير أسباب الحياة لهم.

والمرأة لها مهمتها في رعاية البيت وإنجاب الأولاد وتكون سكناً للزوج تمسح عنه الشقاء، ولذلك فإن الحق سبحانه يقول:

﴿وَمِنْ عَآئِنِنَا أَنْ خَلَقْنَا لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلْ



يَبْتَغِيكُمْ مَوْلَاً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَقِرُونَ ﴿[الروم: ٢١].

هكذا حدد الحق سبحانه وتعالى المهمة التكاملية للمرأة والرجل فلا الرجل يصلح لمهمة المرأة في إنجاب الأطفال ورعاية البيت وتربية الأولاد والعناية بهم، ولا المرأة مهمتها الأساسية أن تسعى في سبيل الرزق لتوفر لقمة العيش للرجل، هذا هو القانون السائد الذي وضعه الحق سبحانه في الكون كله تلك هي سنة الله في الكون بصرف النظر عن الإيمان وعدم الإيمان، ومن تمام الحياة أداء الإنسان لمهمته فيها، فلا بد أن يقوم كل إنسان بمهمته، أما إذا انقلبت الموازين ورفض بعض الناس أداء أدوارهم في الحياة، أو حاولوا القيام بأدوار أخرى هم غير مكلفين بها، لم يوحلهم الله تعالى للقيام بها، في هذه الحالة لابد أن يحدث الشقاء المشاكل والتعاسة والفوضى في الحياة.

ويقول الحق سبحانه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦].

وفي قصة نوح: قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ بِبَاخِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

إذن فالزواج هو سنة من سنن الله في الكون، خلقه لإعمار الكون واستمرار الحياة وبقاء الأنواع.

إنّ التزاوج موجود في الإنسان والنبات وفي الحيوان وحتى في الجماد، وهدفه التكاثر والبقاء إلى أن يأذن الله سبحانه وتعالى بالانتهاء.

والزواج بين الرجل والمرأة تترتب عليه مسئوليات اجتماعية كبيرة، ولذلك يلزم الزواج أن يقام على أسس قوية ومتينة لكي ينجح ويستمر، وليس هناك أقوى ولا أبقى من أساس الإيمان ولذلك قال الرسول ﷺ:

«تتكح "النساء" المرأة لأربع: لما لها وجهها وحسبها ودينها، فافقر بذات الدين تربت يداك» .

هناك من يدخل على الزواج بغير منطق الإسلام، فتجده لا يختار من تشاركه حياته بمقياس الدين، ولا يضع نصب عينيه شروط اختيار الزوجة الصالحة التي جاءت في هذا الحديث الشريف:

فالمطلوب ألا تنظر إلى زاوية واحدة في الجمال، بل انظر إلى كل الزوايا، فلو نظرت إلى الزاوية التي تشغل الناس، الزاوية الجمالية، لوجدتها أقل الزوايا بالنسبة إلى تكوين المرأة، لأن عمر هذه المسألة (شهر عسل) وتنتهي، ثم بعد ذلك تبدو المقومات الأخرى.

فإن دخلت على مقوم واحد، وهي أن تكون جميلة فأنت تخدع نفسك، وتظن أنك تريدها سيدة صالون.

هذه الصفة أمدها بسيط في عمر الزمن، لكن ما يبقى لك هو أن تكون أمينة، أن تكون مخلص، أن تكون مدبرة.

ولذلك فالفضل ينشأ في الأسرة من أن الرجال يدخلون على الزواج بمقياس واحد هو مقياس جمال البنية، وهذا المقياس الواحد عمره قصير، يذهب بعد فترة.

وبعد ذلك تستيقظ عيون الرجل للتطلع إلى نواحي الجمال الأخرى، فلا يجدها فيحدث الفضل، لذلك لا بد أن تأخذ مجموعة الزوايا كلها.

وخير الزوايا أن يكون لها دين.

وكذلك المقياس بالنسبة لقبول المرأة للزوج، فخير الزوايا أن يكون له دين،

فقد قال رسول الله ﷺ:

«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»<sup>(١)</sup>.

وعندما استشار رجل سيدنا الحسين بن علي -عليه السلام- قال:

(زوّجها من ذي الدين، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها).

إذن: فالدين يرشدنا إلى أنه لا بد أن ننظر إلى المسألة التي سيكون لها عمر طويل في الحياة الزوجية الممتدة.




---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، (١٠٨٥)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم (١٦٤/٢) وصححه وأقره الذهبي.

## فقہ المرأة المسلمة في المهر

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَهُ فَإِنْ طِغَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْكًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

والمقصود بـ ﴿صَدُقَتِهِنَّ﴾ هو المهور، و النحلة: هي العطية، وهل الصداق عطية؟

لا.. إنه حق وأجر بضع، ولكن الله سبحانه يريد أن يبين لنا:

أي: فليكن إتياء المهور للنساء غلة، أي: وازع دين لا حكم قضاء.

وانظر إلى اللامسات الإلهية والأداء الإلهي للمعاني، لأنك إن نظرت إلى الواقع فستجد الآتي:

الرجل يتزوج المرأة، وللرجل في المرأة متعة، وللمرأة أيضًا متعة أي:

أن كلاً منهما له متعة وشركة في ذلك، وفي رغبة الإنجاب، وكان من المفترض ألا تأخذ شيئاً، لأنها تستمتع وأيضاً قد تجد ولدًا لها، وهي ستعمل في المنزل والرجل سيكدح خارج البيت، ولكن هذه عطية قررها الله سبحانه كرامة للنساء ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَهُ﴾ والأمر في ﴿وَأَتُوا﴾ لمن؟

إما أن يكون للزوج فقوله: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ﴾ يدل على أن المرأة صارت زوجة الرجل، وصار الرجل ملزمًا لها بالصداق، ومن الممكن أن يكون ذنبًا إذا تزوجها بمهر في ذمته يؤديه لها عند يساره، وإما أن يكون الأمر لولي أمرها فالذي كان يزوجه أخته مثلاً، كان يأخذ المهر له ويتركها دون أن يعطيها مهرها، والأمر في الآية-إذن- إما أن يكون للأولياء، وحين يُشرع الحق

سبحانه لحماية الحقوق فإنه يفتح المجال لأربعيات الفضل.

لذلك يقول سبحانه: ﴿ فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْكًا مَرِيكًا ۝ ﴾.

لقد عرّف الحق سبحانه الحقوق أولاً، بمخاطبة الزوج أو ولي الأمر في أن مهر الزوجة لها لأنه أحر البضع، ولكنه سبحانه فتح باب أربعية الفضل فإن تنازلت الزوجة فهذا أمر آخر، وهذا ادعى أن يوصل العلاقة الزوجية وأن يؤدم بينهما، والمراد هنا هو طيب النفس، وإياك أن تأخذ شيئاً من مهر الزوجة التي تحت ولايتك بسبب الحياة، فاللهم أن يكون الأمر عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾.

والهنيء هو الشيء المأكول وتستسيغه حين يدخل فمك، لكنك قد تأكل شيئاً هنيئاً في اللذة وفي المضغ وفي الأكل ولكنه يورث متاعب صحية.

إنه هنئ، لكنه غير مريء، والمقصود هو أن يكون طيب الطعم وليس له عواقب صحية رديئة، وهو يختلف عن الطعام الهنيء غير المريء الذي يأكله الإنسان فيطلب بعده العلاج.

إذن: فكل أكل يكون هنيئاً ليس من الضروري أن يكون مريضاً، وعلينا أن نلاحظ في الأكل أن يكون هنيئاً مريضاً.

والإمام عليّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه وكرم وجهه - جاء له رجل يشتكي وجعاً، والإمام عليّ - كما نعرف - مدينة العلم والفتيا، وهبه الله تعالى مقدرة على إبداء الرأي والفتوى.

لم يكن الإمام علياً طيبياً.. لكن الرجل كان يطلب علاجاً من فهم الإمام

علي وإشراقاته.

قال الإمام علي للرجل: خذ من صدق امرأتك درهمين واشتر بهما عسلاً، وأذب العسل في ماء مطر نازل لساعته - أي: قريب عهد بالله - واشربه فإني سمعت الله يقول في الماء ينزل من السماء: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا ﴾.

وسمعه سبحانه وتعالى يقول في العسل:

﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ [الحل: ٦٩].

وسمعه يقول في مهر الزوجة:

﴿ فَكُلُّوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: ٤].

فإذا اجتمع في دواء البركة والشفاء الهنيء والمريء عافاك الله إن شاء الله. لقد أخذ الإمام علي - رضوان الله عليه وكرم الله وجهه - عناصر أربعة ليمزجها ويصنع منها دواءً ناجعاً، كما يصنع الطبيب العلاج من عناصر مختلفة وقد صنع الإمام علي علاجاً من آيات القرآن.

ويقول الحق سبحانه:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَنَاحٍ مُبِينَةٍ وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

وقلنا: ساعة ينادي الحق سبحانه عباده الذين آمنوا به يقول سبحانه:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، فمعناها: يا من آمنتم بي بمحض اختياركم،

وآمنتم بي إلهاً له كل صفات العلم والقدرة والحكمة والقيومية، ما دمتم قد

آمنتم بهذا الإله استمعوا من الإله الأحكام التي يطلبها منكم.

إذن فهو لم يناد غير مؤمن وإنما نادى من آمن باختياره وبترجيح عقله فالحق سبحانه يقول:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾  
[البقرة: ٢٥٦].

يريد الحق سبحانه وتعالى أن يعالج قضية تتعلق بالنساء باستضعافهن، لقد جاء الإسلام والنساء في الجاهلية في غبن وظلم وحيف عليهن، فقال الحق سبحانه:

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۚ .

وكلمة (ورث) تدل على أن واحداً قد توفي وله وارث، وهناك شيء قد تركه الميت ولا يصح أن يرثه أحد بعده، لأنه عندما يقول:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا ۚ ﴾ فقد مات مورث، ويخاطب وارثاً.

إذن: فالكلام في الموروث، لكن الموروث مرة يكون حلالاً، ولذلك شرع الله تقسيمه، لكن الكلام هنا في متروك لا يصح أن يكون موروثاً، ما هو؟

قال سبحانه: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۚ ﴾، فهل المقصود إلا يرث الوارث من مورثه إماء تركهن؟

لا. إن الوارث يرث من مورثه الإماء اللاتي تركهن، ولكن عندما تنصرف كلمة ﴿ النِّسَاء ۚ ﴾ تكون لأشرف مواقعها أي: للحرائر، لأن الأخيرات تعتبر الواحدة منهن ملك بمين، ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۚ ﴾، وهل يوجد

ميراث للنساء برضى؟ وكيف تورث المرأة؟.

ننتبه هنا إلى قوله سبحانه: ﴿كَرَّهًا﴾، وكان الواقع في الجاهلية أن الرجل إذا مات وعنده امرأة جاء وليه، ويلقي ثوبه على امرأته فتصير ملكاً له، وإن لم تقبل فإنه يرثها كرهًا، أو إن لم يكن له هوى فيها فهو يحبسها عنده حتى تموت ويرثها، أو يأتي واحد ويزوجها له ويأخذ مهرها لنفسه، كأنه يتصرف فيها تصرف المالك، لذلك جاء القول الفصل:

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، و (العضل) في الأصل: هو المنع، ويقال: (عضلت المرأة بولدها)، ذلك أصل الاشتقاق بالضبط، فالمرأة ساعة تلد فمن فضل الله عليها أن لها عضلات تنقبض وتنبسط، تنبسط فيتسع مكان خروج الولد، وقد تعضل المرأة أثناء الولادة، فبدلاً من أن تنبسط العضلات - لتفصح للولد أن يخرج - تنقبض، فتأتي هنا العمليات التي يقومون بها مثل القيصرية.

إذن: فالعضل معناه مأخوذ من عضلت المرأة بولدها أي انقبضت عضلاتها ولم تنبسط حتى لا يخرج الوليد، وعضلت الدجاجة بيضها أي: أن البيضة عندما تكون في طريقها لتتزل فتتنقبض العضلة فلا تنزل البيضة، لأن اختلالاً وظلياً قد حدث نتيجة للحركة الناقصة، ولماذا تأتي الحركة ناقصة؟.

لأن الحق سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعل الأسباب في الكون تعمل آلياً وميكانيكياً بحيث إذا وجدت الأسباب تحدث النتيجة، لا، فوق الأسباب مسبب إن شاء قال للأسباب: قفي فتقف.

إذن: فكل المخالفات التي نراها تتم على خلاف ما تؤدبه الأسباب إنما هي دليل طلاقة القدرة الإلهية، فلو كانت الأشياء تسير هكذا ميكانيكياً، فسوف



يقول الناس: إن الميكانيكا دقيقة لا تتخلف، لكن الحق سبحانه يلفتنا إلى أنه يزاول سلطانه في ملكه، فهو لم يزاول السلطان مرة واحدة، ثم خلق الميكانيكا في الكون والأسباب ثم تركها تتصرف، لا، هو يبين لنا:

أنا قيوم لا تأخذني سنة ولا نوم، أقول للأسباب اعلمي أو لا تعملي، وبذلك نلتفت إلى أنه هو سبحانه المسيطر.

وتجد هذه المخالفات في الأشياء الشاذة في الكون، حتى لا تُفتم برتبة الأسباب، ولندكر الله باستمرار، ويكون الإنسان على ذكر من واهب الأسباب ومن خالقها، فلا تتولد عندنا بلادة من أن الأسباب مستمرة دائماً، ويلفتنا الحق سبحانه إلى وجوده، فتختلف الأسباب لتلفتك إلى أنها ليست فاعلة بذاتها، بل هي فاعلة لأن الله سبحانه هو الذي خلقها وتركها تفعل، ولو شاء لعطلها.

وحدث مثل هذا في معجزة إبراهيم عليه السلام حيث ألقاه قومه في النار ولم يحرق، وكان من الممكن أن ينجي الله سبحانه إبراهيم بأية طريقة أخرى، ولكن هل المسألة نجاة إبراهيم؟ إن كانت المسألة كذلك فما كان ليكنهم منه، لكنه سبحانه مكنهم منه وأمسكوه ولم يفلت منهم، وكان من الممكن أن يأمر السماء فتمطر عندما ألقوه في النار، وكان المطر كفيلاً بإطفاء النار، لكن لم تمطر السماء بل وتأجج النار، وبعد ذلك يقول لنا الحق سبحانه:

﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فهل هذا غيظ لهم أم لا؟ هذا غيظ لهم، فقد قدرتم عليه وألقيتموه في النار، وبعد ذلك لم ينزل مطر ليطفئ النار، والنار موجودة وإبراهيم في النار، لكن النار لا تحرقه، هذه هي عظمة القدرة الإلهية.

إذن: فما معنى ﴿ تَعَصُّوهُمْ ۝ ﴾ العضل: أخذنا منه كلمة (المنع)، فعضلت

المرأة أي: قبضت عضلاتها فلم ينزل الوليد، وأنت ستعضلها كيف؟.

بأن تمنعها من حقها الطبيعي حين مات زوجها، وأن من حقها بعد أن تقضي العدة أن تتزوج من تريد أو من يتقدم لها.

إن الحق سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تحبسوهن عندكم وتمنعوهن، لماذا تفعلون ذلك؟ ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان هذا حكم آخر، لا ترثوا النساء كرهًا هذا حكم، وأيضًا لا تعضلوهن حكم ثانٍ.

ومثال ذلك: عندما يكون الرجل كارهاً لامرأته فيقول لها: والله لن أطلقك، أنا سأجعلك موقوفة ومعلقة لا أكون أنا لك زوجًا ولا أمكنتك أيضًا من أن تتزوجي.

وذلك حتى تفتدي نفسها فتري الرجل من النفقة ومؤخر الصداق، ومن أجل ذلك يحمي الإسلام المرأة ويحرم مثل تلك الأفعال.

ولكن متى تعضلوهن؟ هنا يقول الحق سبحانه:

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ لأنهم سيحبسوهن، وهذا قبل التشريع بالحد، وقال بعض الفقهاء:

للزوج أن يأخذ من زوجته ما تفتدي به نفسها منه وذلك يكون بمال أو غيره إذا أتت بفاحشة من زنا أو سوء عشرة، وهذا ما يسمى بالخلع وهو الطلاق بمقابل يطلبه الزوج.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وكلمة «المعروف» أوسع دائرة من كلمة المودة، فالمودة هي أنك تحسن لمن عندك ودًا له وترتاح نفسك له، لأنك فرح به وبوجوده، لكن المعروف قد تبذله ولو لم تكره، وهذه حلت لنا إشكالات كثيرة، عندما أراد المستشرقون أن يبحثوا في القرآن ليجدوا

شيئاً يدعون به أن في القرآن تعارضاً فيقولوا: قرآنكم يقول:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

كيف لا يواد المؤمن ابنه أو أباه أو أحداً من عشيرته بخرد كفره، والقرآن في آية أخرى من سورة لقمان يقول:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

ونقول: إن هؤلاء لم يفهموا الفرق بين المودة والمعروف، فـ «الود» شيء، و «المعروف» شيء آخر.

الود يكون عن حُبٍّ، لكن المعروف ليس ضرورياً أن يكن عن حُبٍّ، ساعة يكون جوعان ساعطيه لياكل وألبي احتياجاته المادية، هذا هو المعروف، إنما الود هو أن أعمل لإرضاء نفسي، وساعة يعطف الرجل المؤمن على أبيه الكافر لا يعطف عليه نتيجة للودِّ، إنما هو يعطف عليه نتيجة للمعروف، لأنه حتى لو كان كافراً سيعطيه بالمعروف.

ألم يعاتب الحق- سبحانه- إبراهيم عليه السلام في ضيف جاء له فلم يكرمه لأنه سأله وعرف منه أنه غير مؤمن لذلك لم يضيِّقه؟

فقال له ربنا سبحانه وتعالى: «أمن أجل ليلة تستقبله فيها تريد أن تغير دينه، بينما أنا أرزقه أربعين سنة وهو كافر؟» فماذا فعل سيدنا إبراهيم؟.

حرى فلحق بالرجل، وناداه فقال له الرجل: ما الذي جعلك تغير هذا التغير المفاجئ؟ فقال له إبراهيم: «والله إن ربي عاتيني لأني صنعت معك هذا» فقال له الرجل: أرثك عاتبك- وأنت رسول- في- وأنا كافر به- فنعم الرب رب يعاتب أحبائه في أعدائه، وأسلم الرجل لله رب العالمين.

هذا هو المعروف، والحق سبحانه يأمرنا أننا يجب أن ننتبه إلى هذه المسائل في أثناء الحياة الزوجية، وهذه قضية يجب أن ينتبه لها المسلمون جميعاً كي لا يُخربوا البيوت، إنهم يريدون أن يبنوا البيوت على المودة والحب فلو لم تكن المودة والحب في البيت لخرب البيت، نقول ضم: لا، بل «عاشروهن بالمعروف» حتى لو لم تحبوهن، وقد يكون السبب الوحيد أنك تكره المرأة لأن شكلها لا يثير غرائذك، يا هذا أنت لم تفهم عن الله، ليس المفروض في المرأة أن تثير غريزتك، ولكن المفروض في المرأة أن تكون مصرفاً، إن هاجت غريزتك كيماوياً بطبيعتها وجدت لها مصرفاً، فأنت لا تحتاج لواحدة تغريك لتحرك فيك الغريزة، ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها» .

أي: أن قطعة اللحم واحدة إن هاجت غريزتك بطبيعتها فأني مصرف يكفيك، ولذلك عندما جاء رجل لسيدنا عمر -رضي- وقال:

يا أمير المؤمنين أنا كاره لأمراتي وأريد أن أطلقها، قال له:

«أو لم تُبِن البيوت إلا على الحب، فأين القيم؟» .

لقد ظن الرجل أن امرأته ستظل طوال عمرها عاطفة لقلبه، ويدخل كل يوم ليقبلها، فبلغته سيدنا عمر إلى أن هذه مسألة وجدت أولاً وبعد ذلك تثبت في الأسرة أشياء تربط الرجل بالمرأة وتربط المرأة بالرجل.

لذلك يقول الحق سبحانه:

﴿وَعَايِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَتَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، أنت كرهتها في زاوية قد تكون الزاوية التي كرهتها فيها هي التي ستجعلها تحسن في عدة زوايا، لكي تعوض بإحسانها في الزوايا الأخرى هذه الزاوية الناقصة، فلا تبن المسألة على أنك تريد امرأة عارضة أزياء لتثير غرائك عندما تكون هادئة، لا، فالمرأة مصرف طبيعي إن هاجت غرائك بطبيعتها وجدت لها مصرفاً، أما أن ترى في المرأة أنها ملهبة للغرائز فمعنى ذلك أنك تريد من المرأة أن تكون غائبة فقط، وأن تعيش معك من أجل العلاقة الجنسية فقط، لكن هناك مسائل أخرى كثيرة، فلا تأخذ من المرأة زاوية واحدة هي زاوية الانفعال الجنسي، وخذ زوايا متعددة.

واعلم أن الله سبحانه وزع أسباب فضله على خلقه، هذه أعطاهها جمالاً، وهذه أعطاهها عقلاً، وهذه أعطاهها حكمة، وهذه أعطاهها أمانة، وهذه أعطاهها وفاء، وهناك أسباب كثيرة جداً، فإن كنت تريد أن تكون منصفاً حكيماً فخذ كل الزوايا، أما أن تنظر للمرأة من زاوية واحدة فقط هي زاوية إهانة الغريزة، هنا نقول لك: ليست هذه هي الزاوية التي تصلح لتقدير المرأة فقط: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وانظر إلى الدقة في العبارة: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا﴾ فانت تكرهه، وقد تكون مُحِقّاً في الكراهية أو غير مُحِقِّ، إنما إن كرهت شيئاً يقول لك الله عنه:

﴿وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فاطمئن فأنت إن كرهت في المرأة شيئاً لا يتعلق بدينها، فاعلم أنك إن صرت عليه يجعل الله لك في بقية الزوايا خيراً كثيراً، وما دام ربنا سبحانه هو مَنْ يجعل هذا الخير الكثير فاطمئن إلى أنك لو تنهت لزواية أنت تكرهها ومع ذلك تصبر عليها، فأنت تضمن أن ربنا سبحانه يجعل لك خيراً في نواح متعددة، إن أية زاوية تغلبت على كرهك سبحانه يجعل الله فيها خيراً كثيراً.

إن الحق سبحانه يطلق القضية هنا في بناء الأسرة ثم يُعمّم، وكان بإمكانه أن يقول:

فعمسى أن تكرهوهن ويجعل الله فيهن خيراً، لا، فقد شاء أن يجعلها سبحانه قضية عامة في كل شيء قد تكرهه، ونأتي الأحداث لثبين صدق الله في ذلك، فكم من أشياء كرهها الإنسان ثم تبين له وجه الخير فيها، وكم من أشياء أحبها الإنسان ثم تبين له وجه الشر فيها، ليدلّك على أن حكم الإنسان على الأشياء دائماً غير دقيق، فقد يحكم بكره شيء وهو لا يستحق الكره، وقد يحكم بحب شيء وهو لا يستحق الحب.

إذن: فالحق سبحانه وتعالى يأتي بالأشياء مخالفة لأحكامك ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقدّر دائماً في المقارنة أن الكره منك وجعل الخير في المرأة من الله، فلا تجعل جانب الكره منك يتغلب على جانب جعل الخير من الله.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مِمَّنْ كُنْتُمْ إِخْدَتُهُنَّ فَطَارَأَ فَلَا تَأْخُذُوا وَبِهِ شَيْءٌ أَنْ تُؤْخَذُوا بِهِ تَسَاءَلُونَ أَهْلَ مَا تُحِبُّونَ﴾ [النساء: ٢٠].

فإذا ضاقت بك المسائل، بعد أن عاشرت بالمعروف ولم يعد ممكناً أن

تستمر الحياة الزوجية في إطار يرضى عنه الله، وخاف أن تنفلت من نفسك إلى ما حرم الله، ماذا تفعل؟ يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مِثْلَ مَثَارٍ﴾ زَوْجٍ أي: لك أن تستبدل ما دامت المسألة ستصل إلى جرح منهج الله، وعليك في هذا الاستبدال أن ترعى المنهج الإيماني مثلما أشار به سيدنا الحسن عليه السلام على الرجل الذي كان يستشير في واحد جاء ليخطب ابنته.

قال سيدنا الحسن عليه السلام: «إِنْ جَاءَكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَوْحُهُ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ كَرِهَهَا، وَإِنْ كَرِهَهَا لَمْ يَظْلَمَهَا».

والحق سبحانه يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مِثْلَ مَثَارٍ﴾ فهذا يعني أن الرغبة قد انصرفت عن الأولى لثانيها، ولا يمكن التغلب عليها بغير الاغتراف عن المنهج، وقد يحدث أن يضيق الرجل بزوجه وهو لا يعاني من إلحاح في الناحية الغريزية، فيطلقها ولا يتزوج، فما شروط المنهج في هذا الأمر؟

يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَتَيْتُمُ احْدَثَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾. كلمة «قِنْطَار» وكلمة «قنطرة» مأخوذة من الشيء العظيم، وقِنْطَار تعني: «المال».

وقدروه قديمًا بأنه ملء مَسْك البقرة، و «المسك» هو الجلد، فعندما يتم سلخ البقرة يصبح جلدها مثل القربة، وملء مَسْكها يسمى قِنْطَارًا، والقِنْطَار المعروف عندنا الآن له سمة وزنية، والحق سبحانه حين يعظم المهر بقِنْطَار يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ احْدَثَهُنَّ قِنْطَارًا﴾ فهو يأتي لنا بمثل كبير وبينانا بقوله ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ لماذا؟

لأنك يجب أن تفهم أن المهر الذي تدفعه ليس منساحاً على زمن علاقتك بالمرأة إلى أن تنتهي حياتكما، بل المهر معمول ثمناً للبضع الذي أباحه الله لك ولو للحظة واحدة، فلا تحسبها بمقدار ما مكنتُ معك، لا، إنما هو ثمن البضع، فقد كشفت نفسك لها لك وتمكنت منها ولو مرة واحدة.

إذن: فهذا القنطار عمره ينتهي في اللحظة الأولى، لحظة تمكُّنك منها.

﴿وَعَاتِيْتُمْ إِحْدَنْهُنَّ قِنْطَارًا﴾ وهذه المسألة التي قال فيها سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «أخطأ عمر وأصاب امرأة» لأنه كان يتكلم في غلاء المهور، فقالت له المرأة: كيف تقول ذلك والله يقول: ﴿وَعَاتِيْتُمْ إِحْدَنْهُنَّ قِنْطَارًا﴾، فقال:

«أصاب امرأة وأخطأ عمر».

عن عمر -رضي الله عنه- أنه لم ي- وهو على المنبر - عن زيادة صداق المرأة على أربعمائة درهم ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش فقالت:

أما سمعت الله يقول: ﴿وَعَاتِيْتُمْ إِحْدَنْهُنَّ قِنْطَارًا﴾ ؟ فقال: «اللهم عفواً كل الناس أفتقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: إني كنت قد لهيتمكم أن تزيدوا في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب».

وعن عبد الله بن مسعود أن عمر -رضي الله عنه- قال: «لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية من فضة، فمن زاد أوقية جعلت الزيادة في بيت المال»، فقالت امرأة: ما ذاك لك، قال: «ولم؟» فقالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَعَاتِيْتُمْ إِحْدَنْهُنَّ قِنْطَارًا﴾ فقال عمر: «امرأة أصابت ورجل أخطأ».

ثم ينكر القرآن مجرد فكرة الأخذ فيقول:



﴿تَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا ثِيَابُكُمْ لِمَا أَنفَضْتُمْ مِنْكُمْ وَإِنْ أَعْدَتْ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ الْمَهْرِ بَعْدَ ذَلِكَ فَآتَى إِذَا رَضِيتَ بِهِ، وَالْإِثْمُ الْمَيْنُ هُوَ الْإِثْمُ الْحَيْطُ.

وَبِأَيِّ الْحَقِّ سَبَّحَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَزِيدٍ مِنَ الْاسْتِنْكَارِ فَيَقُولُ: ﴿وَصَكِّفْ تَأْخُذُونَهُ﴾.

إنه استنكار لعملية أخذ شيء من المهر بحشية الحكم فيقول:

﴿وَصَكِّفْ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

فلو أدركتم كل الكيفيات فلن تعدوا كيفية تبرر لكم الأخذ، لماذا؟.

لأن الحق قال: ﴿وَصَكِّفْ تَأْخُذُونَهُ﴾ وانظر للتعليل: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

إذن: فمن البُضْع هو الإفشاء، وكلمة ﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كلمة من إله، لذلك تأخذ كل المعاني التي بين الرجل والمرأة، و﴿أَفْضَى﴾ مأخوذة من «الفشاء» والفشاء هو المكان الواسع، و﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ﴾ يعني: دخلتم مع بعض دحولا غير مُضَيَّق.

إذن: فالإفشاء معناه: أنكم دخلتم معا أوسع مُدَاخَلَة، وحسبك من قمة المداخلة أن عورتها التي تسترها عن أبيها وعن أخيها وحتى عن أمها وأختها تبينها لك، ولا يوجد إفشاء أكثر من هذا، ودخلت معها في الاتصال الواسع، أنفاسك، ملامستك، مباشرتك، معاشرتك، مدخلك، مخرجك، في حمامك، في

المطبخ، في كل شيء حدثت إفضاءات، وأنت ما دمت قد أفضيت لها وهي قد أفضت لك كما قال الحق سبحانه أيضًا في المداخلة الشاملة:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [النقرة: ١٨٧].

أي شيء تريد أكثر من هذا؟! ولذلك عندما تشد امرأة على زوجها، قد يغضب، ونقول له: يكفيك أن الله أحل لك منها ما حرّمه على غيرك، وأعطتك عرضها، فحين تشد عليك لا تغضب، وتذكر حديث رسول الله ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»<sup>(١)</sup>.

﴿ وَكَفَى تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ والميثاق هو: العهد يؤخذ بين اثنين، ساعة سألت وليها: «زوّجني» فقال لك: «زوّجتك»، ومفهوم أن كلمة الزواج هذه ستعطي أسرة جديدة، وكل ميثاق بين خلق وخلق في غير العرض هو ميثاق عادي، إلا الميثاق بين الرجل والمرأة التي يتزوجها؛ فهذا هو الميثاق الغليظ، أي: غير اللين، والله سبحانه لم يصف به إلا ميثاق الأنبياء فوصفه بأنه غليظ، ووصف هذا الميثاق بأنه غليظ، ففي هذه الآية: ﴿ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ إفضاء، وفي آية أخرى يكون كل من الزوجين لباسًا وسترا للآخر ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ لهذا كان الميثاق غليظًا، وهذا الميثاق الغليظ يحتم عليك إن تعثرت العشرة أن تتحملها وتعاملها بالمعروف، وإن تعذرت وليس هناك فائدة من استدامتها فيصح أن تستبدلها، فإن كنت قد أعطيتها فنتظارًا إياك أن تأخذ منه شيئًا، لماذا؟

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، والدارمي (١٥٩/٢)، وابن سعد (١٤٨/٨)، وابن حبان (١٣١٢).

لأن ذلك هو ثمن الإفشاء، وما دام هذا القطار هو ثمن الإفشاء وقد تم، فلا تأخذ منه شيئاً، فالإفشاء ليس شائعاً في الزمن كي توزعه، لا.

والحق سبحانه يقول: ﴿ وَكَفَيْتَ أَخَذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ هنا يجب أن نفهم أن الحق تعالى حين يشرع فهو يشرع الحقوق، ولكنه لا يمنع الفضل، بدليل أنه قال:

﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هِيَكَامُ شُرَيْكَا ﴾ [النساء: ٤].

إذن: فهناك فرق بين الحق وما طاب لكم، والأثر يحكي عن القاضي الذي قال لقومه: أنتم اخترتموني لأحكم في النزاع القائم بينكم فماذا تريدون مني؟! أأحكم بالعدل أم بما هو خير من العدل؟.

فقالوا له: وهل يوجد خير من العدل؟ قال: نعم، الفضل، فالعدل: أن كل واحد يأخذ حقه، والفضل: أن تتنازل عن حَقِّك وهو يتنازل عن حقه، وتنتهي المسألة، إذن: فالفضل أحسن من العدل، والحق سبحانه وتعالى حين يشرع الحقوق يضع الضمانات، ولكنه لا يمنع الفضل بين الناس: فقول الحق جل شأنه:

﴿ وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ويقول سبحانه في آية الدين:

﴿ وَلَا تَسْمُؤْا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَظُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يأمركم الحق سبحانه أن تؤثّقوا الدين.. لأنكم لا تحمون مال الدائن فحسب بل تحمون المدين نفسه، لأنه حين يعلم أن الدين موثق عليه ومكتوب عليه فلن ينكره، لكن لو لم يكن مكتوباً فقد تُحدثه نفسه أن ينكره، إذن:

فالحق تبارك وتعالى يحمي الدائن والمدين من نفسه حين قال: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾.

وقال سبحانه بعدها:

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي الْوُثِنَ أَمْنَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

فقد تقول لمن يستدين منك: لا داعي لكتابة إيصال وصك بيني وبينك، وهذه أريحية لا يمنعها الله فما دام قد أمن بعضكم بعضاً فليستح كل منكم وليؤد الذي أوثمن أمانته وليتق الله ربه.

وما دام قد جعل للفضل مجالاً مع تسجيل الحقوق فلا تنسوا ذلك.

فما بالنا بالميثاق الغليظ بين الرجل والمرأة.. وغلظ الميثاق إنما ينأى بما يتطلبه الميثاق، ولا يوجد ميثاق أغلظ مما أخذه الله من النبيين ومما بين الرجل والمرأة، لأنه تعرض لمسألة لا تباح من الزوجة لغير زوجها، ولا من الزوج لغير زوجته. إن على الرجل أن يوفي المرأة ولا يصح أن ينقصها شيئاً إلا إذا تنازلت هي.

فقد سبق أن قال الحق سبحانه:

﴿فَإِنْ طِيقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْكًا مَرِيكًا﴾ [النساء: ٤].

ومادامت النفس قد طابت، إذن: فالرضا بين الطرفين موجود، وذلك استطراف أنسي بين الرجل والمرأة.

فالمرح حقها، ولكن يجب ألا يقبض بالفعل، فهو في ذمة الزوج، إن شاء أعطاه كله أو أخره كله أو أعطى بعضه وأخر بعضه.

ولكن حين تنفصل الزوجة بعد الدخول يكون لها الحق كاملاً في مهرها، إن كان قد أخره كله فالواجب أن تأخذه، أو تأخذ الباقي لها إن كان قد دفع

جزءاً منه كمقدم صداق.

ولكن حين تنتقل ملكية المهر إلى الزوجة يفتح الله تعالى باب الرضا والتراضي بين الرجل والمرأة فقال:

﴿ فَإِنْ طِبَّ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْكًا مَرِيكًا ۝ ﴾

فهو هبة تخرج عن تراض، وذلك مما يؤكد دوام العشرة والألفة والمودة والرحمة بين الزوجين.

وبعد ذلك يبقى حكم آخر: هَبْ أَنْ خِلَافَ اسْتِعْرٍ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ..

فماذا يكون العمل؟

في حالة كره الزوجة لزوجها ورغبتها في أن تخرج منه فلا جناح أن تفتدي منه نفسها ببعض المال لأنها كارهة، وما دامت هي كارهة، فسيضطر هو إلى أن يأتي بزوجة جديدة، إذن: فلا مانع أن تحتلع المرأة منه بشيء تعطيه له:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۝ ﴾

[البقرة: ٢٢٩].

الحق سبحانه وتعالى أراد أن يعطينا الدليل على أن حق المرأة يجب أن يحفظ لها، ولذلك جاء بأسلوب تناول مسألة أخذ الزوج لبعض مهر الزوجة في أسلوب التعجب:

﴿ وَكَفَى تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ

رَيْشًا غَليظًا ۝ ﴾ [النساء: ٢١].



## حكم خلع الحجاب في ليلة الزفاف

إن كان الزفاف وسط جمع من النساء فمباح أن تفعل هذا، أما الزفاف الذي نراه الآن من اختلاط الرجال بالنساء فمحرم، ومحرم أن تخلع العروس حجابها.



## حكم تعطر النساء

استعمال المرأة للعطر خارج بيتها حرام، قال رسول الله ﷺ:

«أما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر:

«إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً»<sup>(٢)</sup>.

وقد شدد الإسلام على المرأة، وأمرها ألا تبدي زينتها إلا ما ظهر منها، وألا تعتمد جذب انتباه الرجال في الشوارع، أو في العمل بالعطور وغيرها، وأما زينة المرأة وعطرها لزوجها ودخل بيتها فهو مباح مندوب إليه.



(١) حديث حسن: أخرجه أحمد (٤١٤/٤، ٤١٨)، والنسائي (١٥٣/٨)، وأبو داود (٤١٧٣) بنحوه، والحاكم (٣٩٦/٢).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٦٣/٤) نووي، وابن حزيمة (١٦٨٠).

## حكم صبغ الشعر تزيئاً للزوج

إن كانت تقصد بصبغة شعرها التزين لزوجها، فلا مانع، أما إن كان قبل الزواج وللفت الأنظار فيعتبر نوعاً من التدليس والخذاع.





## حكم العقيم والزواج

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَوْرَ ﴿٥٠﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

إذن: فالأولاد هبة من الله تعالى، والعقم: هو أن الله سبحانه وتعالى لم يقدر للإنسان أن ينجب، ويجب على الإنسان أن يقنع بقدر الله فلم تر ولداً أمسك بنعش أبيه وقال: لا.. أبي لن يموت.

ولم تر ولداً أمسك بنعش أبيه ويقول: لا.. أبي لن يدفن في التراب!!  
قد يصاب الإنسان بدهشة من حكاية الذرية وحكاية العزوة التي ينادون بها.

ألا نرى أن الأولاد في أحوال كثيرة شقاء لأبائهم؟  
ولو أن الإنسان رضي بنصيبه وقدر الله سبحانه له لكان له شأن كبير.  
وسوف أروي قصة حدثت في الحياة وعاصرتها بنفسى:  
فقد جاءني ذات يوم أحد أصدقائي، وكان مستشاراً كبيراً، وقال لي:  
زوجتي أنجبت لي أربع بنات، وهي الآن حامل وتخشى أن تنجب بنتاً  
خامسة وتريد أن تنجب ولداً؟.

فقلت له: «هي عايزه ولد؟ دول بيقولوا البنت زي الولد»..  
هذا في حد ذاته شهادة ضدهم.. فالمرأة التي تندم على أنها لم تنجب ذكراً،

فهذا في حد ذاته دليل على أن هذا له تقييم وذاك له تقييم آخر طبقاً لمسئوليات الحياة.

وقلت لها: «سمعي.. ارضي البنات علشان ربنا يكافئك مكافأة كبيرة».

فقالوا لي: ومكافأة زي إيه؟.

فقلت لها: «لن أقول الآن»!؟.

وبالفعل أنجبت هذه السيدة البنت الخامسة، وسبب لهم هذا مشكلة

كبيرة!!

فذهبت إليهم في «الفيلا» وجلست معهم بالساعات أحاول أن أهدئ من روعهم وأخفف عنهم مشكلتهم التي هي أساساً ليست بمشكلة.

وقلت لهم: «إن رضيتم الله في البنات فأنا أقول لكم وأنا جالس بينكم الآن أن الله سوف يرسل لكم خمسة صبيان يتزوجون من البنات ولن تعانوا من شيء على الإطلاق في تربيتهم ويصبحون أطوع لكم من أولادكم» .

وقد كان.. وهذا هو الذي حدث بالفعل.. فقد تزوجن خمسة رجال.. من خير الرجال، وكانوا أطوع لهذا المستشار وزوجته من أولادهم.

فأنت لابد أن تحترم قدر الله لكي ترى كرم الله ﷻ.



## أسر سعيدة بلا أولاد

الزواج يقوم أساسًا على العشرة الحسنة، والحياة السعيدة والأولاد شيء طبيعي في الزواج.

فالأولاد زينة الحياة الدنيا، وهم حلم كل زوجين.

فإن كانت لك قدرة على الزواج إلا أنك لا تستطيع الإنجاب فواجهه من تتقدم إلى الزواج منها بذلك قبل العقد.

فقد تقبل أن تعيش معك على هذا الأساس.

وهناك أسر كثيرة تعيش بلا أولاد في سعادة وهناء.

فهذه إرادة الله ولا دخل لهم في ذلك.



## حكم منع الذرية بالتعقيم

حرام.. حرام.. حرام.. بالإجماع.

لأي سبب.. حتى ولو خاف الجراح انفجار الرحم..

ذلك لأن علم الطبيب غير علم الله..

والمرأة ليست آلة.. أو ميكانيكا..

والأطباء لا يعرفون متى سرزقها الله العافية..

والذي يجترئ عليها سيحوجه الله إليهم « إلى النسل » ويزيل الله كل من

معه.

فيحتاج للنسل مرة أخرى.



## من أحكام الزواج : « طفل الأنابيب »

إن للإتسان أن يتعجب من فعل الإنسان.. عندما توصل الإنسان إلى التدخّل لإسعاد بعض البشر الذين لا ينحبون بأن وضعوا العلم في خدمة إنجاب أطفال عن طريق الأنابيب..

فلما أن نعرف أن عملية التلقيح عن طريق الأنابيب لم تكن لتصلح لولا أن خضع الإنسان لإرادة الله فوضع البويضة المأخوذة من المرأة لتلقح بواسطة الحيوان المنوي للرجل.

والخضوع الإنساني هو في إعادة البويضة خلال عدد محدود من الساعات في رحم المرأة المأخوذ منها البويضة.

وذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يخلق رحمًا أو «وسطًا» صالحًا لحماية الجنين أثناء مراحل نموه كالرحم..

قد يكون في ذلك انتصار علمي في حدود إلغاء فشل المرأة في الإنجاب لانسداد قناة التوصيل للبويضة أو للحيوان المنوي.

لكن هذا الانتصار ظل معلقًا على ضرورة أن يكون الرحم واحدًا.. لأن الانسجام والوظيفة التي خلقها الله للرحم تظل فوق طاقة البشر. ولما أن نندمّش من أن البشرية تدفع مئات الآلاف من الجنينيات لتهدي أسرة ما طفلًا..

بينما نتحج بإرادة العلم إلى تعقيم أو منع أو تحديد النسل في بلاد أخرى. لماذا؟ لأن حركة الإنسان على الأرض تدخلت في إفساد سيطرة الإنسان

على الكون.. وأصبح الإنسان عدوًّا للإنسان فتهلك شعوب من الجوع، وتهلك شعوب من الرفاهية المادية.. تلك الشعوب نفسها هي التي تمتلئ بمحاجة روحية.. إنهم جوعي إلى اليقين الإيمانى.



## حكم خيانة الزوج على الرابطة الزوجية

يجب أن تعرفي أنك لا تملكين المغفرة.. فقبل أن يخون الزوج زوجته، فإنه يخون الله..

فهذه المسألة بين الإنسان وربه، ولا شأن للعاطفة فيها.

وإذا حدث ما تقولين فإن إشاعة ما حدث من الخيانة إثم في ذاته..

فلو أن الزوجة أشاعت ما حدث من زوجها بين الناس أو بين الأسرة..

تكون آثمة لذلك، خاصة وأنها لا تملك نصاب إقامة الحد.

كما أنها تعطي القدوة السيئة لمن يسمع بها..

وعليها أن تصمت وتترك حساب الرجل إلى ربه.. أو تفارقه.



## حكم ارتكاب المحصنة الزنى

طالما لم ينفصح أمرها، ولم يعلم بها الزوج، ولم تصل الأمور إلى ولي الأمر المنوط به تنفيذ حد الله فيها فعليها أن تتوب إلى الله من هذه الزلة العظيمة.. وتكثر من فعل الطاعات وتندم على ما أسلفت، ولتعلم أن باب التوبة مفتوح لكل خاطئ ولكل مذنب مهما بلغ ذنبه ما عدا الشرك.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].  
ويقول: ﴿وَأَنبِئِ لِقَاؤَ لِمَنْ تَابَ وَعَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

وفي هذه الآية الأخيرة جميع شروط التوبة المقبولة وهي:

عليها أن تبحث عن سبب حدوث مثل هذه الجريمة، فقد يكون ذلك راجعاً إلى إهمال الزوج لزوجته، وعدم إشباع حاجتها، نظراً لعدم اهتمامها بنفسها وعدم الاعتناء بزوجها فلتحاول أن تغير من طريقة حياتها وتُرجع زوجها فيها وتُتقرب وتتودد إليه ليعود إلى سيرته الأولى معها وعلى كل الأحوال لا يجوز لها مطلقاً حتى لو أهملها زوجها إلقاء نفسها في هذا المستنقع القذر.



## حكم تفكير الزوجة في غير زوجها

كفاك عذاباً أنك تحتقرين نفسك..

وقد حكمت أنت بذلك على تصرفك الخاطئ.. ولو قلنا نحن لك ذلك..  
وحكمنا عليك بما حكمت على نفسك لكان حكماً من الغير عليك أن  
تتذمرين منه..

ولكن كونك حكمت أنت بنفسك على نفسك فإنك حينئذ لست في  
حاجة لحكم الغير على هذا التصرف المشين.

وليست هذه المسألة بمجرد قبح ديني..

فحتى لو لم يكن للإنسان دين لكان هذا التصرف قبيحاً.

ويجب أن تنتهي إلى أمر هام.. وهو:

أنك إن لم تحبي زوجك فإن الحب بين الناس نسبي، ولا تقتنين له، ولكن  
عليك أن تفرقي بين الحب والاحترام..

فال مطلوب منك إن لم يكن قلبك مع زوجك عاطفياً أن تحترمي في العقد  
الذي أحلك له، فإن لم تقدر على ذلك فمن اليقين الإيمان أن تطلي منه أن  
يسرحك..

بدلاً من أن تعيش معه مزدوجة العواطف.



## فقہ المرأة في الزواج العرفي

الزواج العرفي الذي يتم بموافقة الطرفين..

وبالإيجاب والقبول.. وأمام شاهدين..

ولا ينوي فيه التوقيت بمدة<sup>(١)</sup>..

ولا يشترط فيه السرية.. بمعنى ألا يعلن عنه..

زواج صحيح شرعاً.

وإنما كانت العلنية لئلا يقع الناس في أعراضهم بالباطل..

أما توثيق الزواج أمام الموثق الشرعي فهو لحفظ الحقوق المالية للزوجة.



(١) ويشترط موافقة الولي، فلا نكاح إلا بولي كما في السنة المطهرة.

## الحبة في الزواج

المهم في حكمية الزواج علينا أن نحمي أعراض الناس من الناس..  
وهي قطعة من الزواج العربي والشهود اشتراطها لكي تتأكد من أن  
المتزوجة هي بعينها، من يريد الزوج أن يأخذها، وبأن القائم بأمرها وليها..  
وإلا فمن يدريني إن حصل بين رجل وامرأة أنه لم يتزوج.. وأنها  
كذلك.



فقه المسلمة في النهي عن الزواج من الكافرين

﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَا أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنْكِحُكُمْ ۚ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُنْكِحُكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَبَيِّنَ الْبَيِّنَاتِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [نقرة: ٢٦١].

إن الحق يقول: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُ﴾ وهذه أول لبنة في بناء الأسرة وبناء المجتمع، لأنها لو لم تكن مؤمنة، فماذا سوف يحدث؟

إنما ستشرف على تربية الطفل الوليد إشرافاً يتناسب مع إشراكها، وأنت مهتمك كأب ومرب لن تتأني إلا بعد مدة طويلة تكون فيها المسائل قد غرست في الوليد، فإياك أن يكون الرجل مؤمناً والمرأة مشركة، لأن هذا يخل بنظام الأسرة. ففعل الأم مع الولد يؤثر في أوليات تكوينه إنه يؤثر في قيمه، وتكوين أخلاقه.

وهذا أمر يبدأ من لحظة أن يرى ويعي، والطفل يقضي سنواته الأولى في حضن أمه، وبعد ذلك يكبر، فيكون في حضن أبيه، فإذا كانت الأم مشاركة والأب مؤمناً فإن الإيمان لن يلحقه إلا بعد أن يكون الشريك قد أخذ منه وتمكن وتسلط عليه.

ونعرف أن الطفولة في الإنسان هي أطول أعمار الطفولة في الكائنات كلها.

فهناك طفولة تمكث ساعتين اثنتين مثل طفولة الذباب، وهناك طفولة أخرى

تستغرق شهراً، وأطول طفولة إنما تكون في الإنسان، لأن هذه الطفولة مناسبة للمهمة التي سيقوم بها الإنسان، كل الطفولات التي قبلها طفولات لها مهمة سهلة جداً، إنما الإنسان هو الذي ستأتي منه القيم، لذا كانت طفولته، إنما تستمر حتى فترة بلوغ الحلم، والحق هو القائل:

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَقْدُوا حَتَّى اسْتَفْقَدَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٤﴾ [البور: ٥٩].

فكان الطفل يظل طفلاً إلى أن يبلغ الحلم، فكم سنة إذن ستمر على الطفل؟

وكم سنة سوف يتغذى هذا الطفل من ينابيع الشرك إن كانت أمه مشركة؟.

إنما فترة طويلة لا يمكن له من بعد ذلك أن يكون مؤمناً غير مضطرب الملكات.

وإن صلح مثل هذا الإنسان أن يكون مؤمناً فسيقوم إيمانه على القهر والفسر والولاية للأب، وسيكون مثل هذا الإيمان عملية شكلية ليست مرتكزة ولا معتمدة على أساس صادق.

ونحن نعرف أن الثمرات التي ننعم نحن بأكلها لا يكون نضحها إلا حين تنضج البهرة التي تتكون منها شجرة جديدة، وقبل ذلك تكون مجرد فاكهة فجة وليس لها طعم.

وقد أراد الحق أن يبيننا إلى هذا الأمر ليحرض الإنسان على أن يستقي الثمرة إلى أن تنضج ويصير لها بلور.

إن المرأة لا تكون ثمرة طيبة إلا إذا أنجبت مثلها ولذا صالحاً نافعاً، يريد الحق للنساء أن يكون غير مضطرب الإيمان، لذلك يقول: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ أي إياكم أن تنخدعوا بالمعايير الهابطة النازلة، وعلى كل منكم أن يأخذ بقول الله: ﴿وَلَا أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لأن إعجاب الإنسان بالمرأة بصرف النظر عن الإيمان سيكون إعجاباً قصير العمر.

إن عمر الاستمتاع بالجمال الحسي للمرأة إن جمعنا لحظاته فلن يزيد مجموعه عن شهر من مجموع سنوات الزواج.

فكل أسبوع يتم لقاء قد يستغرق دقائق وبعدها يذبل الجمال، تبقى القيم هي المتحركة، وغن نجد المرأة حين تتزوج، ثم يبطئ الحمل فلها تعاني من القلق وكذلك أهلها.

إن الرجل إن كان قد تزوجها للوسامة والقسامة والقوام والعينين، فهذا كله سيبرد ويهدأ بعد فترة، ثم توجد مقاييس أخرى لاستبقاء الحياة، عندما يلتفت إليها الإنسان ولا يجدها فهو يغرق في الندم، لأنها لم تكن في باله وقت أن اختار.

لذلك تريد المرأة أن تتمكن لنفسها بأن يكون عندها ولد لتربط الرجل بها، وحتى يقول المجتمع: عليك أن تتحملها من أجل الأولاد!.

فالرجل بعد الزواج يريد قيماً أخرى غير القيم الحسية التي كانت ناشئة أولاً، لذلك يحذرنا الله قائلاً:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ .

وجاء قوله: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ لأن الإسلام يحب ما قبله ما دامت قد آمنت

فقد انتهت المسألة.

وانظروا إلى دقة قوله سبحانه:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ۚ ﴾  
أي إن الأمة المسلمة خير من حرة مشركة، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ لقد جاء قول الحق هنا بمقاييس الإعجاب الحسي، ليلفتنا إلى أننا لا يصح أن نحمل مقاييس خالدة ونأخذ مقاييس بالدة وزائلة.

ثم يقول الحق: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ ﴾ وهذا هو النظر في الخطاب وهو ليس متقابلاً فهو لم يخاطب المؤمنات ألا ينكحن المشركين، إنما قال:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ ﴾ وتلك دقة في الأداء هنا، لأن الرجل له الولاية في أن ينكح، فيأمره بقوله: لا تنكح، لكن المرأة ليس لها ولاية أن تنكح نفسها.

فنحن نعرف القاعدة الشرعية التي نقول: «لا نكاح إلا بولي»، وهو لم يوجه حديثه للنساء، لأن المرأة تتحكم فيها عاطفتها لكن وليها ينظر للأمر من مجموعة زوايا أخرى تحكم الموقف.

صحيح أننا نستأذن الفتاة البكر كي نضمن أن عاطفتها ليست مصدودة عن هذا الزواج، لكن الأب أو ولي الأمر الرجل يقيس المسائل بمقاييس أخرى، فلو تركنا للفتاة مقياسها لنهدم الزواج بمجرد هدوء العاطفة، وساعة تأتي المقاييس العقلية الأخرى فلن نجد ذلك الزواج مناسباً لها فتفشل الحياة الزوجية.

لذلك يطالبنا الإسلام أن نستشير المرأة، كي لا نأتيها بواحد تكرهه، ولكن

الذي يزوجها إلى ذلك الرجل هو وليها ، لأن له المقاييس العقلية والاجتماعية والخلقية التي قد لا تنظر إليها الفتاة، فقد يبهرها في الشاب قوامه وحسن شكله وجاذبية حديثه لكن عندما تدخل المسألة في حركة الحياة ودوامتها قد تحده إنساناً غير جدير بها.

ولكي تكون المسألة مزيجاً من عاطفة بنت، وعقل أب، وبحيرة أم، كان لابد من استشارة الفتاة، وأن يستنير الأب برأي الأم، ثم يقول الأب رأيي أخيراً، وكل زواج يأتي بهذا الأسلوب فهو زواج يحالفه التوفيق، لأن المعايير كلها مشتركة، لا يوجد معيار قد احتل، فالأب بني حكماً على أساس مرافقة الابنة، أما إذا رفضت الفتاة وكانت معايير الأب صحيحة، لكن الابنة ليس لها تقبل لهذا الرجل، لذلك فلا يصح أن يتم هذا الزواج.

وكثير من الزوجات قد فشلت لأننا لم نجد من يطبق منهج الله في الدخول إلى الزواج.

وحين لا يطبقون منهج الله في الدخول إلى الزواج ثم يقابلون بالفشل، فهم يصرخون منادين قواعد الإسلام لتنقذهم.

ونقول لهم: وهل دخلتم الزواج على دين الله؟

إنكم ما دمتم قد دخلتم الزواج بأرائكم المعزولة عن منهج الله فلتحلوا المسألة بأرائكم.

فالدين ليس مسئولاً إلا عما يدخل بمقاييسه، لكن أن تدخل على الزواج بغير مقاييس الله ثم تريد من الله أو من القائمين على أمر الله أن يحلوا لك المشاكل فذلك ظلم منك لنفسك وللقائمين على أمر الله.



وإن لم تحدث مثل هذه المشكلات لكنا قد اتقمنا منهج الله. ولقلنا:

قد تركنا منهج الله وسعدنا في حياتنا..

لذلك كان لابد أن تقع المشكلات.

إذن فقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ هذه قضية لها سبب، لكن العبرة فيها بعموم موضوعها لا بخصوص سببها، لقد كان السبب فيها هو ما روي أنه كان هناك صحابي اسمه مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين.

وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها «عناق» وكانت تحبه وساعة رآته أرادت أن تخلو به فقال لها: ويحك إن الإسلام قد حال بيننا، فقالت له: تزوجني، فقال لها: أتزوجك لكن بعد أن استأمر وأستأذن النبي ﷺ، فلما استأمره نزل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ وقيل إن قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ نزلت في خنساء<sup>(١)</sup> وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان، فقال لها حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملاء الأعلى مع سوادك ودما منك وأنزل الله ذكرك في كتابه، فأعتقها حذيفة وتزوجها.

ويتابع الحق فيقول: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

إن المقاييس واحدة في اختيار شريك الحياة، إلها الرغبة في بناء الحياة

(١) الخنساء: الخفاض في قصة الأنثى مع ارتفاع قليل في طرف الأنف.

الأمسية على أسس من الخير، وغاية كل شيء هي التي تحدد قيمته، وليست الوسيلة هي التي تحدد قيمة الشيء، فقد تسير في سبيل وطريق خطر وغايته فيها خير، وقد تسير في سبيل مفروش بالورد والرياحين وغايته شر، ولذلك يقول الحق: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

والذين يدعون إلى النار هم أهل الشرك. أما الله فهو يدعو إلى الجنة، والمغفرة تأتي بإذن الله أي بتيسير الله وتوفيقه.

ونعرف جميعاً الحكمة التي قالها الإمام عليّ كرم الله وجهه: «لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة».

وقوله الحق: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ترد كثيراً، هذا التذكّر ماذا يفعل؟

إن التذكّر يشعرك بأن القضية كانت معلومة والغفلة هي التي طرأت، لكن الغفلة إذا تبهت إليها، فهي تذكرك ما كنت قد نسيت من قبل، لكن إن طالت الغفلة، ونسي الأصل فهذه الطامة، التي تنطمس بها المسألة.

إذن فالتذكّر يشمل مراحل:

المرحلة الأولى: أن تعرف إن لم تكن تعرف، أو تعلم إن كنت تجهل.

المرحلة الثانية: هي أن تتذكر إن كنت ناسياً، أو توائم بين ما تعلم وبين ما تعمل، فالتذكّر يوحي لك بأن توائم ما بين معرفتك وسلوكك حتى لا تقع في الجهل، والجهل معناه أن تعلم ما يناقض الحقيقة.

لقد أراد الله أن يصون الإنسان الذي اختار الإيمان عندما حرم عليه الزواج بواحدة من أهل الشرك.

إن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يضمن لمن جعله خليفة في الأرض عقيدة واحدة يصدر عنها السلوك الإنساني، لأن العقائد إن توزعت حسب الأهواء فسيتوزع السلوك حسب الأهواء، وحين يتوزع السلوك تتعاند حركة الحياة ولا تتساند.

فيريد الحق سبحانه وتعالى أن يضمن وحدة العقيدة بدون مؤثر فيها، فشرط في بناء اللبنة الأولى للأسرة ألا ينكح مؤمن مشركة، لأن المشركة في مثل هذه الحالة ستتولى حضانة الطفل لمدة طويلة هي - كما قلنا - أطول أعمار الطفولة في الكائن الحي.

ولو كان الأب مؤمناً والأم مشركة فالأب سيكون مشغولاً بحركة الحياة فتأصل عن طريق الأم معظم القيم التي تتناقض مع الإيمان.

وأراد الحق سبحانه وتعالى أيضاً ألا تتزوج المؤمنة مشركاً، لأنها بحكم زواجها من مشرك ستنتقل إليه وإلى بيئته المشركة وإلى أسرته.

وسينشأ طفلها الوليد في بيئة شركية فتأصل فيه الأشياء القيمة التي تناقض الإيمان.

ويريد الحق سبحانه وتعالى بهذه الصيانة، أي بعدم زواج المؤمن من مشركة، وبعد زواج المؤمنة من مشرك، أن يحمي الحاضن الأول للطفولة. وحين يحمي الحاضن الأول للطفولة يكون النبيوع الأول الذي يصدر عنه تربية عقيدة الطفل ينبوعاً واحداً، فلا يتذبذب بين عقائد متعددة.

لذلك جاء قول الحق: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِمْ وَبَيِّنَ الْبَيِّنَاتِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

كل ذلك حتى يصون الحق البيئة التي ينشأ فيها الوليد الجديد. وعلينا أن نفهم أن الحق سبحانه وتعالى رخص للمؤمنين في أن ينكحوا أهل الكتاب بقوله الحق:

﴿ أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الْقُلُوبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَيْنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّحِدِينَ أَخَذَانِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِلَا يَمْنٍ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ [سورة: ٥].



## اشتراط الإعلام في الزواج

يشترط في الزواج الإعلام..

فما نراه من الطبل والزمر والزينة وما إليه نشأ لهذا الغرض..

وذلك لكيلا يتعرض الناس لأعراض الناس...

فالإعلام يعرف الناس جميعاً بزواج ابنتي من فلان..

فلا يتساءل الناس على سبب دخوله وخروجه من بيتهم..

لكن إذا استتر الزواج فإننا نكون قد نقصنا علنية الزواج وهو الشرط فيه.



## الحكمة في الزواج من الكتابيات

وقد وقف العلماء من مسألة ترخيص الحق للمؤمنين في أن يتزوجوا من أهل الكتاب موقفين:

**الموقف الأول:** هو موقف مانع، لأن بعض العلماء رأى أن أهل الكتاب قد ينحرفون في معتقداتهم إلى ما يجعلهم في الشرك، وقالوا: وهل هناك شرك أكثر من أن تدعي الربوبية لبشر؟

**الموقف الثاني:** أجاز بعض العلماء أن يتزوج الإنسان من كتابية ويجب عليه أن يسألها أهى تدين بالوهمية أحد من البشر أم تدين بالله الواحد القهار؟

فإن كانت المسألة مجرد الخلاف في الرسول فالأمر يهون، أما إن كانت تؤمن بالوهمية أحد من البشر بجانب الله فقد دخلت في الشرك، وعلى المؤمن أن يحتاط.

وإذا كان للرجل الولاية وله أن يتزوج بكتابية فهو غالباً ما ينقلها إلى بيته هو وستكون البيئة المؤثرة واحدة، ووجود الولاية للأب مع الوجود في البيئة سيؤثر ويخفف من تأثير الأم الكتابية على أولادها، وإن كان على الإنسان أن يتيقظ إلى أن هناك مسالك تنلطف وتنسلل ناحية الشرك، فمن الخير أن يتعد المسلم عن ذلك، وأن يتزوج ويعصم ويعف مسلمة.

وحين يحمي الحق سبحانه وتعالى الحضانة الأولى للطفل فهو يريد أن يربي في الطفل عدم التوزع، وعدم التمزق، وعدم التنافر بين ملكاته.

وحين نضمن للطفل التواجد والنشأة في بيئة متألفة فهو ينشأ طفلاً سويًا. والإسلام يريد أن يحافظ على سوية هذا الطفل، ويقول بعض الناس: ولماذا

لا توجد محاضن جماعية؟ وكأنهم بذلك يريدون أن يحلوا الإشكال.

نقول لهم: إن الإشكال لم يحل عند الذين فعلوا ذلك من قبلنا، ولذلك فعندما نقرأ مؤلفاتهم مثل كتاب «أطفال بلا أسر» فسنجد أن الطفولة عندهم معذبة. ولماذا نذهب بعيداً؟

إننا عندما نتبع كيفية النشأة الجماعية للأطفال في إسرائيل فالبحوث العلمية تؤكد على أن الأطفال يعيشون في بؤس رهيب لدرجة أن الثبول اللاإرادي ينتشر بينهم حتى سن الشباب.

وكيف يغيب عن بالنا أن الطفل يظل حتى تصل سنه إلى عامين أو أكثر وهو يطلب ألا يشاركه في أمه أحد، حتى وإن كان أختاً له فهو يغار منه فما بالك بأطفال متعددين تقوم امرأة ليست أمهم برعايتهم؟

ولا يغني عن حنان الأم حنان مائة مربية، فليس للمربيات جميعاً قلب الأم التي ولدت الطفل، فالحنان الذي تعطيه الأم ليس حناناً شكلياً ولا وظيفياً، ولكنه طبيعة حياة خلقها الله لتعطي العطاء الصحيح، لذلك لا بد من إعطاء الطفل فترة يشعر فيها بأن أمه التي ولدته له وحده، ولا يشاركه فيها أحد حتى لو كان أختاً له، وعمر عليه فترة بعد أن يخرج من مهد الطفولة الأولى إلى الشارع ليحد حركة الحياة، ويبدأ القائمين على حركة الحياة هم الرجال وآباء أمثاله من الأطفال فيحب بعد ذلك أن يُنسب إلى أب له كيان معروف في المجتمع الخارجي.

فمن مقومات تكوين الطفل أن يشعر أن له أمّاً لا يشاركه فيها أحد، وأن له أباً لا يشاركه فيه أحد. وإن شاركه فيها أحد فهم إخوته ويضمهم ويشملهم جميعاً حنان الأم ورعاية الأب.

لقد اعترف أهل العلم بتربية الأطفال أن احتياج الطفل لأمه هو احتياج هام وأساس للتربية لمدة عامين وبضعة من الشهور، والحق تبارك وتعالى حين أنزل على رسوله قبل أربعة عشر قرناً من الآن، القول الحكيم الصادق بين هذه الحقيقة واضحة في أجلى صورها:

﴿وَوَضَعْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِّ حَمَلَةٍ أُمُّهُ كَرَهَا وَوَضَعَتْهُ كَرَهَا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

إن الأم هي الحاضنة الطبيعية للطفل كما أرادها الحق.

إذن.. فالحق يريد أن نحمي البنية الأولى في تكوين المجتمع وهي الأسرة في البناء العقدي من أن تتأثر بالشرك، ويريد أن يحفظ للأسرة كياناً سليماً.





## حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ

المستشرقون ينظرون إلى أشياء، هذه الأشياء تتعلق بشخصية الرسول ﷺ، وقد وضعوا قواعد، وحملوها على الرسول، ثم جعلوها محل مؤاخذه ولوم.

ونحن نقول لهم: أنتم تخلطون القضايا، لتقيسوا بها كمالات رسول الله ﷺ، وتقيسون كمالاته بقضايا تصنعونها لكمالات من عندهم.. وما دنا أمتنا به رسولاً، فنحن لا نؤمن به رسولاً ثم نضع له مقاييس الكمال من نفوسنا، لنزن الأمور التي فعلها على مقاييسنا، ولكن الكمال ما فعله.

أنا أمنت به رسولاً، فالكمال، ما فعل وما لم يفعل..

الله قد ائتمنه على أن يبلغ منهجه.. وما دام قد ائتمنه على أن يبلغ منهجه فأمانته على نفسه أولى به من أمانته عليّ أنا.

إذن لا تناقش أشياء على موازين أنت تدعي أنها موازين كمال، ثم تنسب فعل رسولنا إليها، لتقول: إن هذه الكمالات غير ثابتة.

ومن هذه الأشياء مسألة تعدد زوجات الرسول ﷺ..

ما دمت قد كذبت رسولاً، فلماذا تؤاخذه، فعل أم لم يفعل..

الذي يناقش في أنه فعل أو لم يفعل هو من نستكثر عليه أن يفعل لأنه رسول.

فالقضية الأصلية إذن أنه ليس رسول عندهم، فكان يجب ألا تلوّمه على تصرف، ولذلك كان النقاش بيننا وبينك غير متكافئ، لأنك تنظر إلى فعل معزول عن رسول، ونحن ننظر إلى فعل منوط برسول.

نقول: هل الرسول ﷺ جاء والناس يعددون، أم جاء ليشرع التعدد في الزوجات؟

بل الرسول جاء قومًا يعددون، فهو حين عدد لم يكن بدعًا بينهم في هذا التعدد.. لأن هذه المسألة إن سبقه فيها رسول لم يتزوج، فقد سبقه فيها رسل كثيرون تزوجوا أعدادًا متعددة، فلماذا نجعل الواحد هو المرجح، ولا نجعل الكثرة هي المرجحة؟

الواحد إنما جاء لحكمة، والسابقون قبله عددوا لحكمة.. فالرسول لم يشرع التعدد، وإنما جاء والتعدد نظام قائم له ولكل الناس.

لكن الأمر يختلف مع رسول الله ﷺ بالنسبة إلى من تبعه من المؤمنين، إذ أن الرسول ﷺ جاء لمن تزوج أكثر من أربعة، فأمره أن يمسك أربعًا، ويفارق الباقي.. هذا كلام واضح بالنسبة إلى من تبعه من المؤمنين.

ولكن لننظر: هل كانت الإباحة لأتباع الرسول ﷺ إباحة للمعدود، أو كانت إباحة لعدد؟

الإباحة لأتباع الرسول ﷺ كانت لعدد.. أيا كان هذا العدد أربعة، فإن مات واحدة تزوج غيرها مكافئًا، إن طلق واحدة يأتي بواحدة مكافئًا، إن طلقهن جميعًا فله أن يتزوج أربعًا غيرهن.

إذن.. فتابع الرسول ﷺ له العدد، أما الرسول ﷺ فليس له العدد، وإنما له المعدود.

والفرق بين العدد والمعدود أن المعدود إنما أبيح للرسول بذواته، فإن مات واحدة لا يأتي بواحدة مكافئًا، وإن مات الأربعة عند الرسول فليس له أن يتزوج ولا واحدة.. إذن فقد أبيح له المعدود، فهن بخصوصهن.

قال الله تعالى:

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ آلِيسَاءٌ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْنَيْتَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وذلك حكم ليس لتابع من أتباع الرسول ﷺ.

إذن فالعدد عند تابع محمد ﷺ قد يدور إلى أربعين.. ولكن العدد عند رسول الله ﷺ غير دائر، لأنه محصور في هؤلاء، فإنه لا يحل له أن يتزوج غيرهن.

الرسول ﷺ تزوج، واجتمع عنده من الزوجات تسع، وحين شرع الله ذلك العدد، فالرسول ﷺ إما أن يحتفظ بأربع ويسرح الخمس، وحين يسرح الخمس فإنهن من أمهات المؤمنين، وأمهات المؤمنين محرمات على سائر المؤمنين.

إذن.. فلو سرح رسول الله ﷺ خمس نساء، لبقين أي الخمس بدون زواج، لأنهن محرمات على الجميع، ورسول الله ﷺ حين يشرع أن يمسكوا أربع، ويسرحوا الباقي فهذا الباقي لكل منهن أن تتزوج من رجل آخر.

ولكن ذلك بالنسبة إلى الرسول ممنوع، لأن زوجاته محرمات، إذن فليس لمن إلا أن يبقين زوجات لرسول الله ﷺ.

وأيضاً فالمعنى الذي يريدون أن يغمزوا به رسول الله ﷺ مرفوض في تاريخه، لأن رسول الله ﷺ وهو في سن الخامسة والعشرين تزوج امرأة تكبره بخمسة عشر عاماً، وهذا على خلاف القاعدة، في أن الرجل يتزوج دائماً بمن دونه في العمر، وظل مع خديجة إلى أن ماتت، ولم يتزوج عليها.

كان ولا بد أن يتزوج بمن تقوم بمسائله، فتزوج سودة بنت زمعة، امرأة

تقوم بواجب الزوجية، وتزوج عائشة، وهي في السادسة من عمرها، ويدخل بها وهي في التاسعة، فالسياق الجنسي أو العاطفي ممنوع هنا.

بعد ذلك تأتي لنجد في نساؤه من تترع بليتها لضررها، فهل تترع بليتها إلا بعد عدل الرسول؟

ثم تأتي هي وتترع بليتها، ومعنى هذا أنها في ذاتها لا تصلح أن تكون امرأة يقضي منها الرجل إرته، فكأنها لم ترد إلا أن تكون أمًا للمؤمنين.. ومن نساؤه في الجنة بصفته وسامًا من الأوسمة؟

كذلك تأتي إلى أم سلمة، وعندها عيال، وتقول لرسول الله ﷺ: إنها لم يعد لها أرب، ولكن رسول الله ﷺ يريد أن يجعلها أمًا للمؤمنين.. ويريد أن يلقي الناس درسًا في أن الإنسان إذا أصيب في عزيز لديه أن يستقبل المصيبة بما علمنا رسول الله ﷺ فنقول:

«إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي، واخلفني خيرًا منها»<sup>(١)</sup>.

حين مات أبو سلمة - وكانت أم سلمة تحبه - قيل لها: قولي ما علمنا رسول الله ﷺ. فقالت: أهنأك خير من أبي سلمة؟ فقد استبعدت أن يكون هناك من هو خير لها من أبي سلمة.. فرسول الله علمها أن هذا الدعاء لا بد أن يأتيها بخير من أبي سلمة، وتزوجها رسول الله ﷺ، وأصبحت أمًا للمؤمنين.

فكل زوجة من زوجات رسول الله ﷺ لها قضية إيمانية يريد الرسول أن يثبتها في المؤمنين.. حقة مثلاً يعرضها عمر على أبي بكر وعثمان، ويرفضان

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٦٣٢)، وأحمد (٣٠٩/٦)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي (١٠٧٠)، (١٠٧١) في عمل اليوم والليلة، وابن عبد البر (١٨٣/٣) في التمهيد.

الزواج بها، ويحرم ذلك في نفس عمر، فيتزوجها رسول الله ﷺ .  
كل هذا يدل على أن لكل زوجة قصة.. ويجب أن يلحظ أنه لم يوسع عليه  
في ذلك، بل إنه ضيق عليه.

ذلك ما يمكن أن ترد به على من يقول ذلك في رسول الله ﷺ، ويجب أن  
نفتح المجال لبحث هذه الأشياء، لأنهم حين تكلموا عن رسول الله ﷺ هكذا،  
فقد دفعوا المسلمين إلى بيان حقيقة هذه المسألة، فرما كان في نفوس المسلمين  
منها شيء.

إنهم يريدون أن يشوهوا نبي الإسلام، ولكنهم في الواقع خدموا نبي  
الإسلام.



## فقہ المرأة المسلمة في الطلاق

الإسلام دينٌ واقعي ولذلك عندما تتأمل موقفه من الطلاق نجده يتكلم كلاماً واقعياً يناسب الميول الإنسانية، لأننا ما دُمنا أغياراً فمن الممكن أن يطرأ على حياة الزوجين أحداثٌ أو مشاعر لم تكن في الحسبان ساعة الزواج.

وبعد ذلك عندما يجيء واقع الحياة تتملكه ملكاتٌ متعددة، وقد تُسيطر عليه المسألة الجنسية، فيدفعه هذا للزواج، وفي سبيل إرضاء شهوته الجنسية قد يُهمل بقية ملكات نفسه، فإذا دخل واقع الزواج وهدأت شرّة وحرارة غرائز الإنسان تنبيه نفس الإنسان إلى مقاييس أخرى يريد أن يراها في زوجته فلا يجدها، ويتساءل ما الذي أخفاها عنه؟

أخفاها سَعَارُ وعرامة النظرة الجنسية، فقد نظر للمرأة قبل الزاج من زاوية واحدة، ولم ينظر لباقي الجوانب.

مثلاً، قد يجد الزوج أن أخلاق الزوجة تتنافر مع أخلاقه، وقد يجد تفكيرها وثقافتها تتنافر مع تفكيره وثقافته، وربما وجد عدم التوافق العاطفي بينه وبينها، ولم يحدث تألف نفسي بينهما، والعواطف - كما نعلم - ليس لها قوانين.

فمن الجائز أن يكون الرجل غير قادر على الاكتفاء بوليمة جنسية واحدة، فهو لذلك لا يبنى حياته على الطُّهُر، وإنما يريد من امرأته أن تكون طاهرة عفيفة في حياتها معه، بينما يعطي لنفسه الحرية في أن يُعَدِّدَ ولائمه الجنسية مع أكثر من امرأة، وربما يحدث العكس، وذلك أن يجد الرجل أن امرأة واحدة تكفيه، لكن المرأة تريد أكثر من رجل.

وقد يكون الرجل طاهر الأسلوب في الحياة، وتكون زوجته راغبة في أن

يأتيها بالمال من أي طريق، فيختلفان، وقد تكون المرأة طاهرة الأسلوب في الحياة، فلا ترضى أن يتكسب زوجها من مال حرام.

من هنا يأتي الشقاق، إن الشقاق يأتي عندما يريد أحد الزوجين أن تكون حياتهما نظيفة طاهرة، مُستقيمة، ولا يرى الآخر ذلك، مثل هذه الصورة موجودة في الواقع حولنا، فكم من بيوت تُشقى عندما تختفي الوحدة الأسرية، وتختلف نظرة أحد الزوجين للأمور عن الآخر.

وهذا هو سبب الشقاق الذي يحدث بين الزوجين عندما لا يكتفي أحد الزوجين بصاحبه، ولو اتفق رجل وامرأته على العفاف والطهر والخيرية لاستقامت أمور حياتهما<sup>(١)</sup>.

#### (١) التحذير من طلب الطلاق

(١)

عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير باس فحرام عليها راحة الجنة» [حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٩٨)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٢٧٧/٥)، والدارمي (١٦٢/٢)].

#### (٢) محاولات الإصلاح قبل الطلاق

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ مُمْرُسًا فَهَنْتُمْ أَنْ تَكُونُوا شُكَّاءً وَتَحْمِلَ اللَّهُ بِهِمْ خِزْيًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَاتَّبِعُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ. وَخُكْمًا مِنْ أَهْلَيْهَا إِنْ بُرِدَا بِإِصْلَاحٍ يُؤْتِيهِ اللَّهُ يُفْهِمُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

فإن عجزت كل الطرق عن الإصلاح فلا مناص من اللجوء إلى الطلاق، قال جل شأنه: ﴿وَإِنْ تَفَرَّقَا فَعَلَى اللَّهِ فَتْرَتُهُمَا وَسُغْنَى اللَّهِ وَبَيْنَا حَكِيمٌ﴾ [النساء: ١٣٠].

#### (٣) الطلاق الشرعي والطلاق البدعي

قال ابن القيم رحمه الله: الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلال، ووجهان حرام. فالحللان:

- أن يطلق امرأته طاهرًا من غير جماع، أو يطلقها حاملًا مستبينة حملها. والحرمان: أن يطلقها وهي حائض، أو يطلقها في طهر جامعها فيه، هذا في طلاق المدخول بها. وأما من لم يدخل بها، فيحوز طلاقها حائضًا وطاهرًا، كما قال تعالى:

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ أَيْسَاءَ مَا نَزَّمْتُمْ أَوْ تَعْرَضُوا لَهُمْ فَرِيحَةً ﴾ [النساء: ٢٣٦].

#### (٤) الطلاق قبل النكاح

قال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسَوْنَ ﴾ [الأحراب: ٤٩]. قال ابن عباس: جعل الله الطلاق بعد النكاح، ثم قرأ هذه الآية.

#### (٥) تحريم الطلاق في الحيض

عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «مرة فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم يحض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٢/٧)، ومسلم (١٤٧١)، وأبو داود (٢١٨٤)، والترمذي (١١٧٦)، والنسائي (١٤١/٦)، وابن ماجه (٢٠١٩)].

وفي رواية: «مرة فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا».

#### (٦) طلاق المأزول والغضبان

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ جُدْهُنَّ جِدًّا، وَهَزُنَّ جِدًّا: النكاح، والطلاق، والرجعة» [حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٩٤)، والترمذي (١١٨٤)، والحاكم (١٩٨، ١٩٧/٢) وصححه وأقره الذهبي، وابن ماجه (٢٠٣٩)، وابن الجارود (٧٠٢)، وسعيد بن منصور (١٦٠٣) في سننه، وغيرهم].

وعنه -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: لا طلاق، ولا عتاق في إغلاق، [حديث حسن: أخرجه أبو داود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦)، وأحمد (٢٧٦/٦)، والحاكم (١٩٨/٢)، والبيهقي (٣٥٧/٧) في سننه الكبرى].

#### (٧) الجمع بين الطلقات الثلاث وطلاق البتة

طلق ركائة من يزيد امرأته سهيمة المزنية البتة، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله



## الإصلاح قبل الطلاق

الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يَحْصِرَ مناقشة الأسباب في الانفصال أو الاستمرار بين الزوج والزوجة فقط، فلا تتعدى إلى غير الزوج والزوجة، لأن بين الاثنين من الأسباب ما قد يجعل الواحد منهما يُلْين جانيه للآخر.

لكن إذا ما دخل طرف ثالث ليست عنده هذه، فسوف تكبر في نفسه الخصومة، ولا توجد عنده الحاجة فلا يُبقي على عشرة الزوجين.

فإذا ما دخل الأب أو الأخ أو الأم في النزاع فسوف تشتعل الخصومة، وكُلُّ منهم لا يشعر بإحساس كُُلِّ من الزوجين للآخر، ولا بليونة الزوج لزوجته، ولا بمهادنة الزوجة لزوجها.

«إني طلقت امرأتي سبيعة البنة، والله ما أردت إلا واحدة»، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما أردت إلا واحدة؟!»، فقال ركانة: «والله ما أردت إلا واحدة». فردها إليه رسول الله ﷺ، فطلقها الثانية في زمن عمر، والثالثة في زمن عثمان رضي الله عنهما [حديث حسن: أخرجه أبو داود (٢٢٠٦)، والحاكم (١٩٩/٢)، وابن حبان (١٣٢١)، والدارقطني (٣٣/٤)، والشافعي (٢٦٨)].

وعن أبي الصهباء أنه قال لابن عباس: إنما كانت الثلاث على عهد رسول الله ﷺ تجمل واحدة، وأبي بكر، وثلاث من إمارة عمر، فقال ابن عباس: نعم [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٧٢)، وأحمد (٢٦٥/١)، وأبو داود (٢١٩٩)].

وفي رواية أخرى قال ابن عباس: كان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: «إن الناس قد استعملوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم، فأمضاه عليهم» [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٧٢)، وأحمد (٢٦٥/١)، وأبو داود (٢١٩٩)].

فهذه مسائل عاطفية ونفسية لا توجد إلا بين الزوج والزوجة، أما الأطراف الخارجية فلا يربطها بالزوج ولا بالزوجة إلا صلة القرابة

ومن هنا فإن حرص تلك الأطراف الخارجية على بقاء عشرة الزوجين لا يكون مثل حرص كل من الزوجين على التمسك بالآخر.

ولذلك يجب أن نفهم أن كل مشكلة تحدث بين زوج وزوجته، ولا يتدخل فيها أحد تنتهي بسرعة بدون أم أو أب أو أخ، ذلك لأنه تدخل طرف خارجي لا يكون مالمًا للدوافع العاطفية والنفسية التي بين الزوجين.

أما الزوجان فقد تكفي نظرة واحدة من أحدهما للآخر لأن تبعيد الأمور إلى بحارها، فقد يحب الرجل جمال المرأة ويشواق إليها، فينسى كل شيء، وقد ترى المرأة في الرجل امرأة لا تحب أن تفقده منه، فتنسى ما حدث بينهما، وهكذا.

لكن أين ذلك من أمها وأمه، أو أبيها وأبيه؟

ليس بين هؤلاء وبين الزوجين أسرار وعواطف ومعاشرة وغير ذلك.

ولهذا فانا أنصح دائماً بأن يظل الخلاف محصوراً بين الزوج والزوجة، لأن الله قد جعل بينهما سيالاً عاطفياً، والسيال العاطفي قد يسيل إلى نزوع ورغبة في شيء ما، وربما تكون هذه الرغبة هي التي تصلح وتجعل كلا من الطرفين يتنازل عن الخصومة والطلاق.



## الطلاق الرجعي

س: رجل طلق زوجته طلاقاً رجعياً، فهل يشترط رضا الزوج في الرجوع إليه، وكيف يحصل الرجوع بينهما؟

ج: الزوج هو الذي يملك حقَّ رجعة زوجته في الطلاق الرجعي، من غير اعتبار رضاها، ما دامت في العدة، لقوله تعالى:

﴿وَيُعَوِّلُهَا أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فلا حقَّ لأحد هنا إلا للزوج، فالردُّ خلال العدة من حقِّ الزوج، فليس للزوجة أن تقول: لا. وليس لوليِّ الزوجة أن يقول: لا.

فالزوج إذا أراد مراجعة زوجته وأبَتْ وامتنعتْ هي وجب إثبات وتقديم رغبته على رغبتها، وكان هو أحقَّ منها، ولا ينظر إلى قولها، فإنه ليس لها في هذا الأمر حقٌّ فقد رضيتْ به أولاً.

أما إذا انتهت العدة فالصورة تختلف، لا بُدَّ من الوليِّ، ولا بُدَّ من عقد ومهر جديدين واشتراط موافقة الزوجة.

والرجعة تكون بالقول أو بالفعل، فإن قال لها: راجعتك، تمت المراجعة، وإن دخل بها أو كانت منه مقدمات الدخول فهو رجعة.



## الطلاق الشفوي المتكرر

س: لقد تكرّر من زوجي إيقاع الطلاق عدة مرات، وكان يرذني دون أن يكتب ذلك، وأنا في حيرة من أمري، فأنا أشك في علاقتي به، وقد تركت الصلاة لشعوري بأن وجودي معه في بيت واحد حرام.. حرام، فما رأي الدين في ذلك؟

ج: كتابة الطلاق أو المراجعة لا دخل له بالديانة، فالكتابة أمر مدني، اشترطه القانون لقبول الدعوى، ولكن هناك فرقاً بين الديانة والقضاء، فأنت ديانة مطلقة بإيقاع يمين الطلاق دون كتابته، وكذلك حين ردك لم يكتب ذلك، ولكنك تصبحين زوجة أمام القضاء.

ولشرح ذلك أقول: إذا كنت مدنياً لشخص ما بمبلغ كتبت به وثيقة على نفسي «كمبيالة»، وفي الطريق قابلته وأعطيته ماله عندي، ولم يكن معه الكمبيالة، فلم يأخذها منه، حينئذ أكون ديانة قد سددت ما عليّ من دين.

ولكن قضاء يستطيع أن يُقدّم الكمبيالة كمستند ضديّ، فكأنني لم أسدّد له النقود قضاءً، وبحكم القاضي له باسترداد نقوده بما لديه من مستند رغم سدادي له حقيقةً وديانةً.

وبذلك يمكنك معرفة إن كنت ما زلت زوجة له أم أنك مطلقة، بدون الاستناد إلى ما كتب، ولكن إلى ما حدث شفاهةً أيضاً.

وهذه أمانة تُحاسِب عليها ويُحاسب عليه زوجك يوم القيامة، وإن كان زوجك قد طلقك ثلاث مرات فاعلمي أن الله لن يجعل لك الخير في الحياة معه،

فإن لم يستطع أن يحافظ على حياتك معه وهو يعلم أنه زوجك أمام الله، فعن باب أولى لا يمكنه ذلك، وهو يعلم في سريره أنه لم يعد زوجاً لك أمام الله، وإن كان كذلك أمام الناس.



## المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء

س: ما المقصود بـ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ و﴿فُرُوقَهُ﴾، وما الحكمة الشرعية في ذلك؟

ج: قوله ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: ينتظرن. واللفظ هنا يناسب المقام تماماً، فالمتربصة هي المطلقة، ومعنى مطلقة ألما مَزْهُودَ فيها، وتربص: تنتظر انتهاء عِدَّتِها حتى تردَّ اعتبارها بصلاحياتها للزواج من زَوْجٍ آخر.

وقول الحق سبحانه: ﴿ثَلَاثَةَ فُرُوقٍ﴾ ما المقصود به؟

هل هو الحيضة أو الطَّهْرُ؟ إن المقصود به الطَّهْرُ. فثلاثة قروء هي ثلاثة أطهار مُتَوَالِيَاتٍ.. والعلة هي استبراء الرَّحِمِ وإعطاء مُهْلَةَ للزوجين في أن يُرَاجِعَا نَفْسَيْهِمَا، فربما بعد الطَّهْرَ الأول أو الثاني يشتاقي أحدهما للآخر، فتعود المسائل لما كانت عليه، لكن إذا مرَّت ثلاثة أطهار فلا أَمَلَ ولا رجاء في الرُّجوع.



## فقه المرأة في الطلاق قبل الدخول

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

المرأة غير المدخول بها نوعان:

فإما أن تكون لم يدخل بها زوجها ولم يفرض لها صداقاً.

وإما أن يكون الزوج لم يدخل بها وقد فرض لها صداقاً.

وهذه الآية تعالج اللون الثاني، فالزوج قد يطلق الزوجة قبل الدخول بها، أو قد يتوفاه الله قبل الدخول بها.. وهذه الأمور لها أحكام واضحة.

### قبل الدخول بالمرأة له حكمان:

إما أن يكون الرجل قد فرض لها فريضة أي قدم لها الصداق، أو لم يقدم لها صداقاً.. وهكذا نعلم أن فرض الصداق ليس شرطاً في النكاح، فإذا تزوج الرجل بامرأة ولم يفرض لها صداقاً فإن الذي يثبت للزوجة هو مهر المثل.. والدليل على ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ﴾ ..

أن هناك امرأة قد صارت مطلقة بعد أن كانت في حكم الزوجة.

أما قول الحق: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فمعنى ذلك أن عدم الدخول بالزوجة لا يعوق أن يفرض لها الزوج فريضة، لذلك فإن لم يفرض

لها «فلها مهر المثل»<sup>(١)</sup>.

(١) أي ما يساوي مثلها من بنات العم أو الخال، وتبقى المطلقة في بيتها حتى تنقضي عدتها، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْرُجُوهُنَّ مِنْ بَيْتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَشِيَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١]. وقال ﷺ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]. وقد جوز أهل العلم خروج المرأة لأحد أمرين: إما خشية الاقتحام عليها، وإما أن يقع منها على مطلقها فحش من القول.

قال ابن عباس: الفاحشة المبينة: أن تيفؤ على أهل زوجها، فإن بذؤت، فقد حل إخراجها [غير صحيح: أخرجه الطبري (١٣٢/٢٨) في تفسيره، والبيهقي (٤٢١/٧) في سننه الكبرى].

#### وأما النفقة والسكنى

قال بغوي: لم يختلف أهل العلم في أن المطلقة الرجعية تستحق النفقة، والسكنى، واختلفوا في المبتوتة. فقالت طائفة: لا نفقة لها، ولا سكنى إلا أن تكون حاملاً، روي ذلك عن ابن عباس، وهو قول الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، والشعمي، وبه قال أحمد، وإسحاق وقالت طائفة: لها السكنى والنفقة، حاملاً كانت أو حائلاً، روي ذلك عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وبه قال إبراهيم النخعي، وإليه ذهب سفيان، وأصحاب الرأي.

وقالت طائفة: لها السكنى بكل حال، ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً، وحكي ذلك عن ابن المسيب، وبه قال الزهري، وإليه ذهب مالك، والليث بن سعد، والأوزاعي، وابن أبي ليلى، والشافعي.

وسئل سعيد بن المسيب عن المرأة يطلقها زوجها في بيت بالكراء «الأجرة» على من الكراء؟ قال: على زوجها، فإن لم يكن عند زوجها مال، فعليها، فإن لم يكن عندها فعلى الأمير.

واحتج من لم يجعل لها السكنى بما روي عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس، أن زوجها طلقها ثلاثاً، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى، ولا نفقة، وأمرها أن تعتد عند عمرو بن أم مكتوم الأعمى، فاعتدت عنده [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٨٠)، وأحمد (٣٧٣/٦)، وأبو داود (٤١٢)]. وأما من جعل لها السكنى، وهو قول الأكثرين، فاختلفوا في سبب نقل فاطمة.



وإذا تأملنا قول الحق: ﴿ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ .. فقد نسأل: ما المس؟

إن المعنى يؤدي إلى اللمس.. ويؤدي إلى الملامسة والمس حين تسمعه فقد تسمعه من رجل مس شيئاً فلا يتأثر هذا الرجل بالشيء الممسوس فحين يطلق فلايد من الإحساس. أما الملامسة فهي تعني حدوث تداخل بمعنى المعاشرة الزوجية. هنا نجد ثلاث مراحل هي:

### المرحلة الأولى: وهي المس.

- فرَوى عروة أن عائشة- رضي الله عنها- أنكرت ذلك على فاطمة، وقالت: إن فاطمة كانت في مكانٍ وحشيٍ خفيفٍ على ناحيتها، فلذلك رخص لها النبي ﷺ [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٢٥)، (٥٣٢٦)].

وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها. روى عمرو بن ميمون عن أبيه أن سعيد قال: فتنت فاطمة الناس، كانت لسانها ذارية، فاستطالت على أحمائها، فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم [غير صحيح: أخرجه أبو داود (٢٢٩٦)، والشافعي (٤١٥/٢)، والبيهقي (٤٧٤/٧)].

ويجوز للمعتدة الانتقال عن بيت العدة عند الضرورة، بأن خافت هدمًا، أو غرقًا، أو حريقًا، وإن لم يكن لها ضرورة، وأرادت الخروج لشغلٍ، فإن كانت رجعية فلا يجوز، وإن كانت بائنة فيجوز بالنهار، ولا يجوز بالليل.

روى حابر بن عبد الله ﷺ فقال: مُلِّقَت خالتي ثلثًا، فخرجت نجدُ نخلًا لها، فلقيها رجلٌ فنهاها، فأنت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال النبي ﷺ: «أخرجني فجدي نخلك لعلك أن تصدقي منه أو تلعلي غيري» [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٨٣)، وأبو داود (٢٢٩٧)، والنسائي (٢٠٩/٦)، والبيهقي (٤٣٦/٧)].

والنخل لا يجد في غالب العرف إلا بالنهار، وقد نُهي عن حداد الليل، وهذا هو قول ابن عمر قال: لا تبين المتوفى عنها زوجها، ولا البتونة إلا في بيتها، وإلى هذا ذهب الشافعي [شرح السنة (٢٩٦/٩) للبغوي].

المرحلة الثانية: وهي اللمس.

المرحلة الثالثة: وهي الملامسة.

وكلمة «المس» في هذه الآية الكريمة تعني الدخول بالزوجة والوطء.

ولقد ذكر الحق سبحانه وتعالى الكلمة التي تدل على أخف أنواع اللمس ولم يستخدم كلمة مثل: «باشرتهم».

ولنا أن نعرف أن هناك سياقاً قرآنياً في مكان آخر. هو إيضاح لمعنى يجب أن نفهمه، ونحن نتناول هذه الآية بالشرح، ولنفهم كلمة المس في هذا القول الكريم:

﴿ مَا لَمْ تَمْسُوهُمْ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُمْ فَرِيضَةً ﴾ على ضوء ما جاء به القرآن في قصة السيدة مريم:

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٠].

إن القرآن الكريم يوضح على لسان السيدة مريم أن أحداً من البشر لم يتصل بما الاتصال الذي ينشأ عنه غلام والتعبير في منتهى الدقة.. لماذا؟

لأن النص يتعرض لأمر يخص عورة، فجاء الحق سبحانه بأخف لفظ يدل على هذه الكلمة.. الحق سبحانه وتعالى أراد أن يثبت للسيدة مريم العفاف حتى في اللفظ، فلم يقل على لسانها « لم يباشرنى أحد» أو « لم يلامسني بشر».

لكن المقصود هو المباشرة وكذلك هنا نجد الأدب القرآني يرتفع بكرامة المرأة فيتناول المسألة التي تخص العورة بلفظ يؤدي لحماية المفهوم عنه بأخف تعبير.

ويقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هناك فرق بين مجرد إجراء عقد الزواج، وبين الدخول بالزوجة بعد إجراء العقد.

فما دام الزوج لم يتمتع بزوجه.. ولم يدخل بها فليس لها حق في أن تأخذ المهر كله. وإنما تأخذ فقط نصف المهر تعويضاً عما قد يلحق بها من ضرر نتيجة عقد القران وعدم إتمام الزواج ويجب على القوم أن يقرروا نصف مهر المثل لمن لم يسم لها مهر إنه متعة مقررة من الحق سبحانه وتعالى للمطلقة التي لم يسم لها مهر.

أما المرأة التي فرض الرجل لها مهراً فلها نصف ذلك المهر.

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه:

﴿إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا أَوْ يَتَّخِذُوا أَلَدَىٰ يَدَيْهِمْ عَقْدَةً النَّكِحَ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

إنَّ العفو هنا يكون بيد المرأة أو بيد الرجل.. إن بعض الجهلة يقولون- والعياذ بالله- إن القرآن الكريم فيه لحن.. وظنوا أن الصحيح في اللغة أن يأتي القول:

«إلا أن يعفوا بدلاً من: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا﴾».

ولكن هذا اللون من الجهل لا يفرق بين «واو الفعل» و«واو الجمع» إنما هنا «واو الفعل» ولم نسقط الثون هنا لأنها ضمير وليست علامة إعراب فقول الحق: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا﴾ .. مأخوذة من الفعل «عفا» و«يعفو»، والعفو المقصود هنا أن تعفو المرأة عن النصف المقرر لها.

ولنلاحظ أن ولي المرأة ليس له أن يعفو في مسألة مهر المرأة.. لماذا؟

لأن مهر المرأة هو حقها الخالص.. إنه مال حلال تماماً.. إن الرزق الحلال تماماً في حياة الناس هو ثمن البضع، أي: المهر، ولذلك يُروى أن بعض الصالحين حين يتم فرض صداق لامرأة منهم فإنهم لا يتصرفون في هذا المهر، بل يدخرونه بحيث إذا مرض واحد منهم فإنهم يشترون له الدواء من هذا الصداق. لأن هذا هو الرزق الحلال الذي ليس فيه تدليس ولا غش، لذلك تحل البركة به.

والمرأة المؤمنة التي وهبها الله سعة من الرزق هي وأهلها.. إنما تحتفظ بهذا المهر لتعطي منه البركة لمن يقع في ضيق أو مرض.. ولكن لماذا قال الحق:

﴿ أَوْ يَعْفُوا أَلَدَىٰ يَدَيْهِ عُقْدَةُ الْبَيْتِ ﴾ إن المقصود به هو الزوج فلا يجعل الأرمية للمرأة فقط ولكن يقررها للرجل أيضاً.. فلا عزم على المرأة.. ولا عزم على الرجل. إنما هو الفضل الذي يجب أن يسود العلاقة بين الاثنين إذا حدث طلاق لأي سبب.. إنه فضل يزرع التراضي النفسي والاجتماعي.

والفضل كما نعرف هو فوق العدل.. والحق سبحانه وتعالى قد وضع في هذه الآيات الحكم بقانون العدل.. ولكنه يطلب أن ننظر إلى الأمور بحكم الفضل.. وقد ذهب اثنان إلى قاضي وقالوا له: احكم بيننا بالعدل. فقال القاضي: أتريدان أن أحكم بينكما بالعدل أم بما هو خير من العدل؟ فسأل الرجلان القاضي: وهل يوجد خير من العدل؟ قال القاضي: نعم.. إنه الفضل، إن العدل يعطي لكل ذي حق حقه.. لكن الفضل يجعل صاحب الحق يتنازل عن حقه.

إذن.. فالتشريع الإلهي حينما يضع موازين العدل لا يريد أن يحرم المجتمع الإيمان من أرمية العدل.. لذلك يقول الحق سبحانه:

﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

لماذا؟ لأن عملية إقامة العدل وحدها قد تمتبقي المشاحنة في النفوس، لكن إقامة الفضل حديرة بأن تزيل المشاحنة من النفوس تمامًا. إن أي طرفين يقعان في خلاف ما، فإن كلاً من الطرفين يظن أنه صاحب الحق، ومن الجائز أن يكون لكل منهما ظروف تزين هذا التصور بأنه صاحب الحق.

لذلك فحين يتمسك كل منهما بإقامة العدل فقد يصلان إلى هذا العدل ولكن لن يصل أي منهما إلى مبلغ التراضي النفسي والاجتماعي.

أما إذا ما قبل الطرفان إقامة الفضل فإن كلاً منهما يصل إلى درجة التراضي النفسي والاجتماعي، لذلك فسياق الآيات يجعلنا نفهم:

أن على المؤمنين ألا ينسوا الفضل بينهم.. وأن يتقابل الرجل والمرأة في العفو فإن عفت المرأة عن النصف الذي لها أو عفا الرجل عن النصف الذي له كان ذلك أقرب إلى التقوى، ولذلك يقول الحق ﷻ:

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لماذا؟ إنه من الجائز جداً أن يظن طرف أنه ظالم أو مظلوم ولو أخذ النصف المقرر له.. ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى يقرر أنه من الأسلم والأقرب للتقوى، ألا يأخذ أحد شيئاً من هذا المال.. إنا هنا نجد أن الحق يوصي بالفضل في مقام الاختلاف الذي يؤدي إلى أن يفترق رجل عن امرأة لم يدخل بها. الحق سبحانه وتعالى يأمر ألا نجعل من هذه المواقف إشعالاً لفتنة الحقد أو الكراهية.

ولنعلم أن بعض الأحداث كالطلاق مثلاً إنما يقرها الحق سبحانه وتعالى كأسباب لمقدور لم يعلمه البشر، وهذا النوع من التسليم لله وهو الذي يحمي الإنسان من الوقوع في الاعتقاد الخاطيء بأن أسباب الإنسان هي الفاعلة.. إنما الأسباب كلها يجريها الله سبحانه وتعالى.. ويقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ أَلْوَسِيعِ قَدَرِهِ، وَعَلَىٰ أَلْمُقْتَرِ قَدَرِهِ، مَتَّعًا بِأَلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ أَلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

إن الحق يأمر بأحقية المرأة في المتعة إن حدث طلاق قبل الدخول بها أو قبل فرض الصداق.. والمتعة هي نصف مهر المثل في هذه الحالة والمتعة إنما تكون بما يناسب حالة الزوج.

فالموسع- أي الذي وسع الله عليه- يجب أن يوسع في المتعة للزوجة المطلقة تطبيقاً لمخاطرها وجرأاً لوحشة الفراق، فالموسع هو من أفاض الله عليه في الرزق، وهذه الكلمة من الألفاظ الموحية التي إن نظر الإنسان إليها بدقة فسوف يجد فيها أن الحق يطلب من الإنسان أن يوسع حركته في الحياة، وعلى قدر حركتك يكون عطاء الله لك.

والقرآن الكريم يقول للإنسان: لقد خلق الله سبحانه لك الأسباب، فخذ منها ما يوسع لك.. وهل رأيتم واحداً أخذ بالأسباب ثم أفشله الله؟ لا.. لا بد أن يعطي الله من يأخذ بالأسباب، لكن قد نجد إنساناً يجتهد وتأتي الأمور كما لا يشتهي، ورغم ذلك فالقاعدة أن الله تعالى يعطي على قدر العمل.

وقد نجد في بعض الأحيان أن الحق قد يعطي بلا حساب ليعرف الخلق أن للحق طلاقة قدرة لا تحكمها الأسباب.. ويكون هذا العطاء بلا حساب اختياريًا لمن أعطاه الله هذا الرزق الوفير.. وهل يتعامل الإنسان مع هذا الرزق الوفير بما يرضي الله أم لا؟ إنه امتحان من الحق للخلق.

وذلك آية للخلق في أن يعرفوا طلاقة قدرة الخالق الأكرم، إذن.. فعلى الموسع أن يعطي متعة للمطلقة التي لم يدخل بها على قدر سعة رزقه، والمقتصر عليه أن يعطي متعة للمطلقة على قدر طاقته، إذن.. فنصف مهر المثل في حالة

الاحتكام إلى العدل أو القضاء.

أما في حالة الاحتكام إلى الفضل امثالاً لأمر الحق: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ فالمنفعة على قدر الوسع والطاقة .

إن الحق سبحانه وتعالى حين يطلب حكماً تكليفيًا لا يطلب إنفاذ الحكم على المطلوب منه فقط، ولكنه يوزع المسؤولية في الحق الإيماني العام.

يقول سبحانه: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِمِ قَدْرَهُ، وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ، مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

ومعنى ذلك أن المجتمع المؤمن مسئول عن تنفيذ هذا الحكم الإيماني، ولا بد أن يتكاتف المؤمنون بالله على تنفيذ أمر الله في أن يتمتع أي رجل زوجته التي طلقها قبل أن يدخل بها.

لقد جاء الأمر بشأن الإمتناع بصيغة الجمع كدليل على ضرورة تكاتف الأمة المؤمنة في إنفاذ أحكام الله. فالموسع.. عليه إمتاع الزوجة المطلقة التي لم يدخل بها على قدره.

وقوله: ﴿الْمَقْتَرِ﴾ : إنا نسمع في بعض الأحيان عن إنسان يمر بشارع فيه محل لشواء اللحم.. وهذا الإنسان يشم رائحة اللحم المشوي ولا يقدر على أن يشتريها، وهذه الرائحة هي التي تسمى «فتار» لأنه غير قادر على شراء اللحم المشوي.

إذن.. فكلمة «مقتر» مأخوذة من العجز والقلة.



## حكم ذهاب المرأة للكوافير

إن المرأة تذهب إلى «كوافير» رجل، وهذا حرام قطعاً، لأنها سمحت لرجل أجني عنها برؤية شعرها ولمسه وتصفيقه واشتهائه.

أما إذا كان «الكوافير» امرأة مثلها، وكان ذلك في مكان مأمون بعيداً عن أعين الرجال، فلا مانع منه.. ويجب على المرأة العاقلة أن تعرف أن حرص الإسلام على عدم تبذل المرأة ليس اقحاماً لها... فإذا اطمأنتنا على دين المرأة وخلقها فهل نظمثن على دين وخلق من يراها على غير ما أمر به الله من احتشام؟

أما احتجاج بعض النساء برأي بعض العلماء فنقول لمن:

ما دامت المرأة قد رأت في العلماء التي تقول عنهم حجة، فلتسبعه لو تصورت أنه سيحمل عنها ذنبها عند لقاء الله تعالى.

إذن.. ماذا يجب على المؤمن الحريص على دينه عندما يجد رأيين مختلفين في أمر من الأمور، وقال عنه أحدهما: أنه حلال وقال الآخر: أنه حرام.. كما يحدث كثيراً؟.

هنا يجب أن نتذكر قول رسول الله ﷺ: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

فإذا قال واحد عن أمر: إنه حلال.. وقال الآخر: إنه حرام، فإن الأحوط للدين أن تتقي الشبهات.





## فقه المرأة المسلمة في الطلاق ثلاثاً

### الطلاق ثلاثاً:

س: طلقني زوجي مرتين، وفي كل مرة يندم ويعود، ثم طلقني الطلقة الثالثة، ويريد العودة إليّ من أجل أولادنا، فهل له هذا، وهذه الطلقات الثلاث كانت تتم بدون حضور شهود؟

ج: لا لزوم للندم في مثل هذه الحالة، فلقد أعطى الله زوجك ثلاث فرص للرجوع، ولكنه لم يحافظ عليها فعظمة التشريع في أن الحق سبحانه وزّع الطلاق على مرات حتى يراجع الإنسان نفسه، فربما أخطأ في المرة الأولى، فيمسك في المرة الثانية ويندم.

وكان الأولى بهذا الزوج أن يراجع نفسه ويسيطر عليها، قبل أن يتصرف هذا التصرف الأحق، أما وقد وقع التصرف الأحق بالفعل، فلا يحق له أن يعود إليك مرة أخرى إلا إذا تزوجت رجلاً غيره، ثم طُلقت منه بصورة طبيعية أو مات عنك.

س: طلق رجل امرأته ثلاث تطليقات جميعاً في مجلس واحد وبشهادة الشهود، فهل تحسب طلقة واحدة أم ثلاث تطليقات؟

ج: إن الزمن شرط أساسي في وقوع الطلاق، يُطلق الرجل زوجته مرة، ثم تمضي فترة من الزمن، ويقع الطلاق بينهما مرة ثانية، فتصبح طلقة ثانية، وتمضي أيضاً فترة من الزمن، وبعد ذلك نصل لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحَ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ولذلك فالآية تُصْهِها واضح وصريح في أن الطلاق بالثلاث في لفظ واحد لا يُوقع ثلاث طلاقات، وإنما هي طلقة واحدة، صحيح أن سيدنا عمر رضي الله عنه جعلها ثلاث طلاقات، لأن الناس استسهلوا المسألة، فرأى أن يُشدد عليهم ليكفُوا، لكنهم لم يكفُوا، وبذلك نعود لأصل التشريع كما جاء في القرآن، وهو: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].



## حكمة توزيع الطلاق ثلاثاً

وحكمة توزيع الطلاق على المرات الثلاث لا في العبارة الواحدة، أن الحق سبحانه يُعطي فُرصة للتراجع، وإعطاء الفرصة لا يأتي في نفس واحد، وفي جلسة واحدة، إن الرجل الذي يقول لزوجته: أنت طالق ثلاثاً.. لم يأخذ الفرصة لتراجع نفسه..

ولو اعتبرنا قَوْلته هذه ثلاث طلاقات لتهدّمت الحياة الزوجية بكلمة، ولكانت عملية قَسْرية واحدة، وليس فيها تأديبٌ أو إصلاحٌ أو تهذيبٌ.



## فقہ المرأة في حکم المتعة المطلقة

يقول الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

إن لكل المطلقات في أي صورة من الصور متاعاً<sup>(١)</sup>، ولكنه سبحانه قد بين المتاع في كل واحدة بدليل أنه أوضح لنا: إن لم تفرضوا لها فريضة فقال: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾. وإن كنتم فرضتم لها مهراً فنصف ما فرضتم، فكان الله قد جعل لكل حالة حكماً يناسبها، ولكل مطلقة متعة بالقدر الذي قاله سبحانه.



(١) قال الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

وعن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: لكل مطلقة متعة إلا التي تطلق وقد فرض لها صداق، ولم تمس، فحسبها نصف ما فرض لها [غير صحيح: أخرجه مالك (٥٧٣/٢) في الموطأ]. والمتعة: هي حق لكل مطلقة في فرقة لم تكن هي سبباً فيها، وهي واجبة لها قبل الدخول، إن لم يفرض لها مهر، ومستحبة إن لم تكن واجبة للمطلقة بعد الدخول.

قال الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي النِّسَاءِ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَمْرُسُوهُنَّ لهنَّ فريضة ومَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

فقه امرأة وأحكام الظهار

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١٠ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَافُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أَهْلُهُنَّ إِنْ أَفْتَيْتَهُمْ إِنْ أَفْتَيْتَهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُكْذَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيًا ذَلِكَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِأَنَّكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ (النحاة: ١-٤).

المجادلة هي: خولة بنت ثعلبة، وكانت زوجة لرجل من الأنصار اسمه أوس ابن الصامت، ذهبت تشتكي إلى الله تعالى زوجها، وتقول للرسول ﷺ أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، وقال: أنت عليّ كظهير أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ يريدني عن نفسي، قلت: كلا، لا تخلص إليّ حتى يحكم الله تعالى ورسوله ﷺ فينا بحكمه.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ  
كُلَّ شَيْءٍ عَظِيمًا ﴾ ، أي سمع الله تعالى: تخاطبكما فيما بينكما<sup>(١)</sup>.

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣)، والحاكم (٤٨١/٢) وصححه، وأقره الذهبي، وأخرجه البيهقي (١٥٢٤٣) في سننه الكبرى.

وإياك أن يخطر ببالك عندما تقرأ قول الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَائِرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إن السمع والبصر من الله تعالى كاستماع المخلوقين أو رؤيتهم، عز ربنا عن أن يشبهه شيء من خلقه، وجلُّ عن أن يكون فعل أحد من خلقه شبيهاً بفعله.

وقد كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في البيت قريبة من المجادلة وهي تشتكي إلى الله وتقص على رسوله ﷺ حكايتها فسمعت شيئاً وخفي عليها أشياء، فلما أنزل الله تعالى الآية، حمدت الله تعالى وسبحته ونزهته أن يكون له مثيل أو شبيه، فقالت -رضي الله عنها-: «سبحان من وسع سمعه الأصوات».

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَائِرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إشارة إلى أن الله

#### ١- تعريفه

- الظهار: هو قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

#### ٢- حكمه وتشريع

جاءت حولة بنت ثعلبة -رضي الله عنهما- إلى رسول الله ﷺ تشكو إليه من زوجها، الذي قال لها: أنت علي كظهر أمي، فحرمها على نفسه بهذه الكلمات، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أولك إلا قد حرمت عليه». فقالت له: يا رسول الله، إن له أبناء صغاراً تقول عائشة -رضي الله عنها-: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت حولة إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها، فكان يخفي عليّ كلامها، فأنزل الله ﷻ ﴿لَمَّا سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَائِرُكُمْ﴾ إلى آخر ما ورد في كفارة الظهار. [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٨٥)، والسماني (٥٩٠)، في تفسيره، وابن ماجة (١٨٨)، وأحمد (٤٦/٦)].

والكفارة هي: عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، كل ذلك قبل أن يتمها.

سبيل شكواها وبلواها، ولهذا ذكر حكمها وحكم غيرها على وجه العموم فكانت هذه الشكوى رحمة للمؤمنين أبطل الله تعالى بها طلاق الجاهلية وشرع للأمة ما يحفظ به حياة الأسرة المسلمة، كما أنه سبحانه حرم الأمومة للرجل الذي يجعل امرأته كأمه، كما حرم من قبل عادة التبني، وجعل الأسوة في النبي ﷺ يوم أنزل سبحانه:

﴿ أَذْعَوْهُمْ لِإِبْنَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاَحْزَنْكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥].

فعاد زيد بن حارثة ﷺ إلى اسم أبيه بدلاً من زيد بن محمد.

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ لَمْ يَعُدُّوا لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣-٤].

الله تبارك وتعالى شرع العقوبة في حالة الرغبة في العودة، لأن حيلة المهادلة كانت ترغب في العودة إلى زوجها أوس بن الصامت، يدل على ذلك أنها قالت للنبي ﷺ:

«إن لي صبية صغاراً، إن ضمهم إليهم ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، لذلك شرع ربنا الرحمن الرحيم العودة، وجعل لها كفارة قبل التماس هي: تحرير رقبة.

فإن لم يجد: فصيام شهرين متتابعين. فإن لم يجد: فإطعام ستين مسكينًا.  
والسؤال: إذا لم يكن الرجل يستطيع ذلك؟! على الناس أن تعينه، وأولى  
الناس به زوجته إن كان في استطاعتها فلتصدق عليه، أو يُصدق عليه من  
أموال الصدقة.





## فقه المرأة المسلمة في الإيلاء<sup>(١)</sup>

يقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

يؤلون: أي يحلفون ألا يقربوا أزواجهن في العملية المخصوصة، ويريد الرجل أحياناً أن يُؤدب زوجته فيبهرها في الفراش بلا عيب، وبدون أن يحلف، ولكن بعض الناس لا يستطيعون الامتناع عن نساءهم من تلقاء أنفسهم، فيحلفون ألا يقربوهم حتى يكون اليمين مانعاً ومُشجعاً له على ذلك.

والله يعلم أن للنفس نوازع ومُتغَيِّرات، ومن الجائز جداً أن يحدث خلاف بين الزوجين، فيجعل الله سبحانه وتعالى مُتَنَفِّساً يَتَنَفَّسُ فيه الزوج للتأديب الذي ينشد التهذيب والإبقاء، فشرع للرجل إن رأى في امرأته إذلالاً له بجماعها ومُحَسَّنِها، وقد يكون رجل له مزاج خاص ورغبة جامحة في هذه العملية، لذلك

(١) الإيلاء هو أن يحلف الرجل ألا يقرب امرأته أكثر من أربعة أشهر، فلا يُتَعَرَّضُ له قبل مضي أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة أشهر فبوقف، فإذا أن يقى، ويُكْفَرُ عن يمينه، أو يطلق.

### حكم الإيلاء

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ألما رجل إلى من امرأته، فإنه إذا مضت الأربعة الأشهر، وقف حتى يطلق أو يقى، ولا يقع عليها طلاق إذا مضت الأربعة الأشهر حتى يُوقف [غير صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٩٠)، (٥٢٩١)، وقال: وبذكر ذلك عن عثمان، وعلي، وأبي الدرداء، وعائشة، وأبي عبد الله من أصحاب النبي ﷺ].

شرع له فترة من الفترات أن يحلف ألا يقرب امرأته.

فَلَمْ أَثْبُهَا الزَّوْجَ أَنْ تَحْلِفَ أَلَّا يَقْرِبَ زَوْجَتَكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، لَكِنْ إِنْ زَادَتْ الْمُدَّةَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَهِيَ لَنْ تَكُونَ نَادِيًّا بَلْ إِضْرَارًا.

وَالْخَالِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرِيدُ أَنْ يُؤَذِّبَ لَا أَنْ يَضُرَّ، فَإِذَا مَا تَجَاوَزَتْ الْمُدَّةَ يَكُونُ الزَّوْجُ مُتَعَدِّيًا وَلَا حَقَّ لَهُ.

س: زوجي حلف عليّ ألا يقربني مدة أربعة شهور، ولكن المدة مرت دون أن يقربني، فما العمل؟ وهل له الحق في ذلك؟

ج: إِنْ رَجَعَ الرَّجُلُ، وَأَرَادَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ زَوْجَتِهِ قَبْلَ مَضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَلِلرَّجُلِ أَنْ يُكْفِّرَ عَنْ بَيْعَتِهِ وَتَنْتَهِيَ الْمَسْأَلَةُ.

وَلَكِنْ إِذَا مَرَّتْ الشُّهُورُ الْأَرْبَعَةُ وَتَجَاوَزَتْ الْمَقَاطِعَةَ مَدَّهَا يُؤْمَرُ الزَّوْجُ بِالرَّجُوعِ عَنِ الْيَمِينِ أَوْ بِالطَّلَاقِ، فَإِنْ أَمْتَنَعَ الزَّوْجُ طَلَّقَهَا الْحَاكِمُ، وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ:

إِنْ مُضِيَ مَدَّةُ الْأَرْبَعِ أَشْهُرِ دُونَ أَنْ يَرْجِعَ وَيَفِيءَ بِجَعْلِهَا مُطْلَقَةً طَلَّقَتْ وَاحِدَةً بَائِتَةً.

وَالطَّلَاقُ فِي الْإِبْلَاءِ بَيْنُونَةُ صُغْرَى، وَهِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عَقْدٍ وَمَهْرٍ جَدِيدَيْنِ، هَذَا إِذَا لَمْ يَسْبِقْ طَلَاقَانِ.



## فقه وحكم إيلاء الزوج من زوجته

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

يؤلون: أي يخلفون ألا يقربوا أزواجهن في العملية المخصوصة، ويريد الرجل أحياناً أن يؤدب زوجته فيبهرها في الفراش بلا عيب، وبدون أن يخلف. وبعض الناس لا يستطيعون أن يمتنعوا عن نساءهم من تلقاء أنفسهم، فيخلفون ألا يقربوهن حتى يكون اليمين مانعاً ومشجعاً له على ذلك. وكان هذا الأمر مألوفاً عند العرب قبل الإسلام.

كان الرجل يمتنع عن معاشرة زوجته في الفراش أي فترة من الزمن يريد، وبعضهم كان يخلف ألا يقرب زوجته زمناً محدداً، وقبل أن ينتهي هذا الزمن يخلف يمناً آخر ليزيد المدة فترة أخرى، وهكذا حتى أصبحت المسألة عملية إذلال للمرأة، وإعصافاً لها، وامتناعاً عن أداء حقها في المعاشرة الزوجية.

وكان ذلك إهداراً لحق الزوجة في الاستمتاع بزوجها.

ويريد الحق سبحانه وتعالى أن ينهي هذه المسألة، وهو سبحانه لا ينهيها لحساب طرف على طرف، وإنما يعدل الخالق الحكيم الرحيم بعباده. وكان من الممكن أن يجرمها ويحزمها لغالباً ويمنع الناس منها..

لكنه سبحانه عليم بخفايا وطبيعة النفوس البشرية، فقد ترى امرأة أن تستغل إقبال الرجال عليها، إما لجمال فيها أو لتوقد شهوة الرجل..

فتحاول أن تستدله، لذلك أعطى الله للرجل الحق في أن يمتنع عن زوجته

أربعة أشهر.. أما أكثر من ذلك فالمرأة لا تطبق أن يعتنق زوجها عنها.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَابِهِمْ شُرَاطُ أَنْتَعَةٍ أَشْهُرٌ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾  
[البقرة: ٢٢٦].

والإسلام يريد أن يبنى الحياة الزوجية على أساس واقعي لا على أفكار  
مجنحة ومجحفة لا تثبت أمام الواقع، فهو يعترف بالميل فيعملها ولكن لا  
يهدمها، ويعترف بالغرائز فلا يكتنمها ولكن يضبطها.

وهناك فرق بين الضبط والكبت، فإن الكبت يترك الفرصة للداء ليستشري  
خفياً حتى يتفجر في نوازع النفس الإنسانية تفجراً على غير معاد ويدون  
احتياط، لكن الانضباط يعترف بالغريزة ويعترف بالميل، ويحاول فقط أن  
يهدبها ولا يهدمها.

ويخضع البشر في كل أعمالهم هذه النظرية حتى في صناعتهم..

فالذين يصنعون المراحل البخارية مثلاً يجعلون في تلك المراحل التي يمكن  
أن يضغط فيها الغاز ضغطاً فيفجرها يجعلون لها متنفساً حتى يمكن أن يخفف  
الضغط الزائد إن وجد، وقد يصممون داخلها نظاماً آلياً لا يتدخل فيه العقل بل  
تحكم الآلة نفسها.

والحق سبحانه وتعالى وضع نظاماً واضحاً في خلقه الذين خلقهم، وشرع  
لهم تكوين الأسرة على أساس سليم..

وبني الإسلام هذا النظام أولاً على سلامة العقيدة ونصاعتها ووحدها حتى  
لا تتوزع المؤثرات في مكونات الأسرة، لذلك منع المسلم من أن يتزوج من  
مشركة، وحرّم على المسلمة أن تتزوج مشركاً..

وبعد ذلك علمنا معنى الالتقاء الغريزي بين الزوجين..

ولقد أراد الحق سبحانه وتعالى ألا يطلق العنان للغريزة في كل زمان التواجد الزوجي، فجعل الحيض فترة يحرم فيها الجماع وقال:

﴿ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وهكذا يضبط الحق العلاقة الجنسية بين الزوجين ضبطاً سليماً نظيفاً.

الحق سبحانه وتعالى يعلم أن النفس البشرية ذات أغيار، لأن الإنسان حادث له بداية ولهاية، وكل ما يكون حادثاً لابد أن يطرأ عليه تغيير.

فإذا ما التقى الرجل بالمرأة.. كان لابد من أن يتحدد هذا اللقاء على ضوء من منحهم الله، لأن اللقاء إن تم على منحهم البشر وعواطفهم كان المصير إلى الفشل، لأن مناهج البشر متغيرة وموقوتة..

ولذلك يجب أن يكون لقاء الرجل بالمرأة على ضوء معايير الله.

فالله يعلم أن للنفس نوازع ومتغيرات، ومن الجائز جداً أن يحدث خلاف بين الزوجين، فيجعل الله سبحانه وتعالى متنفساً يتنفس فيه الزوج للتأديب الذي ينشد التهذيب والإبقاء.

فشرع للرجل إن رأى في امرأته إذلالاً له بجمالها وبهئتها..

وقد يكون رجل له مزاج خاص ورغبة جامحة في هذه العملية..

لذلك شرع الله له فترة من الفترات أن يخلف ألا يقرب امرأته..

ولم يجعل الله تلك الفترة مطلقة، إنما قيدها بالحق حتى يكون الأمر

مضبوطاً.

فالخق يريد العلاج لا القسوة.. فلو لم يكن الرجل مضبوطاً بيمين فقد يغير رأيه بأن يأتي زوجته، ولذلك قال الحق:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرْثُصُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ﴾ أي إن لك أيها الزوج أن تحلف ألا تقرب زوجتك أربعة أشهر لكن إن زادت المدة على أربعة أشهر ففيه لن تكون تأديباً بل إضراراً.

والخالق ﷻ يريد أن يؤدب لا أن يضر.. فإذا ما تجاوزت المدة يكون الزوج متعدياً ولا حق له.

إن الحق سبحانه وتعالى هو خالق الميول والعواطف والغرائز ويقنن لها التقنين السليم.

إنه ﷻ يترك لنا ما يدلنا على ذلك، ففي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يمر عمر في جوف الليل فيسمع امرأة تقول الأبيات المشهورة:

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني إلا خليل الأعـبه  
فوالله لولا الله تخشى عواقبه لزلزل من هذا السرير جوانبه

معنى ذلك أن المرأة تعاني من الوحشة إلى الرجل، وتوشك المعاناة أن تدفعها إلى سلوك غير قويم، لكن تقوى الله هي التي تمنعها من الانحراف.

ومن الجائز أن نتساءل كيف سمع عمر هذه المرأة وهو يسير في الشارع، وأقول:

إن المرأة التي تأتي عندها هذه الأحاسيس تنرم في سكون الليل.. وعندما يسكن الليل لا تكون فيه ضجة فيسهل سماع ما يقال داخل البيوت، ألم يسمع عمر كلام المرأة التي تجادل ابنتها في غش اللبن؟

ولما سمع الفاروق كلام هذه المرأة التي تعاني من وحشة إلى الرجل، ذهب بفطرته السليمة وألمعته المشرقة إلى ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقال لها:

«كم تصير المرأة على بعد الرجل؟» .

فقالت من ستة شهور إلى أربعة أشهر.

فسن عمر سنة أصبحت دستوراً فيما بعد.. وهي ألا يبعد جندي من جنود المسلمين عن أهله أربعة أشهر.

إذن فقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ مِن بَنَاتِهِمْ ثَرْغًا أَشْهَرُ﴾ سبق حادثة عمر، ثم ترك الحق لواقع الحياة أن يبين لنا صدق ما قنته لنا..

وبأي عمر ليستنبط الحكم من واقع الحياة.

﴿فَإِنْ قَاءُوا﴾ أي فإن رجع الرجل، وأراد أن يقترب من زوجته قبل مضي الأربعة أشهر، فللرجل أن يكفر عن يمينه وتنتهي المسألة، ولكن إذا مرت الشهور الأربعة وتجاوزت المقاطعة مدتها يؤمر الزوج بالرجوع عن اليمين أو بالطلاق.

فإن امتنع الزوج طلقها الحاكم.

وقال بعض الفقهاء:

إن مضي الأربعة أشهر دون أن يرجع وبقيء يجعلها مطلقة طلاقاً واحدة بائنة.

ولذلك يقول الحق:

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٧].

## فقہ المرأة في أحكام العدة

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

هذه الآية الكريمة تبدأ بحكم تكليفي، وإن لم يرد هذا الحكم التكليفي بصيغة الأمر، ولكن جاء في صيغة الخبر إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ والحق تبارك وتعالى حين يريد حكماً لازماً لا يأتي له بصيغة الأمر الإنشائي، إنما يورد الله الحكم بصيغة الخبر.. هذا أكد وأوثق للأمر.. كيف؟

الحق سبحانه وتعالى حين يأمر فالأمر يصادف من المؤمنين بالله امتثالاً، ويُطبق الامتثال في كل الجزئيات حتى لا تشذ عنه حالة من الحالات فصار واقعاً يحكى وليس تكليفاً يطلب، وما دام قد أصبح الأمر واقعاً يحكى فكان المسألة أصبحت تاريخاً يروى هو:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾.

ويجوز أن نأخذ الآية على معنى آخر هو أن الله تعالى قد قال:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ فيكون كلاماً خبرياً.

وانظر إلى قول الحق سبحانه:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧٧].



إن هذا وإن كان كلامًا غيريًا لكنه تشريع إنشائي يحتمل أن تطيع وأن تعصي، ولكن الله يطلب منا أن تكون القضية هكذا ﴿الْحَبِيشَتُ لِلْغَيْبِثِ﴾ .  
يعني أن ربكم يريد أن تكون: ﴿الْحَبِيشَتُ لِلْغَيْبِثِ﴾ وأن تكون: ﴿وَالظَّالِمَتُ لِلظَّالِمِثِ﴾ وليس معنى ذلك أن الواقع لابد أن يكون كما جاء في الآية، إنما الواقع يكون كذلك لو نفذنا كلام الله وسيختلف إذا عصينا الله ومردنا على شرعه.

هذا الواقع الخيري فيه أيضًا تكليف إيماني، إنه تكليف بأن يتحبه الإنسان إلى الإيمان فهذا طيب يتزوج على منهج الله من طيبة، وإن كان الإنسان عاصيًا لله فهو يتحبه إلى مثله.

إن الواقع الخيري يتضمن تكليفًا إيمانيًا وهكذا نجد أن الحق حين قال:

﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فهذا الخبر هو واقع تكليفي، والتربص يعني الانتظار واستخدم الحق كلمة التربص بما فيها من صراع وانتباه ولم يقل الحق سبحانه: «ينتظرون» لأن الانتظار قد لا يحمل هذه القوة من الصراع.

إن المطلقة تحس بشكل أو بآخر أنها مزهود فيها..

ويريد لها الحق أن تربص أيام العدة حتى تنتهي هذه الأيام..

ويأتي لها من يرغب فيها فيتزوجها فتسترد كبرياءها الذي أهدره رجل من قبل، وحتى يشعر الرجل المطلق أن المرأة ليست مزهودًا فيها كما تخيل، ولكنها مرغوبة أيضًا.

والتربص يعني أيضًا أن النفس الواعية المكلفة بأوامر الله تدخل في صراع

مع النفس الأمانة بالسوء ولا بد أن تنصير المرأة المؤمنة المطلقة لنفسها الواعية على النفس الأمانة بالسوء لتنال ثواب طاعة الله.. وليجزئها الله خيرًا مما سبق.

وحين يأمر الله سبحانه أن تبرص المطلقة ثلاثة قروء، فمعنى ذلك أن تبرص بنفسها زمانًا هو ثلاثة أطهار متوالية ﴿قُرُوءٌ﴾ جمع قرء والمقصود به المسافة بين الحيضة والحيضة والعلة في ذلك هو إبراء الرحم..

وأيضًا إعطاء مهلة نفسية للرجل والمرأة فمن الممكن أن تحدث المراجعة، إنما معرفة الخالق بالخلق التي تجلت في أن تكون العدة لثلاثة أطهار وذلك لإعطاء الفرصة للمراجعة بين الزوجين..

ولا ستبراء الرحم في حالة عدم المراجعة وصيرورة الطلاق بائنًا.

ذلك أن الحمل لا يكون مؤكدًا إلا بعد ثلاث حيضات والحامل لا تحيض عادة..

وإن حاضت فإن ذلك يكون مرة أو مرتين لا أكثر..

والعلم لا يتيقن من الحمل إلا في الشهر الثالث عندما يثبت أن هناك جنينًا قد بدأ يملأ تجويف الرحم بما يمنع الحيض.



## فقه المرأة في عدة الحامل

لكن إذا كانت المرأة- غير المتوفى عنها زوجها- حاملاً، فعندما بعد وضع المولود ولو بلحظة.. لماذا؟

لأن العدة في هذه الحالة مرتبطة باستبراء الرحم فقط..

أما المرأة الحامل المتوفى عنها زوجها فعندما أبعاد الأجلين فإن كان الأجل الأبعد هو أربعة أشهر وعشرًا فتلك عدتها..

وإن كان الأجل الأبعد هو الحمل فعندما أن ينتهي الحمل.



## عدة المتوفى عنها زوجها

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَهُنَّ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

والعدة هي الفترة الزمنية التي شرعها الله بعد زواج انتهى بطلاق أو وفاة الزوج.

والعدة إما أن تكون بعد طلاق، وإما بعد وفاة زوج، فإن كانت العدة بعد طلاق فمدتها ثلاثة قروء، والقراء - كما عرفنا - هو الحيضة أو الطهر، فإن كانت المطلقة صغيرة لم تحض بعد أو كانت كبيرة تعدت سن الحيض فالعدة تنقلب من القروء إلى الأشهر وتصبح «ثلاثة أشهر».

والمتوفى عنها زوجها اختصها الله تعالى بأربعة أشهر وعشر وفاء لحق زوجها عليها وإكراماً لحياقتها الزوجية.

إذن.. قاله ﷻ جعل المتوفى زوجها تريض أقصى مدة يمكن أن تصبر عليها المرأة.

وقد يسأل سائل: لماذا تقل مدة العدة في المطلقة عن الأرملة؟

والإجابة هي: أن الحق سبحانه وتعالى أراد لفضيلة الوفاء أن تكون موجودة في الزوجية التي انكسرت بالجبر لا بالاختيار.

إن طول مدة العدة بعد وفاة الزوج إنما هو وفاء للحياة الزوجية، أما إذا كانت المرأة حاملاً وتوفى عنها زوجها فعدتها تحسب بأبعد الأجلين.

فإن وضعت المرأة مثلاً بعد وفاة الزوج بشهر تكون عدتها هي أربعة أشهر وعشرًا من بعد وفاة الزوج، وإن وضعت المرأة بعد وفاة الزوج بسبعة أشهر مثلاً.

تكون عدتها هي الفترة الطويلة نسبياً وهي بعد الوضع.

إذن: فعدة الأرملة هي أبعد الأجلين والمقصود بأبعد الأجلين هو الآتي:

إن كان أبعد الأجلين هو الوضع فعدتها تنتهي بعد الوضع.

وإن كان أبعد الأجلين هو أربعة أشهر وعشر ليالٍ.. فعدتها تنتهي عند

مرور ذلك الوقت.. لماذا؟

لأنه من الجائز أن تفقد زوجها بالموت وهي حامل في الشهر التاسع..

وتضع مولودها قبل أربعة أشهر وعشرًا وعندئذ لا تنتهي عدتها إلا بمرور

أربعة أشهر وعشرًا ويتم حساب العدة من يوم الوفاة.

وعندما يقول الحق سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

وذلك يعني: أن للزوج حين تحضره الوفاة أو أسبابها أو مقدماتها، أن ينصح

ويوصي بأن تظل الزوجة في بيته حولاً كاملاً لا تحجره، ويتم الإنفاق عليها من

تركة الزوج ولا تخرج الزوجة من مسكن زوجها.

لكن إن شاعت المرأة أن تغذ هذه الوصية - فالأمر لها وإن لم تشأ صار من حقها

أن تلتزم فقط بالحكم الأول وهو التريض بالنفس مدة أربعة أشهر وعشر ليالٍ..

وهذا للجمع بين الآيتين، خلافاً للقائلين بنسخ الآية الثانية بالأولى حيث أن هذه الآية الثانية تقرر حكماً جديداً وهو إذا أوصى الزوج بأن تظل الزوجة في بيته حولاً كاملاً بعد وفاته، إذا وافقت الزوجة على إنفاذ وصية زوجها المتوفى فإن لها النفقة خلال هذا الحول من التركة، وإن لم تشأ إنفاذ الوصية يلزمها الحكم الأول بالترخيص بالنفس مدة أربعة أشهر وعشر ليالٍ.

إن استبراء الرحم أمر مطلوب..

ويضاف إليه عدم الاجترار بالزواج الجديد على قداسة وحرمة الزواج الأول.

وذلك احتراماً ووفاء للزوج الأول المتوفى.

إن الحق يريد بذلك أن يعطي قداسة للزوج الأول لذلك لا ترتبط المسألة

هنا فقط باستبراء الرحم.



## عدة البائس والصغيرة

أما المرأة المطلقة التي لا تحيض لأنها بلغت عمر عدم الحيض ففي عدتها يأتي قول الله محذراً لمن بلغت عمر عدم الحيض أو للصغيرة التي لم تحض بعد:

﴿وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ [الطلاق: ٤].



## العدة والوفاء للزوج

حين يتوفى الزوج عن امرأته، فهي لا تخرج من بيته ولا تنزبن ولا تلقى أحداً، لماذا؟

ليكون في ذلك السلوك صفة الوفاء للزوج الأول، أما إذا بلغ الأجل نهايته، فالحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

إذن.. فمن حق المرأة بعد فترة العدة وفاء للزوج أن تتصرف في أمور حياتها بالحقوق الطبيعية لها، وفي إطار الشريعة والالتزام بأوامر الله، ومن حق المرأة أن تخرج من بيت الزوج المتوفى لزيارة أهلها أو لقضاء حاجتها..

ومن حق المرأة أن تنزبن داخل بيتها وفي إطار المحارم المصرح لها رؤيتهم سافرة ومن حق المرأة أن تلتقي بالخاطبين لها في حضور آخرين من ذويها أو أقاربها.

أي أن من حقها كل الأمور المتعارف عليها في ضوء أحكام الدين.

والحق تبارك وتعالى يقول:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾  
والمقصود هنا بلوغ الأجل هو إتمام الميعاد المقرر للحكم. وهو أربعة أشهر وعشر ليالٍ، ولكن الحق يورد بلوغ الأجل في موقع سابق بمعنى آخر غير تمام الأجل بل بمعنى اقتراب الأجل، فيقول الحق الأعلى:



﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَبْلُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١].

إن بلوغ الأجل في هذه الآية الكريمة إنما جاء بمعنى «قاربن» .. أي أيها المؤمنون بالله إن طلقتم النساء وقاربن بلوغ نهاية العدة، فإذا أن يتراجع الرجل منكم عن الطلاق ويتمسك ببقاء زوجته في عصمته، أو أن يترك الرجل مطلقة لتتم عدتها بإحسان ودون تطويل العدة بنية الإضرار بها.

هكذا يأتي اللفظ الواحد في مجالين مختلفين.. ويؤدي نفس اللفظ معنى مغايراً.

وبعد ذلك تأتي لفظة تشريعية إيمانية تدل على استغراق كل حكم شرعي لجميع المكلفين، وإن لم يكن الحكم ماساً بهم.  
كيف؟ هيا بنا نرى هذا الأمر واقعاً..

إن المرأة المتوفى عنها زوجها يجب عليها أن تترص بنفسها أربعة أشهر وليلٍ عشر، وحكم الله على المرأة في هذه الفترة ألا تتزين وألا تكتحل وألا تخرج من البيت وفاء لحق الزوج الأول.

فإذا ما بلغت الأجل واكتملت العدة فالحق سبحانه وتعالى يصدر الأمر شاملاً لكل المؤمنين قائلًا:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

هذا القول الحكيم ملزم لكل مؤمن أن يتدخل وينبه الأرملة إن هي ارتكبت أي فعل مخالف كالزينة أو الخروج من المنزل أو استقبال الخطاب، وليس لأحد أن يقول:

ما دخلي أنا.. إن كل مؤمن له ولاية على أخيه المؤمن بالنصيحة الخالصة لله.

فإذا رأى إنسان أرملة تخرج عن الشرع في فترة العدة، فله الحق أن يعظ المرأة بأن تتبع منهج الله حتى ولو لم يكن هذا الإنسان من أقارب الزوج، أو أقارب الزوجة، إن قول الحق:

﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

هذا القول يعمم فيه الله الأمر للمخاطبين لذلك فليس من حق أحد أن يقول: أنا لست مسئولاً عن هذه الأرملة وليس لي بها علاقة قرابة، ليس من حق أحد من المؤمنين أن يدبر ظهره لتصح هذه المرأة لأن هناك أخوة إيمانية تربطه بها.

ذلك هو الحكم الإيماني المستغرق لكل المؤمنين وعلى كل المؤمنين، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَالْعَصْرُ ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

الحق سبحانه يقسم بالزمان لكثرة ما انطوى عليه من عجائب، وعبر عن أن الإنسان قد يقع في لون من الخسران، إن غلبته الأهواء والشهوات إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات..

وأوصى بعضهم بعضاً بالتمسك بالحق اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأوصى بعضهم البعض بالصبر على المشاق التي تعترض من يتمسك بتعاليم الدين..

إن هؤلاء هم الناجون من الخسران في الدنيا والآخرة.

الحق سبحانه وتعالى لم يحصر أمر التواصي في قوم دون غيرهم، لا.. إن كل مؤمن مطالب بالنصيحة لأخيه..

فإذا رأى مؤمن ضعفاً في أخيه المؤمن في أي ناحية من نواحي أحكام الله، فعليه أن يوصي أخاه وينصحه.. وهكذا يتبادل المؤمنون التواصي والنصيحة.

لماذا يريد الحق ذلك؟

لقد أراد الحق سبحانه التواصي بين المؤمنين لأنه يعلم أن البشر تتناهم الأغيار، فانت أيها المؤمن في فترة ضعف أخيك المؤمن رقيب عليه فتوصيه، وأخوك المؤمن في فترة ضعفك رقيب عليك فبوصيك وهنا يصلح المجتمع بعضه بعضاً.

إن قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ إنما هو أمر يشمل كل المؤمنين..

ولم يختص الأمر بحدود المرأة نفسها أو في حدود أولياء أمورهم..

إن الحق أصدر الحكم لكل المؤمنين، لذلك فليس من حق أحد أن يقول في مثل هذا الموقف: مالي أنا بهذا الأمر.

إن سلوك المرأة تجاه نفسها وأثناء عدتها من الزوج المتوفى عنها هو أمر يخص كل مؤمن، وبغيرنا الحق سبحانه:

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ والحق سبحانه وتعالى يوضح لنا وللمرأة التي في مثل هذا الموقف أنها إن فعلت أي شيء فيه خروج عن أحكام الله حتى وإن لم يرها أحد؛ فإن الله هو المطلع العليم على كل خافية في الصدور والسلوك والكون.

ولنا أن نلاحظ أن الحق سبحانه قد حمى حق الزوج حتى تنتهي العدة..  
 كما حمى وفاء المتوفى عنها زوجها في فترة عدتها..  
 وجعل الله سبحانه وتعالى المرأة أثناء عدتها حراماً لا يقترب منه أحد حتى  
 لا يخذل إنساناً ما كرامة المرأة في أي من الموقفين..  
 موقف الطلاق أو موقف الحداد على الزوج، ونحن نعرف أن المطلقة قد  
 تعاني من الرغبة في الثأر لنفسها أو لكرامتها..  
 وربما تعجلت الزواج من رجل آخر بل وربما كانت مسائل الافتراق أو  
 الخلاف ناشئة عن تدخل أو اندسلس شيء لرغبة راغب فيها..  
 لذلك فإن كان الأمر هكذا.. فإن المرأة بمجرد أن يتم طلاقها فقد تسول لها  
 نفسها أو يحوم أحد حولها أو تستشرف آفاق المستقبل، لتختار بديلاً لمطلقها..  
 لذلك حرم الحق سبحانه وتعالى أي اقتراب أو حوم حول المرأة في هذه  
 الفترة ليوفر لها الحماية الموضوعية وليست مجرد الحماية الشكلية..  
 إن العدة جعلها الله تعالى منطقة محرمة حفاظاً على كرامة المرأة.



## حكم الخطبة في زمن العدة

إن العدة منطقة محرمة ولأن التشريع من إله رحيم، فالتشريع لا يهدر عواطف النفس البشرية، لا يهدر التشريع عواطف الإنسان الذي يرغب في الزواج من امرأة مطلقة، أو مات عنها زوجها ولا يهدر عواطف المرأة في فترة عدتها، لذلك يعالج الحق هذا الأمر بدقة وحزم فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَصْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ مِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَ الْبَيْعِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وهنا نعرف أن هناك أسلوباً في التعبير اسمه «التعريض» وهو أن تدل على شيء لا بما يؤديه نصاً ولكن بالتلميح إليه، الحق سبحانه وتعالى أراد أن يجعل للعواطف الإنسانية تنفيساً من هذه الناحية، وهذا اللون من التنفيس ليس مجرد تبرير للعاطفة إنما هو أيضاً رعاية للمصلحة، لماذا ؟

لأنه من الجائز لو حرم الله هذا اللون من التنفيس عن العاطفة ولم يسمح بالتعريض - أي التلميح لا التصريح - فإن في ذلك تفويتاً لفرصة قد تكون سائغة للمرأة أن تتزوج، أو تضييع فرصة على إنسان مؤمن أن يطلب الزواج من امرأة مؤمنة في مثل هذه الحالة.

لذلك يريد الحق سبحانه وتعالى من المؤمن أن يدخل إلى هذا الأمر بآداب الاحتياط...

لقد أمر الله سبحانه وتعالى ألا يخاطب رجل امرأة في فترة العدة خطبة

صريحة مباشرة، لكن ليس هناك مانع من أن يمس الإنسان هذا الأمر بالتلميح من بعيد..

كأن يقول المؤمن للمؤمنة: إنك امرأة طيبة يتمناها الرجل لحسن خلقها وأدبها.. ولا بد أن يسعد بها من يتزوجها بإذن الله.

أو أن يقول لها:

وددت أن يسر لي الله امرأة صالحة.

هذا هو التعريض.. وفائدة التعريض أنه يعطي فرصة للرجل المؤمن أن يعبر عن نفسه فلا يسبقه أحد إلى هذه المرأة، ويعطي التعريض للمرأة أيضاً فرصة التفكير بالقبول أو الرفض.

الرحمة من الحق سبحانه أن جعل العدة منطقة محرمة لها حمايتها بنص التشريع، وجعل للعواطف الإنسانية فرصة بالتلميح والتنفيس لذلك قال الحق سبحانه:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمُوهَا مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ إذن.. فالتلميح مباح.. ولكن ما أمر الخطبة نفسها؟

لنا الآن أن ندقق جيداً في مادة الخاء والطاء والياء.

نحن نجد أن كلمة خطب تعني أمراً عظيماً تجري معالجته.. فالخطب أمر عظيم بهذا الكيان والخطبة بضم الخاء، لا تتم إلا في أمر عظيم يحتاج الناس فيه إلى إيضاح وبيان، والخطبة بكسر الخاء هي أمر فاصل بين حيتين، حياة المسئولية عن النفس وحدها، وحياة التقيد بمسئولية بناء الأسرة.

فالخطبة تعني أمراً فاصلاً وذا بال وأهمية، والحق عندما يقول:

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِيهِنَّ ﴾<sup>١</sup> فإن الحق سبحانه يصرح للرجل بالتلميح للمرأة أثناء عدتها بالأمر العظيم. وهو الرغبة في الارتباط بها.. ولا يعاقب الحق إنساناً وضع في باله أن يخاطب تلك المرأة.

إن الحق الخبير العليم بخبايا الصدور يقول: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾<sup>٢</sup> إنه سبحانه وتعالى الذي خلق كل الكون ويعلم ما فيه ومن فيه، يعلم أن هذه المرأة سوف تكون لها مكانة في قلب الرجل الذي يرغب في الزواج بها بعد انتهاء العدة، والله لم يضيق على الرجل المؤمن أمر التلميح أو التفكير في أمر خطبة امرأة حتى لا يعوق عواطفه..

لكن الحق سبحانه وتعالى لم يترك المسألة دون ضوابط حتى لا يهدر أحد الوفاء، أو يقع في المخطور، قال تعالى:

﴿ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾<sup>٣</sup> ، ولقد أباح الحق التلميح بأمر الخطبة لا التصريح بها في فترة العدة لأن الحق عليم بخفايا الصدور، وأن المرأة في فترة عدتها قد تكون ذات مكانة في قلب الرجل الذي يرغب أن يتزوجها، لذلك أباح التلميح ولهمي عن التواعد في السر، وإن تم اللقاء بين رجل مؤمن وامرأة مؤمنة في فترة عدتها فيجب أن يكون الحوار في إطار الأدب الإيماني وإن تم التلميح فلنا أن نعرف أن المرأة في مثل هذه المواقف تلتقط بأحاسيسها أي رسالة من القول بالمعروف. وبعد ذلك يأمر الحق:

﴿ وَلَا تَعَزِّمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾<sup>٤</sup> إن مجرد العزم الأكيد منهى عنه، والعزم مقدم على الفعل، فإذا لم يمتنع كان النهي عن الفعل

أقوى وأشد، فلك أن تنوي الزواج منها، ولكن لا تقدم على إتمامه إلا بعد نهاية فترة العدة.

وقد يسأل سائل.. ولماذا ينهي الله عن مثل هذا العزم؟

إن الحق سبحانه ينهي عن مثل هذا العزم لتأكيد حرمة زمن العدة، وحتى يمنع الرجل من أن يحوم حول حمى المرأة في هذه الفترة، إن أمر النكاح إنما يقدم له الإنسان بالمشيئة، ولا يعزم عليه كأمر ميتوت فيه إلا بعد انتهاء العدة.

وقد حدد الحق الميعاد المناسب لعزم النكاح وهو أن يبلغ الكتاب أجله، أي بعد أن تنتهي فترة العدة، فكان عقد النكاح لها مراحل.

المرحلة الأولى: التعريض، أي التلميح لا التصريح.

المرحلة الثانية: العزم الذي يجب ألا يتم إلا بعد انتهاء فترة العدة.

المرحلة الثالثة: العقد الشرعي.

والمقصود بهذه المراحل أن يأخذ كل طرف فرصته للتفكير العميق والمشورة والتحري في هذا الأمر الجاد.. فإن شرح الله صدره، فليتحرك موعد انتهاء العدة ليعقد عليها.

وإن صرف الله قلبه عنها، فليحمد الله تعالى ويتعد.

ونحن نعرف بطبيعة الحال أن للمرأة أن تقبل أو ترفض مثلما هو حق الرجل أن يلمح وبعد ذلك يعزم الأمر على النكاح بشرط انتهاء العدة، ثم يعقد بعد ذلك عقد النكاح.

إذن.. فلا زواج بدون أرضية العزم لأن الدخول إلى النكاح معناه الدخول إلى عالم مليء بالمسئولية، ولا بد لمن يدخل هذا العالم المليء بالمسئولية من أن



يتدبر أمره جيداً وأن يمتلك إرادة العزم، وأن يقبل على الزواج بإرادة جادة، وأن يعرف أن الزواج علاقة لها قدسيتهـا وليس مجرد شهوة طارئة لا تملك أرضية من المروءة، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].



## الحكمة من عدة المرأة المتوفى عنها زوجها

يقول الحق بعد ذلك:

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ فَيَذَرُونَ أَرْوَاحًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

والعدة- كما عرفنا- هي الفترة الزمنية التي شرعها الله بعد زواج انتهى بطلاق أو وفاة الزوج..

والعدة إما أن تكون بعد طلاق، وإما بعد وفاة زوج.

فإن كانت العدة بعد طلاق فمدتها ثلاثة قروء.. والقروء- كما عرفنا- هو الحيضة أو الطهر..

فإن كانت المطلقة صغيرة ولم تحض بعد أو كانت كبيرة تعدت سن الحيض فالعدة تنقلب من القروء إلى الأشهر وتصبح «ثلاثة أشهر».

وعرفنا أن من حق الزوج أن يراجع زوجته بينه وبين نفسه دون تدخل الزوجة أو ولي أمرها، له ذلك في أثناء فترة العدة في الطلاق الرجعي، فإن انتهت عدتها فقد سقط حقه في مراجعة الزوجة بنفسه، وله أن يراجعها، ولكن معهر وعقد جديدين ما دام قد بقي له حق أي لم يستنفد مرات الطلاق.

وقد قلنا: إن تعدت الطلقات اثنتين وأصبحت هناك طليقة ثالثة فلا بد من زوج آخر يتزوجها بالطريقة الطبيعية لا بقصد أن يحلها للزوج الأول.

وأما عدة المتوفى عنها زوجها فقد عرفنا أن القرآن ينص على أنها تتربص

بنفسها أربعة أشهر وعشراً، هذا إن لم تكن حاملاً، فإن كانت حاملاً فعندما أبعد الأجلين، فإن كان الأجل الأبعد هو أربعة أشهر وعشراً فذلك عدتها، وإن كان الأجل الأبعد هو الحمل فعدها أن ينتهي الحمل. لكن أليس من الجائز أن يموت زوجها وهي في الشهر التاسع من الحمل فتلد قبل أن يدفن؟ وهل يعني ذلك أن عدتها انتهت؟

لا.. إنها تنتهي بأبعد الأجلين وهو في هذه الحالة مرور أربعة أشهر وعشراً، وإن قال بعض الفقهاء: إن عدة الحامل بوضع الحمل. لكن إذا لم يكن زوجها متوفياً عنها فعدها أن تضع حملها، وإن شئت أن تزوج بعد ذلك فلها ذلك ولو بعد لحظة..

وبعض الناس يفسرون الحكمة من جعل عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، فيقولون: لأنها إن كانت حاملاً بذكر فسيظهر حملها عندما يتحرك بعد ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملاً بأنثى فستتحرك بعد أربعة أشهر وتعطيها مهلة عشر ليالٍ.

ونقول لهم: جزاكم الله خيراً على تفسيركم، لكن العدة هنا ليست لاستبراء الرحم، لأنها لو كانت لاستبراء الرحم لانتهت عدة المرأة بمجرد ولادتها..

ولو كان الأمر للتأكد من وجود حمل أو عدمه، لكانت عدتها ثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض، وإن كانت من غير ذوات الحيض لصغر أو لكبر سن لكانت عدتها ثلاثة أشهر..

لكن الله اختصها بأربعة أشهر وعشر وفاءً لحق زوجها عليها وإكراماً لحياتهما الزوجية.

إذن.. فإِنَّهُ جَعَلَ الْمُتَوَقَّعَ عَنْهَا زَوْجَهَا تَرْبِصَ أَقْصَى مَدَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ تُصِيرَ عَلَيْهَا الْمَرْأَةُ. فالمرأة ساعة تكون متوقَّعة عنها زوجها لا تخرج من بيتها ولا تنزَّين ولا تلقى أحدًا وفاءً للزوج، فإذا انتهت عدتها أن مضت عليها الأربعة الأشهر والعشرة، ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِئَ أَنْفُسِهِنَّ ﴾ وهو يعني أن تنزَّين في بيتها وتخرج دون إبداء زينة وأن يتقدم لها من يريد خطبتها.

وقوله تعالى: ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ والمقصود بهذه المدة أربعة أشهر وعشر ليالٍ.

هنا لفظة تشريعية إيمانية تدل على استطراف كل حكم شرعي في جميع المكلفين وإن لم يكن الحكم ماسًا لهم، فالمتوقَّعة عنها زوجها تربصت أربعة أشهر وعشرا وبلغتها في مدة العدة، وكان من حكم الله عليها ألا تنزَّين وألا تكتحل وألا تخرج من بيتها وفاءً لحق زوجها فإذا بلغت الأجل وانتهى قال:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِئَ أَنْفُسِهِنَّ ﴾ ، ولم يقل: فلا جناح عليهن.

لقد وجه الخطاب هنا للرجال، لأن كل مؤمن له ولاية على كل مؤمنة، فإذا رأى في سلوكها أو أسلوب عنايتها بنفسها ما يناهز العدة فله أن يتدخل.. مثلاً إذا رآها تنزَّين قال لها أو أرسل إليها من يقول لها: لماذا تنزَّين؟ إن قول الله:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ يجعل للرجال قوامة على المتوقَّعة عنها زوجها، فلا يقولون: لا دخل لنا، لأن الحكم الإيماني حكم مستطرق في كل مؤمن وعلى كل مؤمن.

فالحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣].

إن قوله الحق: «تواصوا» لا يعني أن قومًا خُصوا بأنهم يُوصون غيرهم وقومًا آخرين يُوصيهم غيرهم، بل كل واحد منا موصٍ في وقت، وموصى من غيره في وقت آخر، هذا هو معنى ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ .

فإذا رأيت في غيرك ضعفًا في أي ناحية من نواحي أحكام الله، فلك أن توصيه، وكذلك إن رأى غيرك فيك ضعفًا في أي ناحية من النواحي فله أن يوصيك، وعندما نتواصى جميعًا لا يبقى لمؤمن بيننا خطأ ظاهر.

إذن.. فالآية لا تُخصُّ بالصباية جماعة دون أخرى إنما الكل يتواصون، لأن الأغيار البشرية تتناوب الناس أجمعين.. فأنت في فترة ضعفي رقيب عليّ، فتوصيني.. وأنا في فترة ضعفك رقيب عليك، فأوصيك.

ولذلك جاء قول الحق: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ إنه سبحانه لم يوجه الخطاب للنساء، ولكن خاطب به المؤمنين ولم يخص بالخطاب أولياء أمور النساء فحسب وإنما ترك الحكم للجميع حتى لا يقول أحد: لا علاقة لي بالمرأة التي توفي عنها زوجها ولنفعل ما نشاء.

إن لها أن تزين بالمتعارف عليه إسلاميًا في الزينة، ولها أن تتجمل في حدود ما أذن الله لها فيه.

ويختتم الحق هذه الآية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أي والله أعلم بما في نفسها وبما في نيتها.. وهب إنما فعلت أي فعل على غير مرأى من أحد فلا تعتقد أن المجتمع وإن لم يشهد منها ذلك أن المسألة انتهت، لا، إن الله عليم بما تفعل وإن لم يطلع عليها أحد من الناس.

إن الحق سبحانه وتعالى قد حمى بكل التشريعات السابقة حق الزوج حتى تنتهي العدة، وحق المتوفى عنها زوجها في أثناء العدة، وحمى أيضًا بكل التشريعات كرامة المرأة.. وجعل المرأة حرماً لا يقترب منه أحد يחדش حجابها، إن عليها عدة محسوبة في هذا الوقت لرجل آخر، فلا يحق لأحد أن يقترب منها. لماذا؟ لأن المرأة خاصة إذا كانت مطلقة قد تملكها رغبة في أن تأثر لنفسها ولكرامتها، وربما تعجلت التزوج، وربما كانت مسائل الافتراق أو الخلاف ناشئة عن اندساس رغبة راغب فيها، وبمجرد أن يتم طلاقها وتعيش فترة العدة فقد يحوم حولها الراغبون فيها، أو تستشرف هي من ناحيتها من تراه صالحاً كزوج لها.

ولذلك يفرض الحق سبحانه من الزمن ويجعل العدة كمنطقة حرام ليحمي المرأة حماية موضوعية لا شكلية.

التشريع - لأنه ما إله رحيم - لا يهدر عواطف النفس البشرية: لا من ناحية الذي يرغب في أن يتزوج، ولا من ناحية المرأة التي تستشرف أن تتزوج، فيعالج هذه المسألة بدقة وبحزم وبحسم معاً فيقول - جل شأنه - :

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

في آية سابقة قال الحق:

﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّؤْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

إذن نحن أمام حكمين للذين يتوفون ويذرون أزواجاً، حكم أن تترىص بنفسها أربعة أشهر وعشراً، وحكم آخر بأن للزوج حين تحضره الوفاة أو أسبابها أو مقدماتها أن ينصح ويوصي بأن تظل الزوجة في بيته حولاً كاملاً لا تُهاج، وتكون الأربعة الأشهر والعشر فريضة وبقية الحول والعام وصية، إن شاءت أخذتها وإن شاءت عدلت عنها.

﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ﴾ هذه وصية من الزوج عندما تحضره الوفاة. إذن فالمتوفى عنها زوجها بين حكمين:

حكم لازم وهو فرض عليها بأن تظل أربعة أشهر وعشراً، وحكم بأن يوصي الزوج بأن تظل حولاً كاملاً لا لهاج إلا أن تخرج من نفسها.

﴿وَعَبْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي لا يخرجها أحد. ﴿فَإِنْ حَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إن لها الخيار أن تظل عاملاً حسب وصية زوجها، ولها الخيار في أن تخرج بعد الأربعة الأشهر والعشر.



## فقہ المرأة في الخلع<sup>(١)</sup>

س: لقد بذلت كل ما أستطيع مع زوجي لإصلاح حاله، ولكنه دائماً يسلك كل طريق للإضرار بي ولإذلائي وإيذائي، وقد أصبحت العشرة بيننا مستحيلة، ولا يريد تطليقي، فماذا أفعل؟

ج: يريد الحق سبحانه أن يجعل للمرأة مخرجاً إن أريد بها الضرر، وهي لا تقبل هذا الضرر، فأذن لها الحق أن تفتدي نفسها بشيء من المال، أي بصدقتها ومهرها، ويكره أن يزيد على المهر إلا إذا كان ذلك ناشئاً عن نشوز منها ومخالفة للزوج، فلا كراهة إذن في الزيادة على المهر.

وقد جاء الواقع مطابقاً لما شرع الله عندما وقعت حادثة «جميلة» أخت «عبد الله بن أبي» حينما كانت زوجة لعبد الله بن قيس، فقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت:

«أنا لا أقمه في دينه ولا خلقه، ولكن، لا أحب الكفر في الإسلام».

(١) هو أن تفتدي المرأة نفسها بالمال مقابل أن يطلقها زوجها، وذلك لما ظهر للمرأة من سوء خلقه، واستحالة العشرة بينهما.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَقَّتُمُ الْأَلْفُ بِمَا جُنَّحَ اللَّهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَنَتْ بِهِ﴾ [نساء: ١٢٩]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما - أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلقه، ولا دينه، ولكن أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديثه؟» قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «اقبل الحديثة وطلقها تطليقة» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٠/٧)، وأحمد (٣/٤)، والنسائي (٦/١٦٩)، وابن ماجه (٢٠٥٧)، وعبد الرزاق (١٧٥٩)، والبيهقي (٣١٣/٧) في سننه الكبرى].



وهي تقصد أنها عاشت معه وهي تبغضه، لذلك لن تؤدي حقه، وذلك كُفْر العشير، أي إنكار حق الزوج وترك طاعته، وهي قد قالت إنها لا تنهمه لا في دينه ولا في خلقه لتعبّر بذلك عن معانٍ عاطفية أخرى.

فأراد رسول الله ﷺ أن يعلم منها ذلك، فقالت:

«لقد رفعت الحياء فوجدته في عدة رجال، فرأيتهم أشدهم سوادًا، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا».

فقال لها ﷺ: «أتردين حديثه؟» .

فقالت: وإن شاء رده.

فقال ﷺ: «لا حاجة لنا بالزيادة، ولكن رُدِّي عليه حديثه».

ويُسمى هذا الأمر بالخُلْع، أي: أنْ تُلْعَ المرأة نفسها من زوجها الذي تخاف ألا تؤدي له حقًا من حقوق الزوجية، إنها تلْع نفسها منه بحال حتى لا يُصيبه ضرر، فقد يريد أن يتزوج بأخرى وهو مُحتاج إلى ما قدم من مهر لمن تُريد أن تلْع نفسها منه.



## النهي عن المحلل الزور

### المحلل:

س: ما الرأي فيمن يتزوج امرأة بزعم أنه يحللها لزوجها السابق الذي طلقها ثلاث مرات ويريد أن يراجعها دون أن يمّسها المحلل؟

ج: أراد الحق سبحانه أن يُبين لنا أنه إن وصلت الأمور بين الزوجين إلى مرحلة اللاعودة فلا بُدَّ من درس قاسٍ، فلا يمكن أن يرجع كُلُّ منهما للآخر بسهولة، لقد أمهلها الله بتشريع البينة الصُّغرى التي يعقبها مهر وعقد جديدان فلم يرتدعا.

فكان لأهدَّ من البينة الكبرى، وهي أن تتزوج المرأة بزواج آخر، وتُحَرِّب حياة زوجية أخرى، وبذلك يكون الدرس قاسياً.

وقد يأخذ بعض الرجال المسألة بصورة شكلية، فيتزوج المرأة المطلقة ثلاثاً زواجاً كاملاً الشروط من عقد وشهود ومهر، لكن لا يترتب على الزواج معاشرة جنسية بينهما، وذلك هو «المحلل» الذي نسمع عنه، وهو ما لم يُقره الإسلام.

فمن تزوج على أنه محلل، ومن وافقت على ذلك المحلل فليعلما أن ذلك حرام على الاثنين، فليس في الإسلام مُحلل، ومن يدخل بنية المحلل لا تجوز له الزوجة، وليس له حقوق عليها.

وفي الوقت نفسه لو طلقها ذلك الرجل لا يجوز لها الرجوع لزوجها السابق، لأن المحلل لم يَكُنْ زوجاً، وإنما هو تمثيل زوج، والتمثيل لا يُثبت في الواقع شيئاً.

ولذلك قال الحق سبحانه:

﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والمقصود هنا النكاح الطبيعي الذي ساقط إليه الظروف دون افتعال ولا قصد للتجليل، وعندما يُطْلَقُهَا ذلك الرجل لظروف خارجة عن الإرادة، وهي استحالة العشرة، وليس لأسباب متفق عليها، عندئذ يمكن للزوج السابق أن يتزوج المرأة التي كانت في عصمته وطلقها من قبل ثلاث مرات.

ولذلك قال تعالى:

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُحْيِيَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾

[البقرة: ٢٣٠].

أي: أن يغلب على ظنهما أن المسائل التي كانت مثار خلاف فيما مضى قد انتهت، ووصل الاثنان إلى درجة من التعقل والاحترام المتبادل، وأخذًا درسًا من التجربة تجعل كلاهما يرضى بصاحبه.



## فقہ المرأة في ملك اليمين

يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ أَتَعَمَّىٰ وَرَأَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاعِلُونَ ۖ﴾  
[النور: ٥-٧].

ويقول الحق تعالى:

﴿فَاتَّخِذُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنًى وَتِلْكَ وَرُتِعَ فَإِنْ حِفْظَكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٣].

ولقد حاول الكثيرون أن يقولوا: ما معنى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ..

الآن.. وهل يوجد من تنطبق عليه هذه الآية؟

نقول: إن هذه الآية تنطبق الآن على أسيرات الحرب من النساء..

لكن هذه الحرب لا بد أن تكون حرباً شرعية.. أي أعلنها الوالي أو الحاكم، ولا تكون مجرد غزوات أو مناوشات بين طوائف الناس، مثلما يحدث في لبنان الآن من وجود طوائف متنازعة.. يقاتل بعضها البعض..

أي التي يقولون عنها الحروب الأهلية.. أو الحروب الطائفية.. ولنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث لامرأة سقطت أسيرة بين جيش من الغزاة.

لقد رأينا أفلاماً تصور ما يحدث للأسيرات إذا وقعت في أيدي القوات الغازية..

مثلما حدث في معارك الحرب العالمية الثانية في فيتنام.

وماذا كان يحدث من اغتصاب النساء في دور العبادة.. والوحشية التي كانت تتم بها هذه العملية.. وإن كانت هذه الأفلام قد استندت إلى الواقع والحقيقة.. فإنها خففت منه كثيراً.. لأنها لا تستطيع أن تعرضه ببشاعته، ولأن الحقيقة ما يقع تفوقه أكثر الخيالات الشريرة.. بشاعة وجرماً.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يقي المرأة من هذا كله وهو يقع.. وما زال يقع، وسيظل يقع في الحروب القادمة.

إن كانت مشيئة الله تقضي بأن حروباً ستتم.. أراد الله برحمته أن يقي المرأة من هذه الوحشية الرهيبة، فأباح لأي رجل أن يتزوجها.. دون التقيد بشيء في العدد أو غير ذلك.. أي أن تكون زوجة زائدة.. ومتى تزوجها أصبحت له حرمة.

وأصبح لها من يحميها ويدافع عنها، واحترام الجميع هذا الزواج.. فهل في هذا إهانة للمرأة أم تكريم لها؟

وهل إذا وقعت امرأة أسيرة بين مجموعة من الجنود.. وعيرت بين أن يفتكوا بها أو تتزوج أحدهم؟ فأَي العرضين تختار؟

بلا تردد طبعاً تختار العرض الثاني، أن تكون زوجة ولها كيان.. وليست فريسة يفتك بها ثم تلقى في الطريق.

والمتفق في أسرار دينه يعلم أن ملك اليمين إطلاق من العبودية إلى مرتبة الحرية، لأن الإسلام أراد التخلص من الرق فجعل عتق الرقة من القربات إلى الله.

وملك اليمين انتقال من المملوكية إلى الحرية وكل الآيات التي وردت في الرق في الإسلام جاءت لتخلص الإنسانية من رصيدها السيء في العبودية..

وإطلاق سراح العبيد ليكونوا أحراراً..

وفي هذا إشارات إلى تكريم الإنسان ولا سيما المرأة.

إذا كانت لا توجد الآن من تنطبق عليها معنى الآية الكريمة: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ .. فليس معنى هذا إضعاف للنص.. فالنص شرعي موجود إن وجدت حالة طُبِقَ عليها.

وإن لم تجد فهو موجود للتطبيق متى وجدت الحالة.

فلنفرض أن مدينة ليس بها لص واحد.. هل يتساءل أهلها لماذا تشريع قطع يد السارق مع أنه لا يوجد من يسرق في هذه البلدة؟

لا.. فالنص باق.. حتى إذا سرق أحد طُبِقَ عليه. وإن لم يسرق أحد الآن، فالتشريع موجود ليطبق إذا حدثت جريمة السرقة في المستقبل.

وليس القصد من التشريع هو وقوع الجريمة.. ولكن القصد منه هو عدم وقوعها..

فإذا قلنا: إن الله - سبحانه وتعالى - قد قضى بقطع يد السارق أو السارقة.. كما جاء في كتابه العزيز ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

فليس معنى هذا التحريض على السرقة.. ولا تنكيل بالناس.. ولكن هدفه منع جريمة السرقة من الوقوع؛ لأن السارق إذا استحضر العقاب وعرف أن يده ستقطع: سيمتنع عن ارتكاب هذه الجريمة.

كذلك القاتل إذا عرف أنه سيقتل، فإنه سيمتنع عن القتل، لأنه يعلم أنه سيدفع حياته ثمناً لذلك.

إن الدول التي أوقفت جريمة الإعدام بالنسبة للقاتل واستبدلتها بالسجن مدى الحياة..

انتشرت فيها جرائم القتل، وتعالى فيها الأصوات مطالبة بالعودة إلى عقوبة الإعدام.. كردع لجرائم القتل.

إذن.. فقول الحق - سبحانه وتعالى-: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ هو تكريم للمرأة .. سواء وقعت أسيرة في الحرب، أو كانت جارية كما كان يحدث في الماضي عندما كان الرق موجوداً.. لتحرر ويصبح ابنها حراً، وتصبح زوجة لسيدها.

وهكذا عالج الإسلام أمراض المجتمع التي كانت موجودة حين نزل القرآن، والتي قد تحدث بعد ذلك علاجاً يحفظ للمرأة كرامتها وحريتها وعزتها وسيادتها.



## الطلاق الرجعي

### وحكم إمساك الزوجة للرجعة

الزوج هو الذي يملك حق رجعة زوجته في الطلاق الرجعي، من غير اعتبار رضاها، ما دامت في العدة.. لقوله تعالى:

﴿وَيُعَوِّلُوهنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والرجعة تكون بالقول أو بالفعل..

فإن قال: راجعتك، تمت المراجعة..

وإن دخل بها، أو كانت منه مقدمات الدخول فهي رجعة.





## فقه اللعان بين الزوجين

اللعان هو ما يحدث عندما يرمي الزوج زوجته بتهمة الزنا، ولا شهود عنده إلا نفسه.. فيشهد أربع شهادات بالله: إنه من الصادقين، والخامسة يقول فيها: لعنة الله عليّ إن كنت كذبت.

وفي هذه الحالة ماذا يكون موقف المرأة؟ هل تثبت؟ عليها تحمة الزنا بذلك؟

إذا سكنت على قسم زوجها يكون الزنا قد ثبت عليها، ولكن إذا شهدت بالله العظيم أربع شهادات وفي الخامسة تقول:

غضب الله عليّ إن كان من الصادقين، فتكون قد دفعت عن نفسها التهمة.

إلا أنه لا تستقر الحياة بينهما، ويفرق بينهما، بما يسمى تفريق اللعان، وينتهي الأمر بينهما، وحماهما على الله.

وقد نزلت آية اللعان عندما سأل أحد الصحابة رسول الله قائلاً:

«إذا دخلت على أهلي، ووجدت رجلاً معهم، أتركه حتى آتي بأربعة شهداء يشهدون؟». فأنزل الله آية اللعان.

ونلاحظ أن الرجل يدعو على نفسه بلعنة الله إن كان كاذباً، بينما تدعو المرأة على نفسها بغضب الله إن كان زوجها صادقاً، وهذا لأن اتمام المرأة بالزنا أفضح من اتمام الرجل به، لأن زنا المرأة ينتج عنه اختلاط الأنساب<sup>(١)</sup>.

(١) اللعان: هو أن يرمي الزوج زوجته بالزنا من غير أن يكون له شهود على دعواه، فتشهد الزوجة أربع شهادات بالله تعالى إنه من الكاذبين فيما رمانى به من الزنا، ثم تقول في

فقه امرأة المسلمة في اميراث

بعض الناس يتساءل: لماذا يأخذ الرجل ضعف المرأة في الميراث؟

ولماذا شهادة الرجل بشهادة امرأتين؟

أليس هذا تمييزاً للرجل على المرأة؟

هذه القضية أخذت وما زالت تأخذ جدلاً كبيراً، والذي يجادل فيها - كما

- الشهادة الخامسة: «على غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به، فيسقط الخلع عنها، ثم يفرق بين الزوجين فلا يجتمعان أبداً». وهذا هو حكم «اللعان».

[illegible]

يقول سعيد بن جبير - رحمه الله - أتيت ابن عمر فقلت: يا أبا عبد الرحمن، المتلاعنين يفرق بينهما؟ فقال: سبحان الله!! إن أول من سأل عن ذلك فلان، قال: يا رسول الله، الرجل يرى امرأته على الفاحشة، فإن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت عن أمر عظيم!! فسكت عنه رسول الله ﷺ، فحماه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله، الأمر الذي سألتك عنه ابتليت به. فقال: قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَمُومُونَ أَرْؤُسَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾.. حتى قرأ الآيات كلها، فذكره النبي ﷺ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقال: والذي يميتك بالحق إنه للحق، ثم دعا بالمراة فذكرها بالله، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقالت: والذي يميتك بالحق ما كان هذا، قال فبدأ بالرجل: «فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين» ثم شهدت المرأة أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم فرق بينهما [حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٣٩)، والترمذي (١٢٠٢)، والسنائي (٣٧٧) في نفسه].

قلنا- هم من غير المؤمنين.. هم الذين يملأون الدنيا بالكاذيب عن الإسلام، وعن المرأة في الإسلام.. وكيف تُعامل المرأة المسلمة معاملة الرقيق؟  
ولها بلا حقوق.. وغير ذلك من الافتراءات والأكاذيب المختلفة التي يشيعونها بهدف الطعن في الإسلام.

يقول الله- سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ [النساء: ١١].

ويقول تبارك وتعالى في محكم التنزيل:

﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ يَمِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

ونحن لن نتحدث عن تلك الأنظمة غير الإسلامية التي تحرم المرأة من الميراث أو تعطي الميراث للأخ الأكبر وحده.. إلى غير ذلك، لأننا لسنا محتاجين لأن نستعرض كل هذا.

فإن الله- سبحانه وتعالى- هو الذي خلق، وهو جلُّ جلاله الذي حكم، ونحن كمؤمنين نطيع ما أمر به الله.

إن علة الطاعة ليست في الأمر، ولكن في الأمر به، فما دام الله قد قال فقد لزم.. فهو تبارك وتعال المطاع في كل أمر، والله- سبحانه وتعالى- يقول في كتابه العزيز:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحراب: ٣٦].

وحول هذا الموضوع نذكر- بتوفيق الله- ما أفاء الله علينا في معنى الآية الكريمة:

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

المرأة تعيش حياتها كلها في كنف رجل مكفولة منه، مسئول هو عنها، فإن كانت فتاة، فالذي ينفق عليها هو والدها، وإذا فقدت والدها أنفق عليها أخوها، أو عمها أو عخالها.

ولذلك فهي مكفولة من رجل دائماً.. فإذا تزوجت فهي مسئولة من زوجها هو الذي ينفق عليها، ويوفر لها مقومات حياتها، وعلى أسوأ الأحوال فهي مسئولة عن نفسها فقط، وهي ليست مسئولة شرعاً أن تنفق على إنسان آخر مهما كانت درجة قرابته.

لكن الرجل له وضع مختلف، إنه مسئول عن غيره، فهو مسئول شرعاً عن أمه وإخوته، وعندما يتزوج يصبح مسئولاً عن زوجته.. أما المرأة فيعولها وليها قبل أن تتزوج، ويعولها زوجها بعد الزواج ثم يعولها أولادها بعد ذلك.. ولنفرض أن الأب يملك ستة أفدنة، وليس له سوى ابن وابنة.. الابن يحصل على أربعة أفدنة... والابنة تأخذ فدانين.

في أقصى الظروف الابنة قد تضطر أن تعمل نفسها فقط.. ويكفيها الفدانان، وعندما تتزوج يعولها زوجها وتوفر الفدانين لما قد تحتاجه زيادة عما ينفق عليها زوجها.

أما الابن الذي أخذ أربعة أفدنة، فسي تزوج امرأة ويعولها، وتصبح الأفدنة الأربعة، لتوفير الحياة لاثنتين وليست لفرد واحد.. فمن عنده أكثر من الآخر؟ المرأة طبعاً..

لأنها غير مسئولة عن أن تعمل أحداً.

وإذا أخذنا المسألة بالمتقايالات.. أقول لك مثلاً: أنا عندي بنت وولد،

وأنت عندك بنت وولد، كل من الابنتين أخذت ثلث الميراث، وكل من الولدين أخذ ثلثي الميراث.

ابنتي تزوجت ابنتك.. وابنتك تزوجت ابني.. يصبح لكل عائلة ميراث كامل، وتكون المسألة قد تساوت..

الله- سبحانه وتعالى- حينما خلق الحياة وخلق الإنسان ووضع له منهجاً ليعيش به، وهذا المنهج أنزله الله من السماء ليعطي للإنسان الحياة الآمنة الكريمة على الأرض. فقال سبحانه: افعل كذا ولا تفعل كذا ليقى المجتمع البشري من شرور سعيانها لو تركت المسائل لشهوات الناس وظلمهم، والدين لا يتدخل فيما ليس فيه هوى النفس، إنما يتركه للإنسان.

التحارب التي تجري في المعمل على المادة، والعلم التجريبي الذي لا تحكمه إلا التجربة العملية.. هذه التحارب لا يتدخل فيها الدين.. إلا أنه يطلب الأمانة في العمل وفي النتائج.

إنك لن تجد خلافاً بين البشر أبداً في هذا العلم.. لن تجد كيميائاً فرنسية.. وكيميائاً أمريكية.. أو كهرباء سوفيتية وكهرباء إنجليزية.. بل العلم واحد تنقله الدنيا عن بعضها البعض، بل وتسرقه من بعضها البعض، وتتنافس الدول على اختطاف العلماء، واغرائهم ليعملوا في خدمتها.

والقرآن الكريم يعطينا مجال العلم البشري.. في آيتين اثنتين من آياته.. فيقول الله- سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۚ ﴾

(١) الجدد: طرق وعطوط مختلفة الألوان.

(٢) غرابيب سود: صخور متناهية في السواد كالقربان.

النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ<sup>(١)</sup> مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٧﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

الله - سبحانه وتعالى - حدد لنا أنه يُنزل من السماء ماء فيخرج به الثمر.  
هذا هو علم النبات باختلاف ألوانه.

وكل ما يتعلق به، سواء كان من ألوان الثمر التي تنبت باختلاف أنواعها،  
أو البذرة وانتقائها، والأبحاث التي تتم لتحسينها، أو الآفات التي تصيب الزرع،  
وكيفية الوقاية منها أو المخصبات التي تستخدم لزيادة المحصول أو ما يستخدم  
فيه الثمر، سواء كان يؤكل أو يعصر أو يستخرج منه الدواء أو يكون صالحاً  
كعلف للماشية.

وغير ذلك من كل استخدامات النبات، سواء كان لتنقية البيئة من  
التلوث.. أو للرائحة العطرة التي يمكن أن تستخرج منه، أو للجمال والزينة، أو  
لكل ما يعطي النبات للحياة من فوائد علمية تفيد الإنسان في حياته.

ولعلنا نشهد ثورة عالمية في استخدام المواد الطبيعية لعلاج الأمراض، والبعد  
عن الكيماويات التي ثبت أنها تصيب الجسد البشري بأضرار أكثر من النفع.

ولقد تقدمت أبحاث النبات الآن لدرجة كبيرة، وكشف الله جل جلاله  
لخلقه أسراراً كثيرة، للدور الذي يمكن أن يؤديه النبات في حياة الإنسان.

فوجد أن هناك نباتاً رائحته تطرد الحشرات، وهو يستخدم الآن كمبيد  
حشري ونبات رائحته تجذب الحشرات، وهو يستخدم الآن في جذب الحشرات  
إلى الأماكن التي يراد جذبها إليها. ونبات له فوائد طبية كبيرة بالنسبة لعلاج

(١) الأنعام: الإبل والبقرة والضأن والغنم.

الكثير من أمراض البشر.

إن العلاج بالأدوية المستخلصة من مواد طبيعية.. أصبح الآن هو السائد في الدول المتقدمة.

لقد ثبت أن أنقى أنواع الأنسولين وأكثرها فاعلية بالنسبة لمرض السكر، هو الأنسولين البشري، ومجالات كثيرة يعرفها أولئك المتخصصون في هذه العلوم.

نقول: إن هذه الأبحاث لا يتدخل فيها الدين لوضع فيها منهجاً، لأنها تحكم نفسها، لأنها تجارب تشاهد في العمل، وليس مع العين أين.

ثم تمضي الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَاءِيبٌ سُوْدٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

وهذا إشارة إلى ما تحتويه الأرض من كنوز.. سواء كان في الجبال التي تعطىها المعادن الموجودة فيها ألوانها، فتجد الجبال التي تحوي الحديد لوها أسود، وتجد الجبال التي تحوي المعادن الأخرى يكسيها المعدن اللون الذي يبدو به، وكذلك ما يحتويه باطن الأرض.. مصداقاً لقوله- سبحانه وتعالى:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَبْتٰهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [إسراء: ٦٠].  
فلإنسان أن يبحث كما يشاء.. في الجبال وباطن الأرض، ويكتشف من الكنوز التي خلقها الله- سبحانه وتعالى- ما يستطيع، وهناك دول الآن من أغنى دول العالم كدول البترول- مثلاً- تعيش على ما تحت الثرى لا ما فوقه، ولإنسان أن يأخذ من المعادن التي خلقها الله- سبحانه وتعالى- له في الجبال وفي باطن الأرض ما يجعله يستخدمها في صناعاته المختلفة.

ثم يقول الحق - سبحانه وتعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلَا تُعْجِبُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهم الذين يدرسون كل ما يتعلق بالإنسان وكل ما يصيبه من أمراض.. من حيث دراسة خلايا جسده وبيئته إلى غير ذلك.. وكذلك الدواب والأنعام بكل أنواعها.

والدواب هو كل ما يدب على هذه الأرض، هذه أيضاً مجال العلم البشري يكتشف فيها مكونات الدم وما تقعنه الميكروبات والجراثيم، وعلم البيئة وغير ذلك من العلوم.

ولذلك يقول الله - سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]...

أي أن العلماء كلما زادت دراستهم لهذه الأشياء، أحسوا بعظمة الله في خلقه، وجليل قدرته فيما صنع، فزادت خشيتهم له، لأنهم أحسوا بعظمته القادرة وجلال الخلق.

إن الدين يتدخل لينظم حركة الحياة فيما يخضع لأهواء الناس.. في التفتين البشري الذي يحاول كل إنسان أن يتمه ليحصل منه على أكبر فائدة.

فإذا أخذنا النظريات السياسية مثلاً أو النظريات الاقتصادية أو القوانين التي تخضع هوى النفس، نجد أن كل من يضع هذه القوانين.. إنما يحاول أن يحصل على أكبر فائدة شخصية، دون النظر إلى العدالة أو حقوق الناس.

إننا نجد مثلاً قوانين الدول الرأسمالية تعطي أكبر الميزات لأصحاب رأس



المال، وأقلها لغيرهم.. كذلك القوانين في الدول الشيوعية، تعطي الميزات كلها لأعضاء اللجنة المركزية ولا شيء لغيرهم!

عندما يكون هناك هوى، وعندما يتدخل هذا الهوى في تقنين الأحكام لمصلحة فئة على حساب أخرى، هنا يتدخل منهج السماء..

لأن الله - سبحانه وتعالى - رب الجميع ﴿ مَا آتَخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الن: ٣].

وهو جل جلاله لا يطمع فيما بين أيدينا.. لأن عنده سبحانه كنوز السماوات والأرض، وهو المعطي بدون حساب.

إذن.. فأنه - سبحانه وتعالى - حين يقنن للبشر، إنما يعطي كل ذي حق حقه دون ميل أو تمييز.

فإذا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١].. فيجب أن نعلم أن هذا الحكم عادل لم يقصد به تفضيل جنس على آخر، لأن الله الذي خلق الإنسان يعرف ما يصلح لمهمته في الحياة.. ولذلك أعطى كل واحد على قدر تبعاته.

تقد أعطى المول - سبحانه وتعالى - الذكر نصيبين، لأنه سيتزوج ويعول أنثى، وأعطى الأنثى نصيباً واحداً، لأن غاية ما ستحملة - وفي أقصى الظروف - هو أن تقيم حياتها أو تنفق على نفسها، ولكنه ميزها ولم يُرَد أن يحرمها، لأنها عندما تتزوج سيكون هناك من يعولها ومن هو مسئول عنها، فأبقي لها نصيبها رغم أن هناك رجالاً سيعولها ويكفلها وينفق عليها.. أليست هذه ميزة؟

وهل يعتبر هذا انتقاصاً من حق المرأة؟

## فقہ المرأة المسلمة في الشهادات

ثم نأتي للآية الكريمة الخاصة بالشهادة.. يقول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَتَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ  
وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا  
الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

لقد ثار جدل كبير حول هذه الآية.. حتى أن بعض المشتغلات بالإعلام  
كُتِبْنَ يَقُلْنَ: كيف لا تساوي شهادة امرأة حاصلة على الماجستير أو الدكتوراه،  
شهادة بواب العمارة التي تسكن فيها، وربما يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب؟  
وكيف أن شهادة حاملة الدكتوراه.. تساوي نصف شهادة بواب العمارة  
الأمي؟!

ولقد وجد هذا المنطق الخاطي رواجاً بين الناس، حتى أن بعضهم أخذ  
يردده ترديداً أعمى، وهو غير فاهم لحكم الله، وكأنه يريد أن يُعَدِّلَ الحكم على  
الله - سبحانه وتعالى - مع أنه لا يفهم معنى ما يقوله.

إن ذلك المنطق الكاذب يجد كثيراً من الآذان التي تستمع إليه، دون أن  
تعيه، وتردده دون أن تفهم معناه، وإذا كنا نريد أن نضع المعاني في إطارها  
الصحيح السليم.. فلا بد أن نفهم معنى كلمة شهادة.

كلمة شهادة مأخوذة من مشهد.. أي شيء تراه بعينيك، وتراه واقعاً  
أمامك، وهذا المشهد أو الشيء المشهود ليس محتاجاً إلى علم.. ولا إلى درجات

علمية.. ولا إلى عقل درس حتى درجة الدكتوراه.. ولكنه محتاج إلى عين تشهد، وإلى كلمة صدق تقال.. أما غير ذلك فلا.

ومن هنا فإن الملاحظة التي أبدت غير ذات موضوع، ولا تنطبق على الشهادة.. لأنه ليس هناك أبحاث علمية تجرى، ولا تجارب معملية تتم، ولا غير ذلك مما يقتضي ثقافة معينة لا بد أن تتوافر، وعلمًا سابقًا لا بد أن يكون موجودًا.

ومن هنا يتساوى خلق الله الذين حصلوا على أعلى درجات العلم، وخلق الله الذين لم يقرأوا حرفًا في حياتهم.

فمنطق الثقافة لا يعتد به هنا.

المسألة إذن ليست رحاحة عقل، ولكنها صدق وأمانة نقل.

وإذا نظرنا إلى طبيعة المرأة نجد أنها مخلوقة على الستر، فهي ممنوعة من مخالطة الرجال، وأنا أريد كلمة حق من المرأة:

هل إذا حدثت مشاجرة في الطريق العام، هل يسوغ للمرأة أن تسرع إلى الدخول فيها، لمعرفة ما يحدث؟

أم أنها تتبعد عنها تمامًا اتقاء للأذى حتى لا تصاب بسوء.. طبعًا هي تتبعد عنها.. لماذا؟

أولاً: لأنها مخلوق ضعيف.. لا قدرة لها على المنازلة أو المشاجرة.

وثانياً: لأنها مخلوق عاطفي ستصاب بأذى في نفسياتها من مظاهر العنف والضرب في هذه المشاجرة.

وثالثاً: لأن تعرضها لمثل هذا الحدث، يُوجد احتكاكاً عنيفاً بينها وبين الرجال

مما يعرضها لخدش كرامتها وحياتها..

إنما تبعد عن المشاحرة، حتى ولو كان المتشاجر زوجها أو أخاها وتستغيث بالرجال.

إن عاطفة المرأة هي رصيد الخنان للأسرة والمجتمع، وتحكم العاطفة على العقل فيه تضحية، وقد يكون له سلبات غير ضارة.

لكن الحكمة تقتضي أن تكون طاقة العاطفة عند المرأة أقوى منها عند الرجل، ليكون التعادل والتكامل في المجتمع.

والمرأة بطبيعتها بعيدة عن مشاكل الحياة العامة.. لأن هناك رجلاً يعولها، وهو الذي يتصدى لهذه المشاكل، وهو الذي يتدخل فيها ويحلها.

لهذه الأسباب وغيرها من الأمور التي تتعارض مع طبيعتها، فإن المرأة لا تصلح شهادة كالرجال، لأنها لو عرفت بعض التفاصيل، غابت عنها تفاصيل أخرى، لأنها بطبيعتها تبعد عن المشاكل.

ولذلك فإنه لا حجية لمن يقول: كيف لا تتعادل شهادة الأستاذة الجامعية مع شهادة البواب الأمي؟

لأن العقل هنا لا دخل له في القضية، ولكن صدق النقل الذي ترتب على الوجود والملاحظة هو الذي يعيننا.

إن هذا الاعتراض قد أغفل مهمة الشهادة، وجعلها مهمة تعتمد على العقل وثقافته.. بينما هي في الحقيقة تعتمد على صدق النقل والملاحظة فقط.

وقول الحق - تبارك وتعالى:

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإن هذا الضلال يأتي من عدم دقة المشاهدة، ومن أن المرأة تُحرص على أن تبعد عن كل مشاحنة، أو اشتباك يحدث فيه العنف.

والله - تبارك وتعالى - يقول عن الشيطان:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ويقول عن النساء:

﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

لماذا يفهم بعض الناس هاتين الآيتين فهماً خاطئاً.. ما هو الكيد؟

إن الكيد تدبير بخفاء، والتدبير بخفاء لا يكون إلا من ضعيف..

فالإنسان القوي إذا تملك من عدوه قد يتركه لأنه قادر على أن يأتي به في أية لحظة، فهو لوثوقه من قوته لا يهتم، وقد يترك عدوه على يتوب، ولكن الإنسان الضعيف إذا تملك من عدوه فإنه لا يتركه أبداً.. لماذا؟

لأنه لا يثق في أنه مستاح له الفرصة ليمتلكه مرة أخرى، ولذلك فإنه متى تملكه قضى عليه إحساساً منه بعجزه، وبأن الفرصة لن تأتي مرتين.

ولأن المرأة مخلوقة ضعيفة يكون كيدها عظيماً..

فهي إذا تمكنت من عدوها، فإنها لا تُغَوِّت الفرصة للقضاء عليه، لأنها لا تضمن أن تأتيها فرصة أخرى.

ولضعف المرأة فإنها لا ترتكب جرماتها بالعنف ولا بالمواجهة، ولكنها تكيد وتحايل، فتضع السم لضحياتها، أو توقعه بحيلة ما بحيث يتولى غيرها القضاء عليه.

إن مظاهر العنف التي ظهرت في الأيام الأخيرة من بعض النساء ليست

القاعدة ولكنها شذوذ عنها.

كما أن الضجة التي أحدثتها هذه الجرائم أخذت أكبر من حجمها..  
لأن الشذوذ عن القاعدة هو الذي يحدث ضجة، ولكننا لو أخذنا عدد  
النساء اللاتي استخدمن العنف في فترة طويلة من الزمن..  
نجد أنهن لا يتجاوزن عدد أصابع اليدين من بين ملايين النساء، وحتى في  
هذه الحالة، فإن المرأة لا تأخذ طريق المواجهة، ولكنها تأخذ طريق الحيلة  
والكيد، بأن تستخدم مخدراً أو غير ذلك من الأشياء التي تشل حركة ضحيته..  
وعلى أية حال فالشاذ من الأمور لا يقاس عليه.



## فقه المرأة المسلمة في الحكم بالضرب

نأتي بعد ذلك إلى قول الحق - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

وذلك في الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَعْجِزُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ (١) وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

بعض الناس يقول: إن ضرب النساء هو نوع من الوحشية.. فكيف يأمر

الله به؟

ونقول لمن لم يفهم وغابت عنه الحكمة الإلهية في الآية الكريمة:

إن الله - تبارك وتعالى - لم يأمر بضرب النساء، ولكن أباحه، وفرق كبير - كما قلنا - بين الأمر والإباحة، لقد جعله مرحلة ثالثة بعد الوعظ والتذكير بشرع الله وبعد الحجر في الفراش..

مما يؤكد لنا أن المرأة هنا تكون مُضرة على فعل ما يكرهه زوجها، وأن الموعظة معها لم تُحْدِ، والحجر في الفراش لم ينفع، وكل الوسائل لم تأت بنتيجة. والشرع هنا يشترط أن يكون الضرب غير مبرح، أي مجرد إيلاء عقاب، بعد أن فشلت كل الطرق في إصلاحها وردها إلى الصواب.

الله - سبحانه وتعالى - أوجب على المرأة طاعة زوجها، لما يبذله من الجهد

(١) النشوز: عصيان الزوجة لزوجها.

(٢) المضاجع: أماكن الاضطرع وهو النوم، كناية عن عدم القرب من الناشزات.

وما يتحملة من المشقة، ويتعرض للكثير من المضايقات..

بحيث يعود إلى بيته متعباً منهكاً، لا يتحمل مزيداً من المتاعب والعناد.

إن من واجب الزوجة في هذا الحالة أن تكون سكناً لزوجها.. تزيل عنه إرهاق الحياة ومتاعبها، لا أن تزيد متاعبه وتعانده..

فإن ذلك يجعل الحياة بالنسبة له مستحيلة، ويؤثر على عمله وورقه..

وانضرب ليس معناه الكراهية.. ولكن معناه إظهار عدم الرضا عن شيء يحدث، ويسبب ألماً نفسياً للرجل.. يقابله بألم بدني خفيف.

قد يقول بعض الناس: إن ضرب الزوج لزوجته معناه الكراهية.. ونقول هؤلاء: ألا يضرب الأب ابنه؟ أيكرد الأب ابنه الذي هو قطعة منه؟

طبعاً لا.. بل إنه لا يحب شيئاً في الدنيا أكثر من ابنه. ولكنه يريد مصلحته، وقد يسبب له ألماً خفيفاً ليقيه من آلام كثيرة سيتعرض لها لو استمر في الطريق الخاطئ الذي يمشي فيه.

إن المجتمعات الإسلامية هي أقل المجتمعات إيذاء للنساء، لأن الشرع الحنيف يحض الأب والزوج على الترفق بمن أضعفهن وقلة حيلتهن..

أما في أوروبا وأمريكا فإن الأزواج يضربون زوجاتهم ضرباً مبرحاً لدرجة أنه بدأت تنشأ هناك جمعيات لحماية الزوجات من ضرب الأزواج!

والله- سبحانه وتعالى- قد جعل بين الأزواج والزوجات مودة ورحمة.. وذلك مصداقاً لقوله- تبارك وتعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرؤ: ٢١].



هذه المودة والرحمة هي الرابطة بين الزوج وزوجته أوجدتها الله.. لذلك لا تجد من هو أكثر تسامحاً من الزوج مع زوجته أو الزوجة مع زوجها.. يحدث بينهما الكثير، وبعد ساعة أو أقل.. يتجدهما نسياً ما حدث، وعاداً إلى الحب والصفاء..

ورسول الله ﷺ يقول:

«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى أن الضرب ليس علامة الكراهية، ولكنه قد يكون علامة حب..

وأنه ما دام غير مريح فإنه يسبب ألماً بسيطاً..

وأن الإنسان قد يلجأ إلى ضرب خفيف مع من يحب لأنه يحب مصلحته، ويهمه أمره.

والمرأة بطبيعتها تتفهم ذلك من زوجها، وتعرف أن غضبه عليها ومعاقبتها لها.. سرعان ما يتلاشى ويزول بزوال أسبابه، فتدوم بينهما العشرة وكأن شيئاً لم يكن.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥١٨٦)، مسلم (١٤٦٨)، البيهقي (٢٩٥/٧) في سننه الكبرى.

## فقہ المرأة في أحكام المولود

﴿وَالْوَلَدُ بُرْضِعَ أَوْ لَدَعَهُ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرُّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

انظر إلى عظمة الإسلام ها هو ذا الحق سبحانه يتكلم عن إرضاع الودات لأولادهن بعد عملية الطلاق، فالطلاق يورث الشقاق بين الرجل والمرأة، والحق سبحانه وتعالى ينظر للمسألة نظرة الرحيم العليم بعباده، فيريد أن يحمي الثمرة التي نتجت من الزواج قبل أن يحدث الشقاق بين الأبوين، فيبلغنا: لا تجعلوا شقاقكم وخلافكم وطلاقكم مصدر تعاسة للطفل البريء الرضيع.

وهذا كلام عن المطلقات اللاتي تركن بيوت أزواجهن، لأن الله يقول بعد ذلك:

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وما دامت الآية تحدث عن ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ فذلك يعني أن المرأة وولدها بعيدة عن الرجل، لأنها لو كانت معه لكان رزق الوليد وكسوته أمراً مفروغاً منه.

والحق سبحانه يفرض هنا حقاً للرضيع، وأمه لم تكن تستحقه لولا الرضاع. وبعض الناس فهموا خطأ أن الرزق والكسوة للزوجات عموماً ونقول لهم:

لا.. إن الرزق والكسوة هنا للمطلقات اللاتي يرضعن فقط.

ويريد الحق سبحانه أن يجعل هذا الحق أمراً مفروضاً منه، فشرع حق الطفل في أن يتكفله والده بالرزق والكسوة حتى يكون الأمر معلوماً لديه حال الطلاق.

وقوله تعالى:

﴿وَالْوَالِدَتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ نلاحظ فيه أنه لم يأت بصيغة الأمر فلم يقل: يا والدات أرضعن، لأن الأمر عرضة لأن يطاق وأن يعصى، لكن الله أظهر المسألة في أسلوب خبري على أنها أمر واقع طبيعي ولا يخالف.

ويقول الحق: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ ولنتأمل عظمة الأداء القرآني في قوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ﴾ إنه لم يقل: «وعلى الوالدة» وجاء بـ ﴿الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ ليكلفه بالتبعات في الرزق والكسوة، لأن مسئولية الإنفاق على المولود هي مسئولية الوالد وليست مسئولية الأم، وهي قد حملت وولدت وأرضعت والولد يُنسب للأب في النهاية.

يقول الشاعر:

فإِذَا أَمَهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَّةُ

مستودعات وللأبَاءِ أَبْنَاءُ

وما دام المولود منسوباً للرجل الأب، فعلى الأب رزقه وكسوته وهو وعليه أيضاً رزق وكسوة أمه التي ترضعه بالمعروف المتعارف عليه بما لا يسبب إجحافاً وظلماً للأب في كثرة الإنفاق، ويقول الحق:

﴿لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ هنا الحديث عن الأم والأب.. فلا يصح

أن ترهق المطلقة والد الرضيع بما هو فوق طاقته، وعليها أن تكفي بالمعقول من النفقة.

ويتابع الحق: ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لُمًا بِوَلَدِهِ ﴾ ولا زال الحق يُذكر الأب بأن المولود له هو، وعليه ألا يضر والدته الطفل بمنع الإنفاق على ابنه، وألا يتركها تكفف الناس من أجل رزقه وكسوته، وفي الوقت نفسه يُذكر الأم: لا تجعل رضيعك مصدر إضرار لأبيه بكثرة الإلحاح في طلب الرزق والكسوة.

إنه ﷺ يضع لنا الإطار الدقيق الذي يكفل للطفل حقوقه، فهناك فرق بين رضيع يتعمد بدفء الحياة بين أبوين متعاشرين، ووجوده بين أبوين غير متعاشرين.

والحق سبحانه وتعالى يعطينا لفتة أخرى هي أن والد المولود قد يموت فإذا ما مات الوالد فمن الذي ينفق على الوليد الذي في رعاية أمه المطلقة؟ هنا يأتي قول الحق بالجواب السريع: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ .

إن الحق يقرر مسؤولية الإنفاق على من يرث والد الرضيع، صحيح أن الرضيع سيرث في والده، لكن رعاية الوليد اليتيم هي مسؤولية من يرث الوصاية وتكون له الولاية على أموال الأب إن مات.

وهكذا يضمن الله ﷻ حق الرضيع عند المولود له وهو أبوه إذا كان حيًا، وعند من يرث الأب إذا توفى.

وبذلك يكون الله ﷻ قد شرع لصيانة أسلوب حياة الطفل في حال وجود أبويه، وشرع له في حال طلاق أبويه وأبوه حي، وشرع له في حال طلاق أبويه ووفاته أبيه.

ويتابع الحق:

﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِثْلِهِمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ .

انظر إلى الرحمة في الإسلام، فطلاق الرجل لزوجته لا يعني أن ما كان بينهما قد انتهى، ويضيع الأولاد ويشقون بسبب الطلاق، فقوله تعالى: ﴿ عَنْ تَرَاضٍ مِثْلِهِمَا وَتَشَاوُرٍ ﴾ دليل على أن هناك قضية مشتركة ما زالت بين الطرفين وهي ما يتصل برعاية الأولاد، وهذه القضية المشتركة لا بد أن يُلاحظ فيها حق الأولاد في عاطفة الأمومة، وحقهم في عاطفة الأبوة، حتى ينشأ الولد وهو غير محروم من حنان الأم أو الأب، وإن اختلفا حتى الطلاق.

إن عليهما أن يلتقيا بالتشاور والتراضي في مسألة تربية الأولاد حتى يشعروا بحنان الأبوين، ويكر الأولاد دون آلام نفسية، ويفهمون أن أهمهم تقدر ظروفهم، وكذلك والدهم وبرغم وجود الشقاق والخلاف بينهما فقد اتفقا على مصلحة الأولاد بتراضي وتشاور.

إن ما يحدث في كثير من حالات الطلاق من تجاهل للأولاد بعد الطلاق هي مسألة خطيرة، لأنها تترك رواسب وآثاراً سلبية عميقة في نفوس الأولاد، ويترتب عليها شقاؤهم وربما تشريدتهم في الحياة.

وما ذنب أولاد كان الكبار هم السبب المباشر في محبتهم للحياة؟

أليس من الأفضل أن يوفر الآباء لهم الظروف النفسية والحياتية التي تكفل لهم النشأة الكريمة؟

إن منتهج الله أمامنا فلماذا لا نطبقه لنسعد به وتسعد به الأجيال القادمة؟

والحق سبحانه وتعالى قال في أول الآية:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَتِيَّ كَامِلَتَيْنِ﴾ لكن ماذا يكون الحال إن نشأت ظروف تقلل من فترة الرضاعة عن العامين، أو نشأت ظروف خاصة جعلت فترة الرضاعة أطول من العامين؟

هنا يقول الحق:

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ .

إنه يبيِّن لنا أن الفصال أي الفطام يجب أن يكون عن تراضٍ وتشاورٍ بين الوالدين ولا جناح عليهما في ذلك. ويقول الحق: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، و﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَدَكُمْ﴾ أي أن تأتوا للطفل بمرضعة، فإن أردتم ذلك فلا لوم عليكم في ذلك.

إن المطلق حين يترك كل أم أن ترضع وليدها فالطفل يأخذ من حنان الأم الموجود لديها بالفطرة، لكن هب أن الأم ليست لديها القدرة على الإرضاع أو أن ظروفها لا تسعفها على أن ترضعه لضعف في صحتها أو قوتها، عند ذلك فالوالد مطالب أن يأتي لابنه بمرضعة، وهذه المرضعة التي ترضع الوليد نحتاج إلى أن يعطيها الأب ما يُسَخِّيها ويجعلها تقبل على إرضاع الولد بأمانة، والإشراف عليه بصدق.

ويختتم الحق هذه الآية الكريمة بقوله:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، إن الحق يحذر أن يأخذ أحد أحكامه ويدعي بظاهر الأمر تطبيقها، لكنه غير حريص على روح هذه الأحكام، مثال ذلك الأب الذي يريد أن يدلس على المجتمع، فعندما يرى الأب

مرضعة ابنه أمام الناس فهو يدعي أنه ينفق عليها، ويعطيها أجرها كاملاً، ويقابلها بالخفاوة والتكريم بينما الواقع يخالف ذلك.

إن الله يحذر من يفعل ذلك:

أنت لا تعامل المجتمع وإنما تعامل الله ﴿لَا تَعْمَلُونَ بَحْسَبِّ اللَّهِ﴾ .



## فقہ المرأة في وسائل منع الحمل

إذا حلال مباحة، بشرط أن تكون بقصد المحافظة على صحة الأم من عواصف مرض أو ويلات سُقْم بعيداً عن مسألة الرزق، لأن الذين يتخذون من وسائل منع الحمل سبباً لتقليل عدد عائلتهم، لا يعتمدون بذلك على الله، وبهذا يتصدع إيمانهم في أعظم لبناته.

وعند وجود ذاع وإلحاح وسيلة منع الحمل لظروفها الصحية، كمرضها مرضاً مزمنًا معدياً أو إصابتها بروماتيزم القلب الذي يزداد سوءاً على سوء بالحمل، أو حالة إصابة الأم بتشنجات عصبية عنيفة فممنوع استعمال أية وسيلة لمنع الحمل عدا «العازل» فإنه لا بأس فيه ولا ضرر منه، ولأنه لا يُدخل مادة كيميائية داخل جسم الأنثى.

وقد سُئل ﷺ عن العزل، قال: «أو إنكم لتفعلون؟» قالوا: «نأثماً» ما من نَسْمَة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة<sup>(١)</sup>. «متفق عليه».

وفي لفظ لمسلم: «لا عليكم أن لا تفعلوا، ما كتب الله ﷻ خلق نَسْمَة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون»<sup>(٢)</sup>.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٥٤٢)، مسلم (١٤٣٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٣٨)، أحمد (٨٢/٣).



## فقه المرأة المسلمة في الرضاعة

لأن الأم بالإرضاع كَوْنَتْ خَلايَا فِيمَنْ أَرْضَعَتْ، وما دامت قد كَوْنَتْ خَلايَا فِيمَنْ أَرْضَعَتْ فَفِيهِ بَضْعُ مِنْهَا، وما دام قد وَجِدَ فِي الْإِبْنِ بَضْعُ مِنَ الْأُمِّ الَّتِي أَرْضَعَتْ فَلِهَذَا الْبَضْعُ حُرْمَةُ الْأُمومة.

لكن العلماء تساءلوا: أَيُّ رَضَاعَةٍ هِيَ الَّتِي تُحَرِّمُ الزَّوْاجَ؟

قالوا: إِنَّهَا الرَضَاعَةُ الَّتِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهَا تُنْشِئُ خَلايَا، لَكِنْ إِنْ كَانَتْ بِمَجْرَدِ رَشْفَةٍ أَوْ رَشْفَتَيْنِ، وَمَصَّةٍ أَوْ مَصَّتَيْنِ مِنْ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَرْضَعُ لَا تَمْنَعُ الزَّوْاجَ.

لكن أبا حنيفة قال: لَا مَصَّةٌ وَاحِدَةً أَوْ مَصَّتَانِ، إِنْ بِمَجْرَدِ رَضَاعَةِ الطِّفْلِ مِنْ امْرَأَةٍ فَلَهَا تَحْرِيمٌ عَلَيْهِ.

وبعضُ الْمُحَقِّقِينَ قالوا: يَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَمْسُ رَضَعَاتٍ مُشْبِعَاتٍ أَيَّ أَنْ يَرْضَعَ الطِّفْلُ مِنَ الْمَرْأَةِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَيَكْتَفِي بِهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَشْرُوطًا حَدِثُهُ فِي مَدَةِ الرَضَاعَةِ، وَهِيَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ سِتَانِ.. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَالْوَالِدَتُ يُرَضِّعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَتِيَّ كَامِلَتَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرُّضَاعَةَ﴾

[البقرة: ٢٣٣].

والحرم من الرضاع هو: الأم من الرضاع، والبنت من الرضاع، والأخت من الرضاع، والعمة من الرضاع، والخالة من الرضاع.

وهكذا نرى أنها عملية مُتَشَعِّبَةٌ نَحْتَاجُ مِنْ كُلِّ أُسْرَةٍ إِلَى الْبِقِظَةِ، لِأَنَّا حِينَ نَرَى أَنَّ بَرَكَةَ اللَّهِ لَا نَحُومُ حَوْلَ كَثِيرٍ مِنَ الْبُيُوتِ لِأَبْدُ أَنْ نَدْرِكَ لَهَا أَسْبَابًا، أَسْبَابَ الْبُعْدِ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ.

فالإرسال الإلهي مستمر، ونحن نريد أجهزة استقبال حساسة تحسن الاستقبال، فإذا كانت أجهزة الاستقبال خربة، والإرسال مستمراً فلن يستفيد أحدٌ من الإرسال، وهَبْ أن محطة الإذاعة تذيع، لكن المذياع خرب، فكيف يصل الإرسال للناس؟

وبعد ذلك نقول لهم: يا قوم أنتم احتظنتم لأولادكم فيما يؤدي إلى سلامة بنيتهم، فكان لكل ولد ملف فيه: شهادة الميلاد، مواعيد تلقي التطعيمات ضد الدُفترية وشلل الأطفال، وغير ذلك.

فلماذا، يا أسرة الإسلام لا تضعون ورقة في هذا الملف لتضمنوا سلامة أوسركم، ويكتب في تلك الورقة: من الذي أَرْضَعَ الطفل غير أمه؟

وساعة يأتي للزواج نقول: يا مؤثق هذا ملفه إنه رَضَعَ من فلانة.. في هذا الملف تُدرَجُ أسماء النساء اللاتي رَضَعْنَ منهن.

فبني بذلك أسرة جديدة على أسس إيمانية سليمة، بدلاً من أن نفاجي رجلاً تزوّج من امرأة، وعاشا معاً وأنجبا، وبعد ذلك يتبين أنهما رَضَعَا معاً.

وبذلك تصبح المسألة إلى إشكال شرعي، وإشكال مدني، وإشكال اجتماعي ناشئ من أن الناس لم يُعَدِّدْ لِمُنْهَجِهَا الإيماني ما أعدته لِمُنْهَجِهَا المادي.

إذن.. فلأبْذُ من التزام كل أسرة أن تأتي في ملف ابنها أو ابنتها وتضع ورقة فيها أسماء من رَضَعَ منهن المولود.

وعلى كل حال، لم تُعَدِّدْ هناك الآن ضرورة أن تأتي بمرضعة للأولاد، فاللبن الجاف من الحيوانات يكفي ويؤدي المهمة، وصبرنا لا ندخل في المناهضة التي قد تؤدي بنا في المستقبل إلى أن الإنسان يتزوّج أخته من الرضاعة أو أمه من

الرضاعة، أو أي شيء من ذلك.

وبعد ذلك تمتع بركة الله من أن تمتد إلى هذه الأسرة.

ولذلك قال تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ  
وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ  
الرَّضْعَةِ ﴾ [النساء: ٢٣].



## حكم نشوز المرأة

المفروض في المرأة أن تكون متظامنة، ولا تكون ناشزا، والنشز هو المكان المرتفع، ولذلك ليس للمرأة أن تتعالى على زوجها، أو تضع نفسها في مكانة أعلى من مكانته.

ولذلك فالنشاز حتى في النعم هو صوتٌ خارج عن قواعد النعم، فيقولون: هذه النعمة ناشز، أي: خرجت عن قاعدة النعم التي سبقها.

والحق سبحانه يُربي في عبده حاسة اليقظة، فالنشوز لم يحدث، بل مخافة أن يحدث، فاليقظة تقتضي الترقب من أول الأمر، فعلى الرجل أن لا يترك المسألة حتى يحدث النشاز.

فإن شعر الرجل أن في بال امرأته أن تتعالى عليه، وتخرج عن طاعته وتنشز، فعليه ألا يتركها إلى أن تصعد إلى الربوة وترتفع، بل عليه التصرف من أول ما يشعر بهوادر النشوز فيمنعه.

ولكن كيف يكون العلاج؟

يقول الحق سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ ۖ وَأَقْبِرُوا لَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ۚ وَاقْرَأُوا لَهُمْ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

فهذه ثلاث مراحل لتأديب وإصلاح المرأة الناشز:

**أولاً - الوعظ:**

وهو التصحح بالرفقة والرفق واللين، وهو أن تنتهز فرصة انسجام المرأة معك وتنصحها في الظرف المناسب لكي يكون الوعظ والإرشاد مقبولا، فلا تأت

لإنسان وتعظه إلا وقلبه مُتعلق بك.

### ثانيًا - الهجر في المضجع:

لا تحجرها في البيت أو في الحجرة، بل تنام في جانب وهي في جانب آخر، حتى لا تفضح ما بينكما من غضب..

احجرها في المضجع لأنك إن هجرتها وكل البيت عَلِمَ أنك تنام في حجرة مستقلة أو تركت البيت وهربت، فأنت تثير فيها غريزة العناد..

لكن عندما تحجرها في المضجع فذلك أمر يكون بينك وبينها فقط..  
وسياتيها ظُرف عاطفي فتتغاضى، وسياتيك أنت أيضًا ظُرف عاطفي فتتغاضى..

وقد يمتحن كل منكما أن يصلح الآخر.

### ثالثًا - الضرب غير المؤذي:

إن الضرب يكون بشرط ألا يُسبب دماً ولا يكسر عظامًا..  
أي: يكون ضرباً خفيفاً يدلُّ على عدم الرضا..  
ولذلك فبعضُ العلماء قالوا: يضربها بالسواك..  
والمرأة عندما تجد الضرب مشؤمًا يحنان الضارب فهي تطعم من نفسها.



## فقہ المرأة عند نشوز الزوج

إن رأت المرأة بعضاً من ملامح نشوز وإعراض الرجل عنها فعليها أن تعالج الأمر، فالحق سبحانه قال:

﴿وَإِنْ أَمْرَاةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

فالحق سبحانه رتب الحكم على مجرد الخوف من النشوز، لا حدوث النشوز بالفعل، وهذه لفظة لكل منا ألا يترك المسائل حتى تقع، بل عليه أن يتلاق أسبابها قبل أن تقع، لأنها إن وقعت ربما استعصى عليه تداركها.

فعلى الزوجة الذكية أن تنتبه لنفسها، فإن كانت الأسباب من جهتها فعليها أن تعالج هذه الأسباب، وترجع إلى نفسها وتصلح من الأمر.

والإعراض يعني أنه لم ينشُر بعد، ولكنه لا يؤانس الزوجة ولا يُحدثها ولا يلاطفها، على الرغم من أنه يعطيها كل حقوقها.

والحق سبحانه وتعالى يريد أن يُنهي هذا الخلاف قبل أن يقع، فلا تنتظر أيها الرجل، ولا تنتظري أيها المرأة أن يقع الخلاف، فما أن تبدو البوادر فعليكما محلّ المشكلات، فليس هناك أحد قادر على حل المشكلات مثلكما، لأنه لا يوجد أحد بينه وبين غيره من الروابط والوشائج مثل ما بين الرجل وزوجته.

فإن وجد الإنسان شيئاً لا يُعجبه في المرأة، أو وجدت المرأة شيئاً لا يعجبها في الرجل..

فعلى الرجل أن يضمّ الزوايا كلها ليرى الصورة المكتملة للمرأة.

وأن تضم المرأة كل الزوايا حتى ترى الصورة المكتملة للرجل.

ولا يظنُّ رجل أن هناك امرأة هي مَجْمَعُ كُلِّ الجمال والخير، لأن كل

حصول الخير التي تتطلبها الحياة قد لا تتوافر في المرأة الجميلة..

بل قد توجد في المرأة التي ليست على حَظٍّ من الحسن لأن ذات الحسن قد

تستند إلى رصيد حسنها، أما التي ليس لها حظ من الحسن فهي تحاول أن تكون

أمانة ومُطِيعَة ومُدبِّرة وحسنة التصرف مع أهل الزوج، لأنها تريد أن تستبقي

نفسها رصيد استبقائها.

وعلى المرأة أن تبحث عن سبب التثؤن وسبب الإعراض، فقد تكون قد

كبرت في العمر أو نزلت بها علةٌ ومرض وما زال في الرجل بقية من فتوة، وقد يصحُّ

أن امرأة أخرى قد استماتته، أو يرغب في الزواج بأخرى لأي سبب من الأسباب.

هنا على المرأة أن تعالج المسألة علاج العقلاء وتتنازل عن قسَمها، فقد

تكون غير مليحة وأراد هو الزواج فلتسمح له بذلك، أو تتنازل له عن شيء من

المهر..

المهم أن يدور الصلح بين الرجل وزوجته، وهي مهمة الرجل كما أنها

مهمة المرأة.

ومطلوب من المرأة أن تصبر على الرجل، ومطلوب من الرجل كذلك أن

يصبر على المرأة، والذي يصبر عليها يؤتيه الله خيرها.



## علاج القرآن لنشوز الزوج

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

وساعة نرى «إن» وبعدها اسم مرفوع كما في قوله:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ [التوبة: ٦].

فلنعرف أن «إن» هذه داخلة على فعل، أي أن ترتيبها الأساسي هو:

«وإن استجارك أحد من المشركين فأجره» ..

وهنا في هذه الآية: يكون التقدير: وإن خافت امرأة من بعلها نشوزًا، وما

الخوف؟

هو توقع أمر محزن أو مسيء.. لم يحدث بعد، ولكن الإنسان ينتظره،

وحين يخاف الإنسان فهو يتوقع حدوث الأمر السيئ.

وهكذا نجد أن الخوف هو توقع ما يمكن أن يكون متعبًا.

وقوله الحق: ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ أي أن النشوز

لم يحدث ولكن المرأة تخاف أن يحدث. ورتب الحق الحكم على مجرد الخوف من

النشوز لا حدوث النشوز بالفعل، وهذه لفظة لكل منا ألا يترك المسائل حتى تقع، بل

عليه أن يتلافى أسبابها قبل أن تقع، لأنها إن وقعت ربما استعصى عليه تداركها وإن

رأت المرأة بعضًا من ملامح نشوز الزوج فعليها أن تعالج الأمر.



ونلاحظ أن الحق يتكلم هنا عن نشوز الرجل، وسبق أن تكلم سبحانه عن نشوز المرأة:

﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

ما النشوز؟ عندما نسمع عن الموسيقى نجد من يقول:

«هذه نغمة نشاز» أي ألها نغمة خرجت عن تسلسل النغم وإيقاعه..

والأصل فيها مأخوذ من النشز، وهو ما ارتفع وظهر من الأرض، والمفروض في الأرض أن تكون ميسوطة، فإن وجدنا فيها تنوعاً فهذا اسمه نشوز.

والأصل في علاقة الرجل بزوجته، أن الرجل قد أخذ المرأة سكناً له ومودة ورحمة وأفضى إليها وأفضت إليه..

واشترط الفقهاء في الزواج التكافؤ أي أن يكون الزوجان متقاربين... ولذلك قال الحق:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثَاتُ لِلْطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلْطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

حتى الكفاءة تكون في الطيبة أو الخبث، فلا يأتي واحد بامرأة خبيثة ويزوجها لرجل طيب كي لا تتبعه، ولا يأتي واحد برجل خبيث ويؤخره بامرأة طيبة كي لا يتبعها..

لأن الطيب عندما يتزوج طيبة تربيحه وتقدره.

وكذلك الخبيث عندما يتزوج خبيثة فإنهما يتوافقان في الطباع والسلوك، وفي هذا توازن، والخبث إن لم يخل من الفضيحة، فالخبث لا يخل منها أيضاً، أما الطيب والطيبة فكلاهما يخشى على مشاعر الآخر ويحافظ على كرامته، فإن

خافت امرأة من بعلمها نشوزاً أي ارتفاعاً عن المستوى المفترض في المعاملة، في السكن والمودة والرحمة التي ينبغي أن تكون موجودة بين الزوجين، وهي قد أفضت إليه وأفضى إليها، فإن خافت أن يستعلي عليها بنفسه أو بالنفقة أو يناها بالاحتقار، أو ضاعت منه مودته أو رحمته، هذا كله نشوز..

وقبل حدوث ذلك على الزوجة الذكية أن تنبه لنفسها وترى ملامح ذلك النشوز في الزوج قبل أن يقع..

فإن كانت الأسباب من جهتها فعليها أن تعالج هذه الأسباب، وترجع إلى نفسها وتصلح من الأمر..

وإن كانت منه تحاول كسب مودته مرة أخرى.

﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بُعْلِهَا نَشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ ..

والإعراض يعني أنه لم ينشز بعد ولكنه لا يؤانس الزوجة ولا يحدثها ولا يلاطفها على الرغم من أنه يعطيها كل حقوقها. وعلى المرأة أن تعالج هذه المسألة أيضاً..

والقضية التي بين اثنين - كما قلنا - وقال الله عنهما: ﴿ وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٢١].

وقال في ذلك أيضاً:

﴿ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أي أن يغطي الرجل المرأة وتغطي المرأة الرجل فهي ستر له وهو ستر لها وحماية..

ونعرف أن المرأة إن دخل عليها أبوها أو أخوها فهي تداري أي - ظاهر

من جسمها، أما عندما يدخل عليها زوجها فلا تستر ولا تخفي شيئاً. ويعرف كل رجل متزوج وكل امرأة متزوجة أن بينهما إفضاءً متبادلاً، فقد أباح الله للرجل من زوجته ما لا يبيحه لأحد، وكذلك المرأة، فلا يقول الرجل أي نعت أو وصف جارح للمرأة، وعلى المرأة أن تحافظ كذلك على زوجها.. ولها أن تذكر أنها اطلعت على عورته بحق الله، واطلع على عورتها بحق الله. والحق سبحانه وتعالى يريد أن ينهي هذا الخلاف قبل أن يقع، لذلك أوجب على المرأة أن تبحث عن سبب النشوز وسبب الإعراض فقد تكون قد كبرت في العمر أو نزلت بها علة ومرض وما زال في الرجل بقية من فتوة..

وقد يصح أن امرأة أخرى قد استماتته، أو يرغب في الزواج بأخرى لأي سبب من الأسباب، هنا على المرأة أن تعالج المسألة علاج العقلاء وتتنازل عن قسَمها، فقد تكون غير مليحة وأراد هو الزواج فلتسمح له بذلك، أو تنازل له عن شيء من المهر، المهم أن يدور الصلح بين الرجل وزوجته، وهي مهمة الرجل كما أنها مهمة المرأة.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

والصلح هنا مهمة الاثنين معاً، لأن كل مشكلة لا تتعدى الرجل والمرأة يكون حلها يسيراً، والذي يجعل المشكلات صعبة هم هؤلاء الذين يتدخلون في العلاقة بين الرجل والمرأة، وليس بينهما ما بين الرجل والمرأة، والرجل قد يختلف مع المرأة ويخرج من المنزل ويهدأ ويعود، فنقول له الزوجة كلمة تنهي الخلاف لكن إن تدخل أحد الأقارب فالمشكلة قد تتعقد من تدخل من لا يملك سبباً أو دافعاً لحل المشكلة.

لذلك يجب أن نتنبه إلى قول الحق هنا:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا ﴾ .

وأولى درجات الصلح بين الرجل والمرأة هو أن يقوم كل منهما بمسئوليته  
وليتذكر الاثنان قول الحق:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [الفره: ٢١٦].

وكذلك قول الحق سبحانه:

﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾  
[النساء: ١٩].

ولا يظن رجل أن هناك امرأة هي مجمع كل الجمال والخيرات، لأن كل  
خصال الخير التي تتطلبها الحياة، قد لا تتوافر في المرأة الجميلة..

بل قد توجد في المرأة التي ليست على حظ من الحسن، لأن ذات الحسن قد  
تستند إلى رصيد حسنها..

أما التي ليس لها حظ من الحسن فهي تحاول أن تكون أمينة ومطيعه ومديرة  
وحسنة التصرف مع أهل الزوج، لأنها تريد أن تستبقي لنفسها رصيد استبقاء.

ولذلك نجد اللائي ليس لهن حظ من الحسن هن الغالبية الكبيرة في حمل  
أعباء تكوين الأسرة، فلا يصح أن يأخذ الرجل الزاوية الوحيدة للجمال الحسي،  
بل عليه أن يأخذ الجمال بكل جوانبه وزواياه، لأن الجمال الحسي قد يأخذ  
بعقل الرجال، لكن عمره قصير..

وهناك زوايا من الجمال لا نهاية لها إلا بنهاية العمر.

وقد حدثونا عن واحد من الصالحين كانت له امرأة شديدة المراس والتسلط

عليه، وهو رجل طيب فقال لها:

آه لو رأيته وأنا في دروس العلم والناس يستشرفون إلى سماعي.

لقد ظن أنها عندما تراه في مجلس العلم سترتدع، وتكون حنونة عليه.

وذهبت لحضور درس العلم، ورآها، وظن أن ذلك سيزرع هبة له في قلبها..

وعاد إليها آخر النهار وقال لها: لقد رأيته اليوم..

قالت: رأيته وما حمرة ما رأيته، رأيته كل الناس يجلس بالتران إلا أنت فقد كنت تصرخ.

وحدثونا عن هذا الرجل أن الله كان يكرمه بالمدد جزاء صبره على امرأته، وكان المريدون يرون إشراقات الله في تصرفاته، وماتت امرأته..

وذهب المريدون ولم يجدوا عنده الإشراقات التي كانت عنده من قبل..

فسألوه: لماذا؟ فقال: ماتت التي كان يكرمني الله من أجلها.

فكما أن المطلوب من المرأة أن تصبر على الرجل، فالرجل مطلوب منه أن يصبر على المرأة..

والذي يصبر عليها يؤتيه الله خيرها، ولذلك قالوا:

«إن عمران بن حطان كان من الخوارج وكان له امرأة جميلة وكان هو دميم الملامح، فنظرت إليه زوجته مرة وقالت: الحمد لله، فقال لها: على أي شيء تحمدني الله؟ قالت: على أنني وأنت في الجنة. قال: لم؟ قالت: لأنك رزقت بي فشكرت، ورزقت بك فصبرت، والشاكر والصابر كلاهما في الجنة» .

ولا يظن واحد أنه سيجد امرأة هي مجمع الجمال والحسن في كل شيء، فإن كانت متدنية المستوى في جانب فهي متميزة في جانب آخر، فلا تضع الامتياز الذي فيها من أجل قصورها في جانب ما..

وزوايا الحياة كثيرة.. وقلنا سابقاً: إنه لا يوجد أحد ابناً لله، بل كلنا بالنسبة لله عبيد. وما دمنا جميعاً بالنسبة لله عبيداً وليس فينا ابن له..

وسبحانه أعطانا أسباب الفضل على سواء، فهناك فرد قد أخذ الامتياز في جانب، والآخر قد نال الامتياز في جانب آخر - هذا النقص في زاوية ما، والامتياز في زاوية أخرى، أراد به الله أن يجعل مجموع صفات ومزايا أي إنسان يساوي مجموع إنسان آخر حتى يتوازن العالم.

فإن وجد الإنسان شيئاً لا يعجبه في المرأة، ووجدت المرأة شيئاً لا يعجبها في الرجل، فعلى الرجل أن يضم الزوايا كلها ليرى الصورة المكتملة للمرأة، وأن تضم المرأة كل الزوايا حتى ترى الصورة المكتملة للرجل.

والرجل الذي ينظر إلى كل الزوايا بحيا مرتاح البال، لأنه يرى من الزوايا الحسنة أضعاف الزوايا التي ليست كذلك، والذي يرضى هو من ينظر إلى المحاسن..

والذي يغضب هو من ينظر إلى المقابح.. والعاقل في الغضب والرضا هو من ينظر إلى مجموع هذا ومجموع هذا، إن الحق سبحانه وتعالى يريد أن تُبنى الأسرة على السلامة فيوضح لنا:

لا تنتظر أيها الرجل ولا تنتظري أيها المرأة إلى أن يقع الخلاف، فما أن تبدو البوادر فعليكما بحل المشكلات، فليس هناك أحد قادر على حل المشكلات مثلكما، لأنه لا يوجد أحد منه وبين غيره من الروابط والوشائج مثل

ما بين الرجل وزوجته، لذلك قال سبحانه:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

إننا في بعض الأحيان نجد الصلح بأخذ شكلية الصلح، أما موضوع الصلح وهو إلغاء الجفوة والمواجد النفسية فقد لا يوجد، والذي يعرقل الصلح هو أننا نقوم بالشكلية ولا نعالج الأسباب الحقيقية المدفونة في النفوس، والتي تسرب إلى موضوعات أخرى، لذلك يجب أن يكون الصلح، ويتم بحقيقته، كقول الله تعالى:

﴿ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ وعندما تراضى النفوس بعم الخير على الزوجين وعلى المجتمع.

وبعد ذلك يتابع الحق:

﴿ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

يوضح لنا سبحانه: أنا خالقكم وأعلم طبائعكم وسحاياكم وأعلم أنني عندما أطلب من المرأة أن تتنازل عن شيء من نفقتها كمهرها أو هدية الخطبة الأولى «الشبكة»، أو تتنازل له عن ليلتها لينام عند الزوجة الأخرى.

وأعلم أن هذا قد يصعب على النفس، وكذلك يصعب على الرجل أن يتنازل عن مقاييسه، إياكم أن يستولي الشح على تصرفاتكم بالنسبة لبعضكم البعض..

وجاء الحق في آية وقال:

﴿ وَكَفَيْتَ أَخْذُودَهُ وَقدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١].

وهنا يقول: ﴿وَأَحْضِرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّعْ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وهناك فرق بين الحقوق التي قد يتمسك بها أحد الزوجين، والإحسان الذي يتطوع به..

ونعرف ما فعله قاضي فاضل عندما قال لحُصَمَيَّ:

أأحكم بينكما بالعدل أم بما هو خير من العدل؟

فسأل واحد: وهل هناك خير من العدل؟

فقال القاضي: نعم إنه الفضل.

العدل إعطاء الحق فقط، والفضل أن يتنازل الإنسان عن حقه بالتراضي لأخيه.

ويذيل الحق الآية: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

وسبحانه وتعالى يريد أن يحل مشكلة نفسية قد تتعرض لها الأسر التي لا توجد فيها حمرة عقدية إيمانية، لا عند الرجل ولا عند المرأة، ولو كانت هذه الأسر تمتلك الحمرة الإيمانية المسبقة وأخذت أحكام الله بحقها لما وجدت هذه المشكلة، إنما مشكلة التعدد.

ظاهر الأمر أن الرجل حين يعدد زوجاته يكون محظوظاً، لأنه غير مقيد بواحدة بل له إلى أربع، والمغبون هي المرأة، لأنها مقيدة بزواج واحد، فليست كل امرأة مهضومة، لأن الزوجة الجديدة تشعر بالسعادة..

وقد نجد امرأة قال له زوجها: سأزوج ثنائية، ورضيت هي بذلك، بعد أن

وازنت بين أمورها فاخترت غير الأمور.



روي أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها، وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي.. فقال: إن كان هذا يصلح فهو أحب إليّ فأقرها..

إذن.. فالغمة في زواج الرجل من زوجة أخرى لا تعم كل النساء، فإن أحدث الزواج الغم والحزن عند الزوجة الأولى فهو يحدث سروراً عند الزوجة الثانية.

والمرأة معذورة في ذلك لأن الرجل أخذ حكم الله في أن يعدد ولم يأخذ مع هذا الحكم أن يعدل.

والرجل يظلم المرأة حين يأخذ الحكم الذي في صالحه وهو إباحة التعدد ولا يأخذ من مبيح التعدد وهو المشرع الأعلى - وهو الله - الأمر بأن يعدل بين زوجاته.

لقد جنحت المجتمعات لأنهم رأوا الرجل حين يتزوج بأخرى لا يلتفت إلا للزوجة الجديدة، ويهمل القديمة وأولاده منها، لذلك فالنساء معذورات في أن يغضبن من هذه المسألة ..

ولو أن الرجل أخذ حكم الله بالعدل كما أخذ إباحة الله في التعدد لحدث التوازن. وحين تعرف المرأة الأولى أن حقها لن يضيع لا في نفسها ولا في بيتها ولا في رعاية أولادها..

فهي تقول: «من الأفضل أن يكون متزوجاً أمام عيني بدلاً من أن ينس نفسه في أعراض الناس» .

إذن.. فالذي يثير المسألة كإشكال أن الرجل يأخذ بعض الكتاب فيعمل

به ويترك بعضه فلا يطبقه ولا يعمل به..

والذين يأخذون إباحة الله في التعدد لابد أن يأخذوه بأصوله التي وضعها الله في إطار العدالة..

وحين يكون للرجل امرأتان مثل سيدنا معاذ بن جبل، فكل امرأة لها حق في البيتوتة، ليلة لزوجته وليلة لأخرى مثلاً، وكان -ﷺ- لا يتوضأ عند واحدة في ليلة الأخرى مع أن الوضوء قرينة لله.

والأعجب من ذلك عندما ماتت الزوجتان في الطاعون، أمر بدفن الاثنين في قبر واحد.



## فقه المرأة في الجهاد

س: هل على المرأة حرج أن تخرج للجهاد في سبيل الله؟

ج: عندما يكون الإنسان مجاهدًا في سبيل الله، لا بد أن يسقط القتلى والجرحى والمصابون في ميدان المعركة وهنا مجال للعمل يتطلب وجود المرأة لأن هذا الظرف لا يدع للعاطفة مجالاً للانحراف..

من الذي يرى هذا مقتولاً في سبيل الله يجري دمه وهذا مقطوعة أوصاله، ثم يفكر في المسائل الأخرى بين الرجل والمرأة؟

لذلك ما كان رسول الله ﷺ يقوم بغزوة إلا ومعه نساء، السيدة أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية أبليت بلاءً عظيماً يوم خيبر، وبعد ذلك قلدها رسول الله ﷺ قلادة ظلت تلبسها طوال حياتها.. فلما مائت أوصت وأمرت أن تدفن معها<sup>(١)</sup>.

إذن هذه المسألة ذات مظهرين في الحج وفي الجهاد في سبيل الله.

في الحج مظهر أناس في بيت يناجون ربهم ونفوسهم كلها مغلوعة عند ذنوبهم الماضية، فلا أظن واحداً يفكر هذه الأفكار الساقطة أو يتحرك الحركة الوضيعة.

وفي الجهاد في سبيل الله والمعركة دائرة الرحى والدم مسفوك والأشلاء ممزقة والنفوس ولهة ملتاعة، فمن الذي يفكر في شيء من هذا؟

(١) حديث صحيح: أخرجه مالك (٢٩٢/١) في الموطأ، والبخاري (١٢٩/٤)، (١٣١)، ومسلم (١١٠٦)، والترمذي (٧٢٩)، وأبو داود (٢٣٨٢) بنحوه.

## من أحكام الزينة في الحواجب

لا يجوز للمرأة تخفيف الحواجب لقوله ﷺ :

«لعن الله النامصة والمنمصة»<sup>(١)</sup>.

والنامصة هي التي تخف حواجب النساء..

والمنمصة هي التي تطلب النامصة لصنع ذلك لها، أما رفع الشعر الزائد من الوجه فلا شيء فيه.



(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢١٣/٧)، ومسلم (٢١٢٤).

## من أحكام الزينة في الأظفار

الإنسان كائن حي مستوى القامة، مفلم الأظفار، لأن الأظفار جعلت للتوحش، وحيث ارتقيت فلا أظفار، كأني آلة من الآلات، لا أستعملها إلا وقت الحاجة إليها.. أمنع الدافع القسري..

وقد روي أنه عليه السلام قد قال:

«خمس من الفطرة: الاختتان، والاستحداد، وفي رواية: «حلق العانة، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، وتنف الإبط»<sup>(١)</sup>.

قال أنس رضي الله عنه:

«وقت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظفار وتنف الإبط، وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة»<sup>(٢)</sup>.



(١) حديث صحيح: أخرجه مالك (١٠٧/٣)، والبخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧)، وأبو داود (٤١٩٨)، والترمذي (١٩٠٥)، والنسائي (١٢٨/٨-١٢٩)، وابن ماجه (٢٩٢)، وعبد الرزاق (٢٠٢٤٣) في مصنفه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨)، وأبو داود (٤٢٠٠)، والترمذي (٢٧٥٨)، والنسائي (١٤)، وابن ماجه (٢٩٥).

## حكم صوت المرأة

إذا كان فيه خضوع أو ما يثير الغرائز، فهو غير جائز لقول الله تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾  
[الأحزاب: ٣٢].

وهذا يعني أن المرأة إذا اضطرت إلى أن تتكلم مع الرجال فيجب أن يكون الكلام خالياً من الميوعة واللبونة والتكسر والنعومة وكل ما يثير الشهوات..

وذلك حتى لا يطمع فيهن الذي في قلبه مرض..

وليس معنى ذلك أن تتكلم بصوت عشن فظ غليظ، ولكن عليهن أن يقلن قولاً معروفاً..

وهذا رحمة من الله بمن حتى لا يتجرأ عليهن فاجر لا يخاف الله تعالى.



## حكم زينة المرأة في الشعر

أولاً أن تشبه المرأة بالرجل فهذا حرام.. حرام.. فكون أن تحلق المرأة رأسها من غير علة فهذا حرام لأن ذلك تشبه بالرجال، وقد لعى الرسول الكريم ﷺ عن ذلك فقال:

«لعن المتشبهون من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال»<sup>(١)</sup>.

ثم إن حلق المرأة لشعرها في الحقيقة خروج على طبيعة المرأة ذاتها..

بل يجعل الرجال ينفرون منها، فهو مظهر ولا شك رديء يدعو إلى النفور. إما إذا كان حلق الشعر لسبب يحتم ذلك مثل ظهور تقرحات في فروة الرأس مثلاً أو غير ذلك من الأمور الجلدية فتلك ضرورة تبيح الحلق..

وقد سئل الإمام أحمد رحمته الله عن المرأة التي تعجز عن معالجة شعرها أي: العناية به ورعايته أنهاخذها؟

بمعنى تقصره أو تحلقه.. فقال: لأي شيء تأخذها؟

فقيل له: لا تقدر على الدهن وما يصلح الشعر..

فقال: إذا كان لضرورة فأرجو ألا يكون به بأس.

والأصل أن حلق المرأة لشعرها حرام إلا لضرورة تبيح ذلك مع ضرورة الالتزام بتغطية شعرها.

وإذا كان الأمر قصه كالنسرجمات الجديدة في هذه الأيام لحسن المشهد فلا شيء فيه ما دامت تتزين به لزوجها ولا تظهر به على غير محرم لها، وعلى أن يكون الذي يتولى عملية القص امرأة مسلمة.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٤٦)، وأحمد (٥٨٨٥)، وأبو داود (٣٣٩/١)، وابن ماجه (١٩٠٤)، والترمذي (٢٩٣٥)، وابن ماجه (١٩٠٤).

## حكم الاختلاط في الإسلام

مسألة الاختلاط بين الفتاة والشاب ليست منطقية ولا طبيعية وقد سبق أن عاجلت هذا الأمر حينما تكلمت عن قصة موسى مع شعيب وقلت:  
إن خروج الفتاة إلى عمل في غير مجال أسرتها، أمر تحدده الضرورة المحضة..  
ودلت على ذلك بقول الله تعالى:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصر: ٢٣].

وقوله: ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ حددت الضرورة، والضرورة التي أخرجت الفتاة إلى مجال الاحتكاك، والاختلاط تؤخذ بقدرها.

ثم تكلم عن دور المجتمع فقال: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ ، يعني حين يرى الرجل امرأة خرجت لتكافح في الحياة عن ضرورة اقتضت ذلك، فيجب عليه أن يقضي لها ضرورتها، حتى تذهب إلى حال سبيلها ويجب على الفتاة أو المرأة التي تضطرها هذه الضرورة أن تلتزم الخروج من هذه الضرورة.

وقالت بنت نبي الله شعيب عليها السلام:

﴿ قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتِ اسْتَنْجَرَةٌ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَنْجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ [القصر: ٢٦].

وهي التي بحثت عن حل يريحها من هذه المهمة، نحن لا نمنع المرأة من العمل..



لكن تخرج إلى العمل إن كان في محيط أسرتها، وإن استدعى أن تخرج إلى المجتمع، لكن في حشمتها وفي وقارها، وفي اتزانها، ولا تجعل هذه الضرورة تبيح لها أن تختلط بالشباب، ما شاء لها الاختلاط.

حسبوا أن الضرورة اقتضت أن تخرج المرأة إلى المجتمع للعمل، ولا رجولة خاصة في مجال القوى، ولا رجولة عامة في المجتمع، وتركت المرأة في حال سبيلها تكافح في الحياة..

ما هو الرابط بين أن تخرج لتخرج على أمي زينتها وأكمل حليتها؟

ما هي العلاقة بين هذا وهذا؟

والفتاة التي تخرج لتتعلم، إنما قلنا أنها ضرورة اقتضت للاختلاط، فما ضرورة أن يكون ميدان الجامعة ميدان للتبرج، وليس أحسن الأزياء..

ولقد قلت سابقاً: هل العلم لا يسمع إلا من بين الصدور؟

الثدي يكون ظاهراً.. هل العلم لا يستقبل إلا بالسبقان المكشوفة؟

هل العلم لا يؤتى إلا باللباس الكاشف؟

والفتاة في تبرجها خارج منزلها، تعبر عن إلحاح في عرض نفسها على الرجل لأن مبالغة المرأة في تبرجها خارج منزلها معناها إلحاح في عرض نفسها على الرجل تماماً، ومعنى ذلك أنها تقول: انظر أنا هنا..

والشباب ليس في حاجة إلى من يهيج غرائزه، الشباب الآن يحتاج إلى مبردات، وليس إلى مهيجات، فارقوا يا قوم بين حركة العمل في الحياة، وبين اغراءات هذه الحياة.



## حكم العلاج عند الطبيب

أولاً: ما معنى العلاج؟

إنها كلمة تؤدي معنى المحاولة.. فنحن إذا أردنا أن نخلع مسماراً مثلاً، فإننا نحركه أماماً وخلفاً ويميناً ويساراً، ونكرر هذه الحركة لمحاولة الخلع، أو معالجة الخلع.

إذن فالعلاج هو المحاولة للوصول إلى هدف بأسباب..

والطب يعالج ولا يشفي، فهو يحاول أن يأتي بالأسباب، لعل سبباً يصيب الداء فيشفى المريض، وعندما عجز الطب عن إدراك سبب عضوي للمرض قالوا عنه:

إنه مرض نفسي.. أي إن السبب في هذا المرض مجهول لنا.

وتبين لنا بعد ذلك أن كثيراً من الأمراض النفسية تتسبب عن اختلال في أجهزة الجسم، لكننا لا نعرفها، مثل غدة صغيرة جداً في حجم حبة السمسم..

وعندما يحدث اختلال في إفرازها تسبب اكتئاباً نفسياً، أو أي مرض آخر..

وقدماً لم يكن العلم قد توصل إلى أن كل انفعال أو إدراك في الحياة البشرية إنما يترك أثراً عضوياً على جسم الإنسان، ولكننا لا نعرف تماماً هذا الأثر، لأن في الإنسان أجهزة بلغت من الدقة حدًا لا تكاد معه أن نتبينها، وإذا اختل توازنها انقلبت الموازين.

فعندما يتعرض الإنسان لصدمة تتأثر تلك الأجهزة، فتقبض، فإذا استطاع الطبيب أن يتحدث مع المريض ليكشف سبب الصدمة، ويوضح له وهمه،

انبسط الجزء المنقيض مرة أخرى.

إذن فإن كل تأثير على الكائن الحي يفيد شيئاً في كيميائته، وقد لا ندرك ذلك في حينه، إلا أنه يحدث فيه اختلالاً، ولا ضرر في أن أعالج هذا الاختلال مطلقاً.

وثانياً: ذكر ما أصاب السائلة من سوء معاملة الوالد المتوفى للطبيب لا ضير منه ما دامت تعتقد بذلك معونة الطبيب على تشخيص المرض..

والمنهي عنه هو قصد التشفي، أو تبرير عدم البر بالوالد.

وفي هذا المجال أحب أن أذكر أن الله تعالى عندما أوصى بالبر بالوالدين فقد ذكر سببين:

أولهما: الوالدين، أي ألهما سبب في الوجود.

والثاني: التربية. فقال تعالى:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فحق الوالدين يظل لهما وإن لم يربيا، وفي آية أخرى يقول تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وبذلك فإن حق التربية يتقل لكل من ربى وإن لم يكن والداً..

وأما من اجتمعت له الصفتان فيصبح له حق الوالدية وحق التربية.

وثالثاً: بالنسبة للبقاء فترة طويلة مع الطبيب المعالج، فلا شيء فيه، ما دام

الطبيب مسلماً مؤمناً، وما دام العلاج يقتضي ذلك.



## حكم الإنجاب عن طريق طفل الأنابيب

ما الخروج على شريعة الله في هذا؟ وما الذي فعله هؤلاء العلماء؟

إنهم يأخذون بويضة المرأة وحيوان الإخصاب من الرجل، ويهيئون مناعاً مناسباً ومرحلياً، لوجود عظم عند الزوجة، مما لا يسمح لها بالحمل في تلك المرحلة، ثم يعيدون الأمور بعد ذلك إلى طبيعتها.

فما الذي اخترعوه من عندهم؟

ولو كان الأمر تعدياً لقلنا لهم: هاتوا بويضة وحيواناً منويًا من عندكم.

وهذه المحاولات وجدت أساساً لحل مشكلات مرضية عند بعض السيدات، فنحاول أن تقلد المثال الصالح الذي أعطاه الله لنا، فنجعل للأنابيب البيئة، ودرجة الحرارة والرطوبة، وكل شيء فيها مماثلاً لرحم الأم الطبيعي الموجودة في الأصل.

إذن أنا أخذ مصنوعاً لله لأضعه في بيئة على وفق مصنوع لله، فأنا أستلهم من الله، فأين التحدي هنا؟

ولكن يأتي الكلام إذا أخذنا بويضة المرأة لحيوان منوي لغير الزوج..

ففي هذه الحالة لمن ينسب الطفل؟ وفيما عدا ذلك فلا شيء مطلقاً.



## حكم إجراء النساء جراحة التجميل

القبح في مكان يعطي جمالاً في أماكن متعددة..  
ولكننا ننظر إلى القبح في مكان محدد، ولا ننظر إلى الجمال نظرة كلية..  
ننظر إلى زاوية واحدة، ولا ننظر إلى الزوايا الأخرى.  
ولو نظرنا إلى الشواذ أو ذوي العاهات الخلقية في الوجود، لوجدناهم  
نسبة ضئيلة..

ف نجد مثلاً عدد فاقد البصر في دولة تعدادها الملايين نجد أن عددهم  
محدوداً جداً. وهذا يعتبر وسيلة إيضاح.. بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يلفت  
نظرنا إلى كمال خلقه. فلو أن كل الناس مبصرون لما أدرك الناس نعمة البصر،  
وربما يسأل أحد الناس قائلاً: ولماذا اختر هذا بالذات ليكون وسيلة إيضاح.  
فنقول: إن هذا السؤال أيضاً يدل على أن السائل ينظر إلى المسألة بشكل  
محدود، وليس بنظرة شاملة، فأنت نظرت إلى زاوية النقص في هذا الإنسان  
الذي تنقصه نعمة البصر، ولم تنظر إليه في زاوية أخرى قد تميز بها وتفوق..

وفي ذلك نتذكر المثل العامي الذي يقول:

« كل ذي عاهة جبار » .

أي إن لكل صاحب عاهة ميزة يتميز بها عن غيره، وهذا لكي يعطي الله له  
تعويضاً في المجموع..

بمعنى أنه إذا نقص في جزء عوض في الجزء الآخر.

وكذلك الشواذ في القبح.. فنحن ننظر إلى زاوية معينة في هذا الإنسان،

وكلنا يستخدم تعبيراً يدلنا على اختلاف شكل الإنسان الظاهري عن داخله شكلاً وموضوعاً.

فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يشجع صاحب العاهة بناحية كمال يتفوق فيها، وذلك لكي يحاول بنفسه أن يعوض ناحية النقص.

ولدينا نماذج تاريخية واضحة، فترى أن «تيمورلنك» الذي ساح العالم كان أعرج، و «بتهوفن» الذي أطرب العالم بحمال ألعانه كان أصم.

كما نجد رائد النهضة الأدبية الدكتور طه حسين كان أعمى وغير هذا أمثلة كثيرة جداً.. فنجد بذلك أن الإنسان يعوض بتفوقه في مجال من المجالات وتميزه فيه نقصاً لديه.

إذن لو كانت الأمور رتيبة لما وجدنا تفوقاً كمالياً في الوجود. ولذلك فإن الإنسان حينما ينظر إلى الصنعة التي صنعها الصانع الذي نؤمن بحكمته وعدله فكلنا بالنسبة إليه سواء، وبحكمته خلق كل شيء، وإلا استغرق العالم استطرافاً في كل الزوايا، حتى يقعد الناس في كل الزوايا.

وبالنسبة لعمليات تحميل الوجه، نجد البشر وقد وضعوا مقاييس الجمال، ووضعوا ثمال «فينوس» رمزاً لذلك الجمال، وقالوا عنها: إلهة الجمال، وعنوان الجمال العام هو الوجه..

فقسموا الوجه ثلاثة أقسام: من منبت الشعر إلى آخر الجبهة ثلث، ومنه إلى آخر الأنف ثلث، ومنه إلى آخر الذقن ثلث..

فإذا قسم الوجه بهذه الطريقة أعطى نوعاً من الجمال، هذا من حيث الطول فقط.

ثم من حيث العرض، من شحمة الأذن إلى مركز الخد، ومنه إلى نصف الأنف، فإذا اختلفت هذه المقاييس سمي قبحاً.

فتخيل أنت إنساناً وقد احتلت جبهته نصف وجهه، أو آخر احتلت المسافة بين جبهته إلى أنفه نصف وجهه، واقتسم النصف الآخر الجزئين الباقيين.

ولما أرادوا أن يصنعوا تمثالاً على مقاييس الجمال صار قبيحاً.. إذن لا نعرف سبب الجمال في الوجه، فربما كان الأنف الكبير هو سبب الجاذبية..

إذن الجمال هو شيء يضعه الله تعالى على مجموع ملامح الوجه، ولا يجب أن نقيس الجمال على المقاييس التي وضعها البشر، متناسين حكمة الله في خلقه.



## حكم تقديم الزوجين الأشرية المحرمة للضيوف

إنكما ألمان لأنكما تدعوان من تعتقدان أنهن يحضرون إليكما لشرب الخمر، وحين لا تدعوان لهذا لأنكما تريدان أن تطيعا الله..

فلا تظني أنك ستسخطي القوم، فقد لا يحب هؤلاء القوم الحضور إليكما حينئذ، ولكن لا يسخطهم فعلكما، بل العكس هو الصحيح، إنهم يكرهونكما.

ومن يرتبط بدينه يكون كبيراً حتى عند المنحرف عن دينه، ومن يعمل عملاً يرضي به العباد بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن يمتنع عن سخط الله وإن أسخط العباد، رضي عنه العباد.

وفي أسوأ الفروض إن كان الأمر محتماً عليكم من الجهات الأعلى في العمل بتقديم الخمر - ولا أظن ذلك كائناً - فإن طاعتكما لهذه الأوامر إشراك بالله، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وكما أنكما صليتما وزكيتما بدون أوامر من جهات العمل، فيستلزم ذلك ألا تعصيا من فعلتما ذلك له، ولو أدى هذا إلى فصلكما من عملكما، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فلو تركتما هذا العمل لله ولأن هذا العمل يحتم عليكم أن تغضبا ربكما من خلاله، وأنتما ترفضان ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى سيجعل لكما في كل أموركما فرجاً، ويعوضكما خيراً مما أنتما فيه.





## حكم عمل المرأة سكرتيرة للرجل

حدد القرآن الكريم عمل المرأة في قصة ابنتي شعيب كما قلنا مراراً بالضرورة، وأن تكون الضرورة بقدرها، فإذا زالت الضرورة زالت الإباحة.

وقد حذرنا الإسلام من الخلوة بين الرجل والمرأة، فما اجتماعا على انفراد إلا كان الشيطان ثالثهما..

وعمل المرأة مع أجنبي عنها إذا كان لا يمكن التحرز من الخلوة بينهما حرام..

واجتماع المرأة مع الرجل في مكان مغلق يعتبر خلوة، دون أي اعتبار لعمل أو لغيره.

ومن الأفضل للمرأة إذا كان لابد لها من العمل أن تبحث عن موقع عمل مناسب يفيد المجتمع، ولا تجتمع فيه مع الرجال..

إما إذا كانت مضطرة إلى ذلك العمل للإتفاق على نفسها أو على من تعول، وليس لها من تلزمه نفقتها من زوج أو قريب، فعليها أن تكون محتشمة..

وألا تدع باب الحجرة مغلقاً بحيث يمنع الداخل إلى الحجرة، والأولى أن تعرض الأوراق في حضور زميل أو زميلة.



## حكم ذكرى الأربعين على الميت

هذه العادة ليس لها سند من الشرع، بل هي من البدع..  
وجمهور العلماء أجمعوا على كراهة هذا العمل، لأنه يجدد الحزن، ويكلف أهل الميت الكثير من النفقات دون فائدة..  
فهو عمل مخالف لما كان عليه رسول الله ﷺ والسلف الصالح من بعده..  
والرسول ﷺ جعل نهاية الحزن ثلاثة أيام إلا لمسافر بعد غياب، فله أن يقدم العزاء، وتُحد المرأة على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام<sup>(١)</sup>.



(١) وفي هذا المعنى تقول أم سلمة رضي الله عنها: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي توفى عنها زوجها، وقد اشتكت عينيها، أفنكحها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا». ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبرة على رأس الخول» [حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٧/٧)، ومسلم (١٠/١٦٦ نووي)، وأبو داود (٢٢٩٩)، والترمذي (١٢١٢)، والنسائي (٢٠٢/٦)، وابن ماجه (٢٠٨٤)].

## فقه وحكم عمل المرأة

قبل أن نتحدث عن حكم عمل المرأة في الإسلام..

لا بد أن نتناول حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، أعوج شيء في الضلع أعلاه.. فإن ذهبت تقيمه كسرته.. وإن تركته لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء خيراً»<sup>(١)</sup>.

بعض الناس يأخذ هذا الحديث على أنه انتقاص من شأن المرأة وإهانة لها، والحقيقة أنه كما فُسرَ حديث:

«ناقصات عقل ودين»<sup>(٢)</sup> لما لا يتفق مع واقعه.. كذلك فُسرَ هذا الحديث بما لا يتفق مع واقعه..

فالضلع مخلوق في صورة مقوسة ليؤدي مهمته في الحياة، لأنه لو استقام لما أدى مهمته في أن يحمي الصدر.

إذن.. فهو في خلقة أعوج.. يعني أنه خلِقَ صالحاً لأن يؤدي مهمته في الحياة، وأن يحافظ على الصدر ويحميه من أن يصاب بسوء.

والمرأة مخلوق مملوء الخنان، ليحافظ على أئمن شيء في الوجود وهو الأولاد..

(١) سبق شرحه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٨٣/١)، مسلم (١٣٢)، أحمد (٣٦٣/١)، والترمذي (٢٦١٣)، وابن ماجه (٤٠٠٣).

فإذا أردت أن تعدله، لا ينفع ويتحطم.

المرأة مهمتها عاطفية، لأنها تعاشر ابنها من ساعة الحمل إلى أن يبلغ مبلغ الرجولة، ولذلك فهي عندما تسير وهي حامل.. تسير بحساب.. وتحرك بحساب.. تخاف على ابنها، وإذا تعرضت لخطر فقد لا تدفع الأذى عن رأسها أو عينيها، ولكن أول ما تدفع عنه الأذى هو بطنها الذي تحمل فيه طفلها.

وكما بيّننا فإن قول- رسول الله ﷺ: «ناقصات عقل ودين» ..

هو إخبار لنا بأن المرأة قد خلقت وطبيعة عقلها تساعد على تمام أداء مهمتها كزوجة وأم.

الرجل والمرأة متشابهان، ولكنهما مختلفان عند توزيع الطاقات.. الرجل محتاج إلى عقل لا تغلبه العاطفة، والمرأة محتاجة إلى عاطفة لا تلغي العقل.

ومن تمام كمال خلق المرأة.. أنها خلقت من ضلع أعوج.. لتحنو على طفلها وتريه، وعندها الصبر الكبير الذي منحها الله إياه لتقدر على هذه المهمة الشاقة، وهي سعيدة ومسرورة بما تفعله، وهي تحنو على طفلها الأيام الطويلة دون ملل، ودون ضيق وبغض وبنفس راضية.

لقد عرفنا أن العوج في الضلع ليس عيباً ولكنها ميزة..

تماماً كالسنارة التي نصطاد بها السمك.. من تمام أداء مهمتها أنما معوجة، ولو أن إنساناً جاء فجعلها مستقيمة، فلن تؤدي مهمتها، ولن تصطاد سمكة واحدة.

ذلك توضيح أردت أن أقوله حتى لا يُساء فهم هذا الحديث.

فلا عوجاج هنا من تمام الخلق، ومن تمام كمال مهمة المرأة في الحياة وليس عيباً فيها.

نأتي بعد ذلك إلى الحديث عن عمل المرأة في الإسلام..

وكما قلنا: لو نظرنا إلى عمل المرأة لأشفقنا عليها.. لأننا سنجد أن عملها أصعب وأشق من عمل الرجل. لأن عمل الرجل محصور في طلب الرزق، ثم راحة بعد ذلك.. أما هي فعملها يبدأ عندما تعود إلى البيت بعد يوم عمل شاق في وظيفتها، لتجد أمامها أطفالها وزوجها وبيتها.. كل منهم يطلب طلباً.

قد يقال: إن المرأة في الريف تعمل في الحقل وفي المنزل..

نقول: نعم، ولكنها تعمل مع بنات جنسها أو أشقائها أو محارمها.. وكلهم يعمل معها..

فإذا كانت يوماً متعبة أعانوها، وإذا كان العمل كثيراً، فهي يمكن أن تعود إلى بيتها متى شاءت، والعمل في البيت في الريف عمل جماعي.. تتعاون فيه المرأة مع جاراتها وصديقاتها.. كل منهن تساعد الأخرى، ولا يكون العمل شاقاً أو متعباً.

إن عمل المرأة في الإسلام بينه لنا القرآن الكريم في قصة شعيب وموسى عليهما السلام.. وتعالوا نتأمل القصة نتدبر فيها..

يقول الحق - سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ <sup>(١)</sup> ﴾ [النمل: ٢٣].

إن موسى - عليه السلام - قد خرج من مصر خائفاً.. لأنهم تأمروا على قتله بعد أن ضرب واحداً فقتله خطأ.

(١) تذودان: تمنعان أغنامهما.

وفي هذا يروي لنا الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْأَمْلَأَ بِأَتَمَرُونِ  
بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ الصَّاحِبِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا  
يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [النقص: ٢١، ٢٢].

خرج موسى - عليه السلام من مصر إلى فلسطين، وبعد أن عبر صحراء سيناء،  
وصل إلى بئر مدين، وجد جمعا من الناس يسقون ماشيتهم.. كل يزاحم ليسيقي  
ماشيته أولاً.

لاحظ موسى - عليه السلام - أنه يقف بعيداً عنهم امرأتان تريدان السقيا ولا  
تستطيعان.. تمنعان ماشيتهما من أن تذهب إلى البئر لترتوي، ولفت هذا المنظر  
انتباه موسى.. كيف أن هاتين الفتاتين جاءتا لتسقيا الماشية؟

وكيف أهما تمنعان ماشيتهما من الذهاب إلى الماء والارتواء؟

وتقدم إليهما ليسألهما. ما هي حكايتهما؟

ويروي لنا القرآن الكريم هذه القصة في قوله تعالى:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّقَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ  
كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النقص: ٢٣].

عندما سألهما موسى - عليه السلام - ما هي حكايتكما؟

انتضحت له الضرورة التي دفعت بهما للخروج من البيت، والاختلاط  
بالرجال عند البئر. فأبوهما شيخ كبير، لا يستطيع أن يسوق الماشية إلى البئر  
لترتوي، وهما يقومان بهذا العمل. فكأنهما لا عائل لهما يستطيع أن يتولى السقيا

(١) يصدر الرعاء: يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء.

عنهما، ولذلك اضطررنا إلى أن تقوما بالسقيا بأنفسهما.

ولكن انظر إلى الضمانات التي يجب أن تتوافر، عندما تضطر المرأة للخروج لعمل ضروري.

أولاً: خرجت الفتاتان معاً ولم تخرج واحدة منهما بمفردها فقط، مع أن أباها شيخ كبير.

إن المنطق يقضي بأن تخرج واحدة منهما وتبقى الثانية مع أبيها كبير السن لتخدمه وتلبى طلباته في البيت، ولكنهما خرجتا معاً لتراقب كل منهما الأخرى، حتى لا تخرج واحدة بمفردها، وتذهب إلى أي مكان، ثم تعود وتقول كنت أسقي الماشية.

ورغم أن الفتاتين ابتنا نبي الله شعيب.. إلا أن ذلك لم يشفع لهما في الثقة الزائدة التي تفتح الباب لإغواء الشيطان، ولذلك خرجتا معاً - كما قلنا - لتكون كل منهما في رقابة الأخرى.

والشيء الثاني: أنما عندما اضطررنا إلى الخروج لعمل لم تراحما الرجال، بل وقفنا بعيداً نمتنعان ماشيتهما من السقيا حتى يتصرف الرعاة، وهذا يعطينا المبدأ الثاني..

وهو أنه إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل.. فلا يجب أن تراحم الرجال، بل تبقى حتى يتصرفوا ولا تكون هناك مزاحمة، وهكذا نعرف أن ضرورة العمل لا يجب أن تجعل المرأة تراحم وتختلط.

ماذا حدث بعد ذلك؟ يقول الحق - سبحانه وتعالى:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [النقص: ٢٤].

إن موسى عليه السلام عندما وجدهما امرأتين بلا رجل مضطرتين للعمل.. قام هو بالمهمة.. فأخذ الماشية وسقاها بدلاً عنهما، وهذه هي مهمة المجتمع الإسلامي. إنه إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل.. على الرجل أن يقضي لها مهمتها بسرعة.. فهذه هي المهمة الإيمانية التي قام بها موسى عليه السلام.

وأذكر عندما سافرت إلى السعودية في عام ١٩٥٠.. كنت راكباً السيارة.. مع صديقي الشيخ عبد المعطي الكعكي - رحمه الله - في طريقنا للعمل، وفجأة أوقف السيارة، ونزل منها واتجه إلى باب بيت، وكان الباب لوح من الخشب، وعليه عجين خبز، ومغطى بقطعة من القماش، فحمل اللوح الذي عليه العجين، ووضعه في السيارة، فسألته عما فعل، فقال لي: عندما تجد لوح عجين أمام منزل مغلق.. تعرف أن رب البيت غير موجود.. وأنه لا يوجد في البيت إلا النساء.. فأنت سائر في الطريق يأخذ لوح العجين إلى المخبز، ثم يعود به إلى مكانه بعد أن يتم خبزه.

هذه هي مهمة المجتمع الإيماني.. معاونة المرأة التي لا عائل لها في أداء ضرورياتها.. دون أن يجبرها على أن تخرج وتختلط بالرجال.

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [النقص: ٢٤].

يبين لنا أن موسى عليه السلام رغم أنه كان محتاجاً إلى المال، ولم يكن معه شيء، إلا أنه سقى للفتاتين مجاناً دون أن يتقاضى أجراً عن ذلك.

إذن.. فعمل المرأة عند الضرورة له شروط.. فالضرورة التي اقتضت



خروجهما أن أباهما شيخ كبير، والعمل تم على قدر الضرورة، فلم يزاكما الرجال.. بل انتظرتا حتى يسقى الرعاة وينصرفوا.

إن المهمة الإنمائية للمجتمع.. هي مساعدة المرأة بدون أجر ومجاناً.. على أن تقضي عملها وتنصرف، ولذلك فإن موسى عليه السلام سقى لهما - كما قلت - بدون أجر رغم أنه كان محتاجاً للمال.

وفي هذا قدوة لمن أراد الأسوة الحسنة بتبذل القيم الفاضلة النابعة من المجتمعات الإسلامية الراقية.

ماذا حدث بعد ذلك؟

عادت الفتاتان إلى الأب الشيخ ولم تكنما عنه قصة ما حدث.. بل أخبرتاه بالقصة، ولو ألهما عشقنا الخروج ومغادرة البيت، لأخفيتا عنه هذه القصة لتخرجا كل يوم لسقاية الماشية، ولكن لألهما فعلتا ذلك وهما كارهتان.. أخبرتاه والدهما بما حدث، فماذا كان المقابل؟

يقول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَعْتَمِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [النقص: ٢٤].

ولأن موسى عليه السلام سقى للفتاتين ولم يأخذ منهما أجراً.. ولم يكلمهما.. هذا السلوك جعل نبي الله - شبيب - يحس أن موسى عليه السلام فيه إيمان وأمانة.. لذا أرسل واحدة فقط من بنتيه لكي تستدعي هذا الرجل الأمين لكي يعطيه أجره.

ولو أن موسى عليه السلام نظر إليهما أو حدثتهما أو حاول أن يبدأ كلاماً معهما، أو قال أريد أجري، لبعث شبيب بالفتاتين معاً، ولكن أمانة موسى جعلت هناك

ثقة فيه، وإحساساً بأنه إنسان مؤمن ومؤمن وأمين، وجاءت الفتاة بعد أن دعا موسى ربه:

﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [النقص: ٢٤].

فاستجاب الله لدعائه وجاءه من ميدفع له أجر السقاية.. وعندما ذهب موسى إلى بيت شعيب - عليهما السلام - جلس معه شعيب بنفسه ليختبره ويختبر إيمانه وأمانته.

وسأله: ما هي قصتك؟

وهنا يروي لنا القرآن الكريم:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [النقص: ٢٥].

أي أن شعيباً بعد أن استمع إلى قصة موسى واختبر صدقه وأمانته.. طمأنه وهذا من روعه، وهنا جاءت الفرصة للفتاتين.. مما يدلنا على أنهما كانتا تفرجان وهما كارهتان، وكان موسى عليه السلام هو الفرصة لكي تتخلصا من هذا العمل ومن الخروج.

إن موسى رجل قوي وأمين، وأنه يمكن أن يقوم عنهما بمهمة العمل مقابل أجر دون أن تخافا عدم أمانته، أو عدم قدرته على العمل..

فاقترحت إحدى الفتاتين على أبيها، أن يستأجره ليقوم بالسقاية مصداقاً لقول الحق - تبارك وتعالى - :

﴿ قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتِجْرَاهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتِجْرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

[النقص: ٢٦].

وهكذا في البداية.. جذب موسى انتباه الفتاتين ووالدهما بأدبه وأمانته، وأنه سقى لهما بلا أجر، وأنه عندما جاء موسى واختاره الأب بنفسه ووثق منه، وجدت الفتاتان الفرصة في ألا تخرجا للسقاية.. وتستأجرا موسى لذلك.

ولكن كيف عرفت ابنة شعيب أن موسى قوي وأمير؟

عرفت أنه قوي، لأنه زاحم الرعاة ورفع حجراً ضخماً كان موضوعاً فوق البئر، وعرفت أمانته، لأنه لم ينظر إلى أي منهما، ولم تلحظ أي منهما عليه أي مسلك.. يمكن أن يشينه.

نبي الله شعيب.. أخذ المسألة بمنطق إيماني، وقال لنفسه: كيف أستأجر رجلاً يعيش مع ابنتي في نفس البيت؟ إن المسألة ستكون في غاية الخطورة..

فكان الحل لهذا كله.. هو أن يعرض على موسى أن يتزوج إحدى الفتاتين، وبذلك تكون الأخرى مُحَرَّمَةً عليه، ويستطيع موسى أن يعيش في البيت حياة طبيعية، وقال له كما يروي لنا القرآن الكريم:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [النقص: ٢٧].

أي أن شعيباً عرض عليه الزواج من واحدة من بنتيه، ولكن موسى لم يكن يملك مالاً، وفطن شعيب إلى ذلك..

فحدد المهر بالعمل فترة من الوقت، وفي هذا يقول الله - سبحانه وتعالى:

﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبَّحٍ فَإِنْ أَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [النقص: ٢٧].

وهذا يدلنا على أن مبدأ الأخذ والرد، والمفاصلة في المهر كان موجوداً.

هذه هي قصة موسى وابنتي شعيب التي أعطتنا حدود عمل المرأة..

فعمل المرأة لا يكون إلا للضرورة.. إنه لا عائل لها، والضرورة على

قدرها.. فلا مزاحمة مع الرجال.

ومهمة المجتمع الإنمائي هو مساعدة المرأة على قضاء حاجتها الضرورية بمائاً.. وهدف المرأة هو أنها تبحث عن وسيلة لترجيحها من العمل والخروج.

وعمل المرأة يُوجد في البيت فراغاً كبيراً.. وإذا كانوا يقولون إن المرأة هي نصف المجتمع فكيف لا تعمل؟

نقول: إن عمل المرأة قد أفسد المجتمع كله وليس نصفه.. فالطفل محتاج إلى أمه احتياجاً كبيراً.. فعندما يولد هو محتاج إلى لبن الأم.

إن العالم كله الآن يصرخ بالعودة إلى الرضاعة الطبيعية بعد أن عرفوا معنى أن يرضع الابن من ثدي أمه.. إن هذا أمر هام جداً بالنسبة للتكوين النفسي للطفل، وأن تفرغ الأم لطفلها، يجعل الطفل يحس بالأمن والأمان طوال حياته، وقد يستطيع الأب أن يأتي لطفله بعشرين خادمة، ولكنه لن يستطيع أن يأتي له بقلب أم واحدة ترضعه حنان الأمومة..

ذلك أن الابن.. وهو يرضع لبن الأم يصبح جزءاً منها.

لذلك حرم الله - سبحانه وتعالى - زواج الإخوة في الرضاعة، لأن تكوينهم أصبح واحداً.. اللبن الذي تكونت منه أجهزة وعلايا الطفل.. هو الذي تكونت منه أجهزة وعلايا إخوته في الرضاعة، ولكننا الآن فقدنا هذا كله.

وأنا جالس في منزلي في حي الحسين.. أرى الموظفة في مديرية الأوقاف تخرج أولادها ثم تتركهم عند الجواب، أو في أحد المحلات المجاورة، لتذهب إلى عملها.. بالله عليك هل هذه تربية؟

وصدق شوقي - رحمه الله - حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبويه

من هم الحياة وخلفاءه ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقى له

أماً تخلت أو أباً مشغولاً

الأم الآن تخلت عن أولادها.. ثم يأتي من يحدثك عن عقوق الأبناء..

نقول له: قبل أن تحدثوا عن عقوق الأبناء اسألوا أنفسكم أين الحنان

الذي رآه الابن من أبويه، وماذا رأى من أمه؟

إنما تركته طوال اليوم في الشارع بلا رعاية ولا عناية، والمرأة التي تقول

أخرج للعمل.. معناه أماً قد تخلت عن أولادها، وعن مهمتها في البيت..

والمرأة التي تشكو أنها تعمل طوال النهار.. عندما تعود للمنزل تصبح جثة

هامدة.. لا تستطيع تحمل أي عمل آخر، وهي إما أن تكون أماً وربة بيت، أو

امرأة عاملة.

ولو تتبعنا أي امرأة تعمل.. نجد أنها تصر على ذلك في شبائها، فإذا كبرت

تطلب إجازة بنصف المرتب، أو تحاول التخلص من الوظيفة، ولكنها طالما

تسمع كلمات الإعجاب فإنها تصر على العمل..

وعموماً فإن أحداث الحياة ستضطر الناس اضطراراً أن يعودوا إلى الصواب

ويعرفوا أن مهمة المرأة الأولى في بيتها، وبين زوجها وأولادها، وأن العمل الذي

تقوم به في البيت، أهم مئات المرات من العمل الذي تقوم به خارج البيت.

وفي أمريكا تعقد النساء الأمريكيات مؤتمرات الآن للمطالبة بعودة المرأة

لبيتها وتربية أولادها..

لأن المجتمع هناك قد وصل إلى درجة من الشقاء بالنسبة للجيل الجديد من الشباب والشابات، تنذر بانقيار كل شيء، ولكننا هنا في مصر نقول:  
لا بد أن تعمل المرأة حتى تبني المجتمع..

أي مجتمع ذلك الذي يُبنى على خراب الأجيال القادمة وضياعتها!!  
أي بناء للمجتمع في إعداد الطعام في أوقات العمل!!



## فقه المرأة في حلق الشعر

س: هل يجوز للمرأة أن تحلق رأسها؟

ج: يحرم على النساء حلق رؤوسهن لقول عليّ عليه السلام:

«لحقى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها» (١). (رواه النسائي والترمذي).

وذلك لأن في حلق رأسها تشبهاً بالرجل، وخروجها عن طبيعة الأنثى، ونفور الرجل منها، وظهورها بمظهر رديء وهو حرام.

روى ابن عباس أن النبي ﷺ قال:

«لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال» (٢). (رواه الخمسة إلا مسلم).

ولكن إذا ما ظهرت في رأسها ما يحتم الحلق ككثرة الموام والحشرات أو ظهور تقرحات في جلدة الرأس فتلك ضرورة تبيح حلقها كما قال الإمام أحمد حينما سئل عن المرأة تعجز عن شعرها، وعن معالجته، أتأخذها؟

فقال لأي شيء تأخذها؟

قال: لا تقدر على الدهن وما يصلحه..

فقال: «إذا كان لضرورة فأرجو ألا يكون به بأس».



(١) حديث ضعيف: أخرجه الترمذي (٩١٤)، (٩١٥)، والنسائي (١٣٠/٨) انظر السلسلة

الضعيفة (٦٧٨).

(٢) سبق تقريره.

## حكم رؤية أقارب الزوج للزوجة

يمكننا إيجاز توضيح من لا يصح له رؤية المرأة بدون حجاب بأنه كل رجل أجنبي عنها كان يصح له الزواج بها.

وهذا لا يعني أن زواج المرأة يبيح لها التحلل من الحجاب أمام غير محارمها. ولكن يجب أن تلتزم بالحجاب من سن البلوغ..

ويظل الحجاب واجباً عليها حتى تصبح في سن لا يرجى زواجها، أو طلبها، ومن عمر عنهن القرآن بقوله تعالى:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٦٠].

ولا تظن المرأة أن الزواج يحصنها من أعين الرجال..

فمن لا يخاف الله ولا يخشاه، لا يختلف عنده الأمر..

ولا يفرق بين المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة.





## الرد على خصوم الإسلام

وأيضاً يدخلون علينا فيقولون:

إن الإسلام دين جاف جامد، يريد أن يجمد نصف المجتمع، وهي المرأة.

يقولون: إن المرأة ليس لها حركة في الحياة.

نقول لهم: أخطأتم، لأنكم لم تفهموا الإسلام.

وبأني بعد ذلك قوم ليدافعوا عن الإسلام، فيحاولوا أن يوجدوا في تصرفات

رسول الله ﷺ ما يبرر التصرفات التي توجد من المرأة الآن في العصور الحديثة.

فكلما خرجت المرأة لعمل أو شيء يقول هؤلاء:

نعم، لقد خرجت المرأة للجهاد، وكذا وكذا وكذا.. ولم يدعوا كل حدث

في مجالته وإطاره وضرورته.

يقولون: لقد خرجت المرأة للجهاد والحرب والحج، فكيف تتحمد في

العصر الحديث؟

نقول: يا أخي، كانت تمرض، وكانت تداوي الجرحى، وهذا نوع من

الاختناق في العمل له نظير عندنا، لأن الاختناقات، حينما تكون محبولة بشيء

من العقيدة التي تحول بين المرأة وبين مضاد الاختلاط فلا مانع وهل يظن

بالمخاريين وهم في المعركة سوء من ناحية المرأة؟

في الحج اختلطت المرأة بالرجل في الطواف وغيره.. وقد تطوف بجانيك

امرأة وأنت لا تدري..

قل لي بالله، الرجل الذي جلس طيلة حياته بعد لأن يحج ليكفر عن

خطاياها، أهو في هذه الحالة يفكر في امرأة أو في غيرها من الشهوات؟  
إن نفسه في هذا الموقف لا يمكن أن تفكر فيما يفكر فيه الرجل حين يجتمع  
مع امرأة في مكان ما.

وكذلك الاحتجاج بالحرب هذه الحرب فيها قتال، وفيها قتل، وفيها  
جرحى، وفيها فزع ورعب، ومع ذلك ظلت المرأة تؤدي واجبها فيها.. وهي  
تحاول جاهدة ألا تأخذ من الموقف أكثر من الضرورة فيه.

ألم تذهب صفية بنت عبد المطلب وتقتل الكافر الذي امتنع حسان بن  
ثابت عن قتله، فلما قتله قالت له: انزله فأسلبه، أي خذ سلبه، أي ما معه من  
الغنيمة، فوالله ما منعتني أن أسلبه إلا أنه رجل.

فلقد قتله وحين قتله فقد الحس والحركة، أما كان للقاتلة أن تنزل إليه  
وتأخذ ما معه، وانتهت المسألة، ولكنها مع ذلك تخرجت وأرسلت رجلاً ليأخذ  
سلبه، واستعملت الضرورة بقدرها، إنما نحن نريد أن نجعل من الضرورة بقدرها  
ضرورة بغير قدرها. هذا في القتال.

وفي غير القتال يقولون: والمرأة كانت تعمل كذا، وتعمل كذا، ويحددون  
أسماء بنت أبي بكر.. نقول تعمل ماذا؟

يقولون: كانت تخدم فرس زوجها، وتعلفه وتسقيه وكذا وكذا.

نقول: رأيتم كانت تعمل ماذا؟ وتعمل لمن ومع من؟!

إنما تعمل لزوجها، في رعاية آله.

فالمرأة تعمل مع زوجها، وتعمل مع أبيها ومع أخيها لأنه من محارمها، ألا  
تعمل ذلك مع بنات جنسها؟

إذن فالمرأة تعمل في حدود مجالها فقط.

وأعداء الإسلام أرادوا أن يستعْدُوا نساء الإسلام ضد الإسلام، وأن يجعلوا من المرأة سن حربة ليطنعوا بها كل مقومات الإسلام التي جاءت لتحفظ العرض على الناس جميعاً.

وقضية المرأة يجب أن تدرس في إطار من الواقع التكويني الخلقى..

قبل أن تدرس من الناحية الأخلاقية، فيجب أن نقارن بين وظيفة المرأة في الإسلام وبين لياقة تلك الوظيفة بالتكوين الخلقى لها.

وعلى هذا إذا أردنا أن نبحث المسألة بحثاً له أرضية من الواقع نقول:

المرأة نوع من جنس، أي أن هناك جنساً يجمعها هي والرجل، هو جنس الإنسان..

والإنسان كما نعلم في التعريف المنطقي «حيوان ناطق» وناطق يعني: مفكر. ومفكر يعني له آلة يختار بها من البديلات.

وحركة الحياة لا تتطلب عملاً واحداً يعمله النوعان من الجنس، ولكنها جعلت لكل نوع مجالاً من العمل، وإذا نظرنا إلى المتحرك وجدنا أنه هو الذي يقوم بالحركة، والحركة دائماً تحتاج إلى زمان، وإلى مكان، أي أن كل حركة لابد لها من ظرف تحدث فيه، والظرف إما زمان، وهو ظرف غير قار، يعني: ماض وحال ومستقبل، والمكان ظرف قار، يعني مكان ثابت، والحدث يحتاج إلى الظرف القار وغير القار.

وما دام الزمان والمكان ظرفين للحدث، والحدث لابد أن يكون من متحرك، ينفعل بالحدث..

إذن لا بد من ثلاثة أشياء: متحرك، وحركة والحركة تقتضي زماناً ومكاناً. ولو نظرنا إلى الزمن عندنا لوجدناه ينقسم بالعلامة إلى ليل ونهار.

وحين ينقسم الليل إلى جزئيات، والنهار إلى جزئيات، فجزئيات النهار يجمعها قاسم مشترك هو الضوء، وجزئيات الليل يجمعها قاسم مشترك هو الظلمة.. والضوء يريد الحركة، والظلام يريد السكون.

إذن فالمتحرك يحتاج إلى زمان، والزمان ينقسم إلى قسمين:

قسم يتحرك فيه الإنسان، وقسم يستريح فيه الإنسان من العمل، ولذلك جعله الله سَكَنًا.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [الأنعام: ٩٦].

والسكن لا يكون إلا عن حركة، فالليل سكن، والنهار حركة.

فكأننا نستريح في الليل الذي جعله الله للسكن، ليتمكن أن نستقبل النهار الذي جعله الله للحركة، والذي يعقب الليل. فما لم نسكن لا نستطيع أن نتحرك.

فإن فالسكون له مهمتان:

مهمة تريح من تعب حركة اليوم.. ومهمة تعين على حركة الغد.

فالذي يتحرك نهاراً، ولا يسكن ليلاً، لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك عملاً، والله تعالى هو خالق الإنسان، وخالق الزمان، وخالق المكان، هو الذي جعل الليل للسكن، وجعل النهار لتبغّي من فضله..

فهل خرج الليل من كونه ظرف زمان؟ وهل خرج النهار عن كونه ظرف زمان؟

إذن فهما زمان انقسم إلى قسمين، إلا أن لكل قسم منهما مهمة. فإذا

حاولت أن تدخل قسماً منهما في مهمة الآخر، فقد أفسدت نظام التكوين السماوي.

إذن ساعة يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ﴾ [النيل: ١-٢].

فيغشى يعني: يغطي الكون حتى يسكن الناس فيه.

وتجلى: يعني: ظهر والأشياء تصبح واضحة للناس، حتى يستطيعوا العمل فيها.

بأي بعد ذلك ويقول:

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۖ﴾ [النيل: ٣-٤].

يعني: لكل واحد مجال في سعيه، يعني: يا ذَكَرْ لك مهمة، ويا أنثى لك مهمة..

فإياك أيها الرجل أن تأخذ مهمة الأنثى، وإياك أيها الأنثى أن تأخذي مهمة الرجل..

وبينكما قدر مشترك، هذا القدر المشترك أن كلاكما إنسان مفكر، يعني له عقل يُخاير بين بديلات.

فإذا حاولت المرأة أن تأخذ خيار بديلات الرجل، أو حاول الرجل أن يأخذ خيار بديلات المرأة، نقول له: ستقف أمامك بنية الأشياء التكوينية.. ومعنى بنية الأشياء التكوينية: الطبيعية التي خُلِقَتْ عليها.

فهب أن المرأة أخذت عمل الرجل، أتمكن للرجل أن يأخذ عمل المرأة؟

لا يمكن، لأن للمرأة مهمة هي ألها وعاء للإنسان، تحمله، وتلدّه، وترضعه،

ونَحْضُنه، فهل يمكن للرجل أن يقوم بهذه المهمة؟ إذن البنية تقف.

فنقول: إذا أردت أن تسوي نفسك بالمرأة أو أرادت المرأة أن تسوي نفسها بالرجل، ظلت مسائل تكوينية طبيعية متوقعة بالمرأة.. إذن أنت صعبتها على المرأة.

وأيضًا إذا أردنا أن ندرس العملية التكوينية، نجد الرجل يتميز بالصرامة.. ومعنى الصرامة: أن طاقة العقل تتحكم في تصرفاته، وطاقة العاطفة تكاد تكون على قدرها فيه..

والمرأة ستعرض لمهمة تتطلب العاطفة قبل العقل والرجل سيتعرض لمهمة تتطلب العقل قبل العاطفة.

وهذا نلاحظه في حياتنا اليومية.. فالرجل المكدود حين يجيء ليروح ليلاً، ماذا يكون موقفه من المرأة حين يسمع طفله يبكي؟

هو حينئذ لا يرى إلا أن طفله يفسد عليه نومه، ويعكر عليه راحته، وربما انطلق بألفاظ يسب بها الطفل، ويسب أم الطفل ويقول لها: أخربي هذا الطفل لأنني أريد أن أستريح.

هذا هو منطق العقل، لأنه يريد أن يستيقظ في نشاط، ليقوم بعمله من أجل الطفل وأم الطفل.

فالرجل يريد أن يخرسه، أما المرأة فتذهب به بعيدًا لتهدده، وهذا هو منطق العاطفة، لأن الولد لا يستطيع ألا يبكي، ولا نستطيع نحن أن نقنعه ألا يبكي، لأننا لا نعلم ما الذي يبكيه ويؤلمه.

إذن فالطفل يريد رقابة حنان، وقسطًا من العاطفة، وهذه العاطفة تصعّدم

مع منطق العقل في الرجل.

وقد يأتي الولد الصغير، ثم تضطره الظروف أن يقضي حاجته وهو أمام الطعام، فماذا يكون الموقف؟

أبوه يغضب ويشتم ويسب، ولكن الأم تأخذه بعيداً، وتنظفه بيد، وتأكل بالأخرى.

إذن فطاقة الحنان في المرأة.. وطاقة العقل في الرجل.

إذن لا يصلح الرجل لأن يتسلط على الطفل في هذا الوقت.

ولذا قلنا: يجب على الناس أن يفهموا أحاديث الرسول ﷺ التي تقول:

«خلقت المرأة من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته»<sup>(١)</sup>. وكسره لا يكون إلا بالطلاق.

أي: إن أردتها معتدلة فلا تعاشرها.

وذلك لأن مهمتها حنان وعطف، فشبهها بالضلع والأضلع معوج، وأعوجاجه يجعله صالحاً لمهمته، فلو كان الضلع معتدلاً ما صلح لمهمته، لأنه خلق هكذا ليحمي قفص الصدر بما فيه من أعضاء لينة رقيقة.

إذن فعوجها لأنه مؤد لمهمته.

والناس يفهمون خلقتها من ضلع أعوج على أنه سية لها.. لا. هذا مناسب لمهمتها، التي خلقت من أجلها، لأن مهمتها حنانية، حملته في بطنها، وحاطته

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨)، وابن أبي شيبة (٢٧٦/٥)

في «مصنفه»، والبيهقي (٢٩٥/٧) في «سننه الكبرى»، والبخاري (٢٣٣٢) في «شرح السنة».

بخلافها وهو في بطنها، فإذا أردنا أن نزن عملها في تكوين الشيء نجد أنها أشقى من الرجل، لأنها تتعامل مع نوع لا يستطيع الإبانة عن آلامه..

وتلك مهمة صعبة، ومهمتها أطول مهمة في نشأة الأشياء.

مهمة المرأة إن أرادت أن تكون أمينة على مهمتها التي خلقها الله لها تحتاج إلى ضعف وقتها الذي تقضيه في هذه المهمة.

فالمرأة تتعامل مع الطفل، والإنسان في طفولته يعتبر المقياس الأعلى للطفولات في الكائن الحي.

فالأشياء تختلف في طفولتها، شيء طفولته ساعة، وشيء طفولته يوم، وشيء طفولته أسبوع، على قدر عمر الأشياء..

ومع ذلك فطفولة الإنسان السيد تتناسب مع سيادته. فأنه تعالى يقول:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ۖ ﴾ [البور: ٥٩].

إذن فالحد الذي يفرجني عن الطفولة هو أن أبلغ الحلم..

أي إذا كان عندي قدرة على أن أحب مثلي. إذن فالإنسان من الولادة إلى أن يبلغ هو طفل.

وتلك الطفولة في حاجة إلى حضانة، وهذه الحضانة نجدها في الأب والأم.. الأب حاضن في الخارج، والأم حاضنة في الداخل.

وإذا نظرنا إلى القيم التي تسيطر على نفس الإنسان بعد أن يكون شاباً فتياً ويعد أن يكون رجلاً، فكل هذه القيم تتكون عنده من أشياء تبدأ منذ تنفتح عنده وسائل الإدراك، فبمجرد أن يدرك تبدأ قضيته أن يتعلم..

يقول الله تعالى:



﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [الحل: ٧٨].

إذن، بمجرد أن يوجد سمع يوجد إدراك، وبمجرد أن يوجد بصر يوجد إدراك، وبمجرد ما يوجد عقل يوجد إدراك..

وما دام هكذا فمنذ أول وجود هذه المبركات يجب أن يتعلم.

ولكن لماذا طالّت طفولة الإنسان هكذا؟

لأن مهمته عالية، ولهذا تتطلب طفولة واسعة لأقضية كثيرة تتناسب مع مهمته في الحياة.. والأم هي سيدة هذه الفترة.. ويمكن أن تأتي له بحاضنة تصنع له متطلبات حياته، ولكننا لا نستطيع أن نضع في صدر أي حاضنة قلب أم.

إن قلب الأم له وظيفة أخرى.. فإذا نظرنا إلى المحاضن التي أنشأوها في الخارج، وجاءوا فيها بحاضنات، لم نجد لها تأتي بنتيجة إلا ما قرأناه في كتاب «الأطفال بلا أسره» لأن الطفل في فترة من الفترات يريد راعياً له وحده، وحاملاً له وحده، ومن يعتني به وحده، بدليل أننا إذا رأينا طفلاً ولد عقبه طفل آخر، فما يحدث من الطفل الأول ليس غريباً علينا.

فما بالك بحاضنة تشرف على عشرة أو عشرين.. هي طاقة موزعة على غير أبناء، من قلب غير قلب الأم.

إذن فالمرأة إذا أدت مهمتها على ما طلب منها فإن وقتها يضيق لها.

ومن الممكن أن تكون المرأة كل شيء في الوجود إذا أخلعت لمهمتها..

فالمرأة حين تأخذ جهد الرجل وعرقه، وتحاول أن تدبره تدبيراً يتسع لمتطلبات الحياة تستطيع أن تنمي، وتستطيع أن تتعلم وتعلم أبناءها ما يكفي

النفس عن مصروفات في غير طائلها، وتستطيع أن تجعل البيت مستقلاً ذاتياً في كل شيء.

فإذا كانت المرأة تريد أن تعمل فلتعمل في مملكة بيتها، وزيرة صحة، ووزيرة تعليم، ووزيرة مالية، وقاضية بين أولادها.

والإسلام حين طلب من المرأة أن تنفرغ لهذه المهمة فيجب ألا تعزل قضايا الإسلام بعضها عن البعض.

يقولون: حاجة العصر هي التي اضطرت المرأة للخروج إلى العمل..

نقول: إنك غيرت قضية من قضايا الإسلام. المرأة مطلوبة من زوجها ومن أبيها، ومن إخوتها، فحين تأخذ قضية المرأة، لا تعزل قضيتها في الإسلام عن باقي القضايا الإسلامية.

إذن لو وجدت امرأة ليس لها أحد من هؤلاء، أو لها من هؤلاء أحد، ولكنه عاجز، فالإسلام لا يحمدها أبداً.

لم يمنع المرأة في هذه الحالة من أن تضرب في الأرض الضرب المناسب لمهمتها، وأن تحتفظ أيضاً بكونها امرأة.

وقصة بنات شعيب في القرآن لم تترك عنصراً من عناصر احتياج المرأة إلا وجاءت به.

مما يدل على أن القرآن لا يعرض القصص للتسلية وقتل الوقت، بل لالتقاط العبرة.

قضية الإسلام: أن الرجل مسئول عن بناته، والرجل مسئول عن امرأته، وعن أمه، فالإسلام إذا أخذناه كلاً، فإننا لا نجد فجوة واحدة، فإذا وجدت

امرأة محتاجة، وليس لها من يقوم بها، فقد ضرب الله لنا المثل في قصة موسى فقال:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصة: ٢٣].

تذودان ماذا؟ تذودان الماشية. ومعنى تذودان أي: تمنعان الماشية أن تذهب إلى عين الماء.

المرأتان تمنعان الماشية أن تذهب إلى عين الماء لترد، فما الذي أخرجهما إلى مكان الماء إذن؟ هذا شيء يلفت النظر بحق.

إذن فقول موسى عليه السلام: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ سؤال طبيعي.. رأى حالة متناقضة، رأي امرأتين مع ماشيتهما نحو عين الماء، ثم منعاهما أن ترد الماء. وردت المرأتان:

﴿ لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ .

﴿ لَا نَسْقِي ﴾ إذا كان هناك جمع وحكى عنه قول، فهذا دليل على أن القضية مدروسة. هما قالتا. إن قالتا معاً فهذا دليل على أنها ليست قضية إرتجالية، إنما هي قضية مدروسة، فالجواب مدروس، وإن قالت واحدة وسكت الأخرى فهي موافقة سكوتية. والمعنى: قد استقر في ديننا وعرفنا أننا لا نسقي حتى يصدر الرعاء.

﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ ﴾ . كان هناك رجال يسقون. فلو أن الضرورة كانت تبيح للمرأة أن تختلط بالرجل في العمل لكان لهما ممر أن يختلطا

بالرجال عند الماء..

فالمرأتان أخذتا الضرورة بقدرها، خرجتا لأن أباهما شيخ كبير، هذه قضية بحيثيتها، لا تستقيان، حتى يصدر الرعاء. يعني أخذتا الضرورة بقدرها، بدون تزيد.

ليس معنى أن الضرورة أخرجتهما أن تحتكا بالرعاء، فهن وإن كن خرجن، فقد خرجن، فقد خرجن في إطار الحجاب أيضاً.

إذن ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ حثية الضرورة، و ﴿لَا تَسْقَىٰ لَهُمَا﴾ لا تسقى حتى يصدر الرعاء ﴿حَثِيَّةُ الزَّرْعَاءِ﴾ حثية الضرورة بقدرها بدون تزيد.

إذن فما هي مهمة المجتمع الإنساني أو الإيماني؟

تظهر مهمة المجتمع الإيماني أو الإسلامي في قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ .. مهمة المجتمع: أنه إذا رأى امرأة أخرجتها الضرورة إلى مجال، فعليه أن يؤدي لها العمل، لتعود إلى مكانها الطبيعي. هذه هي مهمة الإيمان، وقد جاء بما الإسلام إلينا من عهد موسى.

فالإسلام يعرض القضية لتستنبط منها الضرورة، ومجالات الضرورة، حتى لا نأخذ الضرورة بتزايدها، ونضيف إليها أشياء ليست من مجال الضرورة.

فالإسلام لم يقف جامداً عند وجود الضرورة التي تلجئ المرأة إلى الخروج لتعمل خارج بيتها، وحدد الضرورة في هذه القصة، في قوله تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وهي قضية ناضجة في أذهان النساء في ذلك العصر، وليست ارتجالية.

ثم تولى موسى إلى الظل، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ .

وهذا يدل على حاجة موسى، ولكنه قضى العمل حسبة لوجه الله، لأنه رأى امرأتين خرجتا، وهذا مناف للطبيعة.

وكون القرآن يعطينا الحكم منذ عهد موسى، لأنه العالم بعلمه المحيط، ويعلم أن أصحاب موسى هم الذين سيصنعون للمرأة حدود الانطلاق عندهم، ليكون ذلك أسوة لحدود الانطلاق عند غيرهم.

فجاء بها عن موسى، لأننا حين نرى ما يفد إلينا من صناعات اليهود وادعائهم تجميد المرأة على نظام الإسلام، نقول لهم: نبيكم هو الذي سقى لها ومعنى «سقى لها» أن هذه كانت مهمته.

وبعد ذلك نلثفت إلثفانة أخرى إلى أن المرأة من كرامتها أن تنهي هذه المهمة.

لم يجعل الله إلغاء القضية في القصة على يد رجل، لا على يد موسى، ولا على يد شعيب والد المرأتين. وإنما جاء بها عن طريق المرأتين.

فكان المرأة الكريمة على نفسها، الحريصة على وضعها العرضي، ووضعها الأدبي، في أي مجتمع، أن تحاول جاهدة أن تخرج من الضرورة حين تجد أول بصيص من الأمل يخرجها من الضرورة.

ونلاحظ ذلك في اللقطة الموجودة في الآية، في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿قَالَتِ احْدِثْهُمَا بِأَبْتِ اسْتَحْجِرَةَ﴾ [الفصل: ٢٦].

لو أن المرأة حلا لها أن تخرج من مكانها الطبيعي إلى الخارج، لما نهت أباهما إلى أن يستأجر الرجل ويحميها من الضرورة التي أخرجتها.

إذن فالمرأة الواعية هي التي تعشق النستر، وتعشق الاحتجاب، لأن ذلك هو

## كرامة المرأة.

ولذلك نلاحظ شوقي رحمه الله حين جاءت قضية السفور، على يد قاسم أمين، وحمل لواءها، وأراد أن يخرج المرأة إلى الشاب، وقف شوقي وقال قصيدته المشهورة . والجهلاء الذين سمعوا ظنوها تأييداً للسفور، وكانوا يستشهدون ببعض أبياتها.

صداح يا ملك الكمان      ويا أمير البلبل  
هي القصيدة، فمن أراد أن يراجعها فليراجعها، ليعلم أن كثيراً من الذين يسمون أنفسهم أدباء يستشهدون بأبيات منها يظنون أنها تأييد لقضية السفور.

فنقول لهم: أنتم لم تفهموا عن الرجل شيئاً، لأن الرجل تكلم كلاماً رمزياً، وجعل المسألة كأنه يخاطب عصفوراً في قفص.

والقفص الذي كان يعنيه قفص الحجاب للمرأة. والعصفور هو المرأة..

قال شوقي يخاطب هذا العصفور:

يا ليت شعري يا أسير      شج فؤادك أم حلي  
وحليف سهد أم تنام      الليل حتى ينجلي  
حرمي عليك هوى      ومن يحرز ثمنًا ينجلي





على الاعتقاد في ألوهيته إنما آمنت برب موسى ﷺ عدو فرعون:

﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَتَبَىٰ إِلَىٰ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١١].

إذن فأولى الخصائص التي تهم الدين هي حرية الاعتقاد، إن للمرأة أن تعتقد ما تشاء لأن هذا الاعتقاد سيلزمها بمنهج، فإن لم ترتبط بالعقيدة باختيارها يكون إقبالها على المنهج غير مأمون، إن أجبرت على اعتقاد فهي تُقبل على منهج ذلك الاعتقاد مُكرهة أي: تُقبل ما رآها القانون أو المُكره، لكن إذا خلّت إلى نفسها يمكن أن تتحلل من ذلك المنهج.

الصفة المشتركة بين الرجل والمرأة إذن هي حرية المعتقد، حرية تعقل الأشياء وحرية الحكم على الأشياء وحرية التفكير.

إن الحق سبحانه وتعالى يحكي لنا في كتابه العزيز قصة بلقيس ليوضح لنا أن المرأة لها الحق في أن تعمل عقلها تعقل الأمور وتشير وتستشير إنه يعطينا صورة من عقل المرأة ورجاحته.

لقد أرسل سليمان ﷺ كتابه (رسائله) إلى بلقيس وقومها مع الهدهد فماذا كان موقفها؟ قالت: ﴿ إِنَّمَا مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٠-٣١].

وقالت: ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢] فماذا قال لها حيشها؟ ﴿ فَالْوَأَخُنَّ أَؤْوُلُوا قَرْوَةً وَأُؤْوِلُوا بِنَاسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ [النمل: ٣٣].

أي أن هذه مسألة سياسية ونحن جيش قوي تأمرنا بالحرب فنحارب، ولكنك أنت التي تقدرين ماذا نعمل فماذا نصنع؟



قالت سأرسل إليه هدية فإن قبلها فهو طالب دنيا.

إذن المرأة (بلقيس) يمكنها أن تفكر التفكير السليم الذي تعرف به طبيعة سليمان عليه السلام. أهو ملك من الجبارين أم أن له مهمة أخرى؟

وأرسلت بلقيس الهدية فماذا كان من سليمان عليه السلام؟

لقد قال: ﴿ قَالَ أَتُمِدُّوْنَ بِمَالِ فَمَا ءَاتَيْنَاَ اللّٰهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بِلَ اَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ ﴾ [النمل: ٣٦].

فقالت بلقيس نذهب إليه إنه إنسان لا يريد المال إذن له دعوة ومنهج.

وقال سليمان: ﴿ اَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ اَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨]، وجاء العرش إلى آخر القصة.

وهنا ننظر إلى عقلية المرأة كيف استطاعت أن تقف الموقف الدقيق، وتعبّر التعبير الدبلوماسي ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ إن العرش عرشها، ولكنها مسألة غريبة في كونها تركت عرشها في بلادها وتأتي إلى بلاد سليمان عليه السلام لتجد عرشها أمامها فماذا تقول؟

لقد قالت ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾.

هذه إذن صورة من صور عقلية المرأة توضح أن المرأة المسلمة تستحق أن تتمتع بحرية التفكير والاعتقاد لأن لها عقلاً ولأن لها شخصيتها القائمة بهذا. ونحن نرى الحق سبحانه وتعالى أنه اصطفى بعض النساء مثل الرجال تماماً فقد اصطفى سبحانه وتعالى مريم عليها السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ اَلْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰٓكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفٰٓكِ عَلٰٓى نِسَاۗءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [آل عمران: ٤٢].

واصطفى أم موسى وكلفها بأشياء ففعلتها:

﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي الثَّأْبُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي آلِيَمٍ ﴾ [٣٩:٥].

فالمرأة إذن من كونها جنس محل للاعتقاد الحر ومحل لاستعمال عقلها في الأمور مثلها مثل الرجل، وهي محل لاصطفاء الحق ﷻ.

ومحل لأن يختصها الحق سبحانه وتعالى بشيء. لقد أعطى الإسلام المرأة حرية الاعتقاد والتفكير والاختيار.

ولكن يجب أن نفهم الحرية على وجهها الصحيح فالحرية ليست فوضى وإنما هي نظام.

إذا اعتقدت شيئاً فالحرية أن أنقيد منهج هذا الاعتقاد، فليست المسألة كلاماً يقال وإنما الحرية الحقيقية هي كلام مسئول يؤدي إلى نظام سليم وعمل صالح.

إن الحرية الحقيقية هي حرية نسبية فليست هناك في أي مجتمع من المجتمعات شيء اسمه (الحرية المطلقة) وليس هناك على الأرض إنسان يستطيع أن يقول أنا حرٌّ حرية مطلقة..

لا نقول له: أنت كاذب.. لأنك لا تستطيع أن تمارس حرية مطلقة دون أن تعتدي على حريات الآخرين، وهؤلاء الآخرون لن يتركوك تفعل ذلك.

نقول له: هل تستطيع أن تستمع إلى الراديو بعد منتصف الليل بصوت مرتفع دون أن تضايق الآخرين؟

أنت إن فعلت ذلك أعطيتهم الإذن لكي يفعلوا معك نفس الشيء ويضايقوك وأنت نائم بأصوات أجهزة الراديو التي عندهم، وساعتها لن تكون حرّاً في أن تنام وقتما تشاء.

ونقول له: هل تستطيع أن تدق شيئاً أو يصدر العمال الذين جلبتهم صوتاً أو ضوضاء؟

وهل يستطيع إذا دخلت أحد البنوك أو المحال التجارية وكان هناك صف من الناس يقفون أمام الموظف هل تستطيع أنت أن تذهب لتقف قبلهم لتكون أول الصف؟

ونقول له: هل تستطيع أن تترك سيارتك في وسط الطريق أو في مكان ممنوع الانتظار فيه؟

وهل يستطيع أن تتجاوز بسيارتك السرعة المسموح بها؟

وهل يستطيع أن غشي في الشارع بدون ملابس؟

وهل يستطيع أن ترتكب فعلاً فاضحاً أمام الناس؟

هل يستطيع أن تفعل أي شيء تريده في أي وقت تريده؟

كلا إنك لا تستطيع شيئاً من ذلك إلا إذا كنت تعيش في حيزرة خالية من الناس تعيش فيها وحدك.

إنك ما دمت تعيش في مجتمع ومعك ناس فلا بد أن تحترم حرياتكم لكي تضمن ألهم سوف يحترمون حريتك.

وهكذا الأمر بالنسبة للمرأة ليس لها أن تعتدي على حريات الآخرين ليس لها أن تفتنهم بمظهرها المثير ولا بصوتها الخاضع المتفنج ولا بثوبها الكاشف الواصف، ليس لها أن تلهب غرائز الرجال، لأن ذلك اعتداء على حريات الرجال في أن يمشوا في الطريق دون أن يقوم أحد بإثارتهم وإلهاب غرائزهم وإخراجهم عن هدوئهم وطبيعتهم.

إن حرية المرأة يجب أن تكون حرية طاهرة.. حرية إسلامية.

## فقہ المرأة في فهم مهمتها الأساسية

في قصة آدم عليه السلام يقول الحق سبحانه وتعالى لآدم وحواء يُحذَرُها من الشيطان قال عنه إنه ﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ إذن فالعداوة موجودة مسبقاً لأن إبليس رفض السجود لآدم كما أمره الله، يقول الحق سبحانه لآدم وحواء: ﴿فَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧].

هنا القرآن للاثنتين آدم وزوجه، وكان المفروض من الناحية الأسلوبية والخطابية أن يقول القرآن (فتشقى) لكن القرآن عبر التعبير السليم الموحى التعبير الذي يعطي كل واحد منهما مهمته ﴿فَتَشْقَى﴾ أي أن الشقاء لآدم وحده فكأن آدم خلقه الله سبحانه للكفاح ومواجهة صعوبات الحياة، أما حواء فقد خلقها الله سكناً لآدم.

إذن فآدم يتحرك ويعمل ويكدح ويكدح في الحياة ثم يأتي ليهذا عندها. إنها هي مصدر الحنان والعطف الذي يمسح يده على كل متاعبه لتزول، فيستأنف الحياة بعد ذلك بشيء من النشاط. والحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

إذن فالمهمة الأساسية للمرأة هي أن يسكن إليها الرجل، وكلمة (يسكن إليها) كلمة معبرة، فمعنى السكن إليها أن الرجل كان متحركاً يكدح ويعمل ويأتي ليسكن عندها.

وبد ذلك يحيى المهمة الثانية: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ .

وبعد ذلك يحيى البنون والحفدة. يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

إذن فمهمة المرأة هي أن يسكن إليها الرجل. وإذا قدرت المرأة هذه المهمة فإنها تجدها تسترعب كل وقتها، إنما تحب من أحله وتعد له ما يرتاح به من عناء العمل، فيأتي ليحد بيته ساكنًا وهادئًا ومستقرًا.

كل أموره منظمة ومرتبطة. بعد ذلك يأتي الأولاد والأحفاد وتستمر الحياة بهذه الطريقة التي سنّها الحق سبحانه وتعالى وأرادها منذ بدء الخلق.

إنّ عمل الرجل هو التعامل مع أجناس الحياة.

فإذا كان زارعًا فهو يتعامل مع الأرض وأدوات الزراعة ومتطلباتها وما إلى ذلك، أي أنه يتعامل مع أشياء، وهذه الأشياء كلها مخلوقة لخدمة الإنسان، لأن الإنسان هو أرقى وأرفع الأجناس كلها.

ومهمة المرأة هي التعامل مع ذلك الجنس الراقى وهو (الإنسان) كزوج، وكحنتين، كحنتين في بطنها وكوليد تحمله وتعطي له المثل والقيم وتربيه.

إذن فالرجل يتعامل مع الأشياء التي هي أقل من الإنسان أهمية، أما المرأة فتعاملها الأساسي هو مع الإنسان لذلك فمهمتها أعظم وأرقى من غيرها.

إننا حين ننظر إلى طفولات الحيوانات نجدها كلها قصيرة المدة وأطول طفولة هي الإنسان.

والطفولة هذه هي ميدان عمل المرأة فما دامت الطفولة زادت فإن المهمة تكون أعظم.

والحيوانات كلها مهمتها أقل من مهمة الإنسان، وطفولة الإنسان تتناسب مع مهمته في الحياة، ولأن مهمته عالية، فهو أرفع الأجناس على الأرض، لا بد أن تكون فترة تكوينه (طفولته) طويلة لكي يستطيع أن يمتلئ بالمبادئ والقيم والأشياء التي تعينه على مهمته في الحياة.

من الذي يتعامل مع الطفل؟ إنها المرأة.. فالرجل يخرج إلى عمله ويبقى الطفل مع أمه إلى أن يذهب إلى المدرسة في سن السادسة مثلاً..

وإلى سن السادسة يكون عقل الطفل فارغاً، والمثل والقيم تبدأ تملأ عقله فمن الذي يملؤه؟

إنها المرأة فالأم هي التي تكون مع الطفل فترة طويلة فإذا كانت الأم مشغولة بأي عمل من الأعمال فإنها ستركه لمن يرعاه خادمة مثلاً، والخادمة قد تكون أمينة ولكن لا يمكن أن يكون قلبها مثل قلب الأم.

قد تكون الخادمة أمّاً ونحتو على أطفالها وتعطف عليهم ولكنها مع أطفال غيرها. قد تعطف عليهم، ولكنها لن تصل أبداً إلى درجة عطف أمهم وحنانها.

لقد قرأت في أحد الكتب (أطفال بلا أسر) أنهم وجدوا أن نمو الطفل متخلف لأنه يتعامل مع مربية.

إن الطفل إذا كان في مجتمع من أبيه وأمه وإخوته المتفاوتين في الأعمار، ومع جدته وجدته، فإنه ينشأ أفضل من غيره، فالطفل الصغير يلتقط من كل جيل وهذا هو سر القرآن في أنه قال (بنين وحفدة).

الإنسان السويّ هو الذي سبق له في طفولته أن تعامل مع كل قطاعات الإنسان: الكبار والصغار ومتوسطي الأعمار، خاصة قطاع الرحمة والحنان الخاص: الأم.

إذن فالمرأة مهمتها هي التعاون مع أرقى الأجناس على الأرض وأرفعها وهو الإنسان فمهمة المرأة سكن للزوج، وبعد ذلك حاضنة للأطفال وهذا يعطيها أعلى منزلة ومكانة في الحياة لأن مهمتها هي أشرف مهمة في هذا الوجود.

ويجب أن تفخر المرأة وتعتز بمهمتها هذه كل الفخر وكل الاعتزاز.



## فقہ المرأة في معنى نقصان العقل

قال رسول الله ﷺ: «النساء ناقصات عقل ودين» .

وقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» .

هذان الحديثان يفهمان عند كثير من الناس على غير وجهيهما الذي أراده رسول الله ﷺ .

فالمنعني الصحيح للحديثين ليس إهانة المرأة والخط من شأنها والتقليل من مكانتها وليس اتهامها بنقص الدين والعقل وإنما على العكس من ذلك، يحث الحديثان على حسن معاملة المرأة والتوصية بما .

ويشرح الحديث الأول طبيعة المرأة التي خلقها عليها لمناسبة المهمة التي خلقها لها .

فالمرأة مخلوقة ضعيفة الجسم لأنها ليست مخلوقة للكدح والسعي في طلب الرزق بعكس الرجل .

والمرأة مخلوقة عاطفية تغلب عليها العاطفة، وهذا ليس عيباً بل ميزة تناسب مهمتها في الحياة .

إن قول رسول الله ﷺ: «ناقصات عقل ودين» معناه أن المرأة تفعل أشياء بعاطفتها قد يرفضها العقل وذلك راجع إلى أن العاطفة عند المرأة قوية جداً لمناسبة مهمتها في الحياة التي تستلزم منها أن تكون في غاية العطف والحنان مع



أطفالها وأيضاً مع زوجها.

أما مسألة الدين فالمرأة بحكم الطبيعة التي خلق الله تعالى جسمها عليها يحدث أن تمر عليها أيام في الدنيا لا تؤدي فيها صلاة ولا صياماً وليس هذا عيباً فيها.

فالمخالق الحكيم قد خلقها هكذا من أجل أن تستطيع أداء مهمتها.

إذن فحديث رسول الله ﷺ «فانقصت عقل ودين» هو في حقيقة الأمر شرح وتفسير لطبيعة المرأة وليس انتقاصاً منها أو ذمّاً في حقها وإلا ما كان رسول الله ﷺ قد أخذ برأي أن سلمة بنت أبي السرح في صلح الحديبية، وما كان قال عن الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما «خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء»<sup>(١)</sup> وقد كان وجهها رضي الله عنها يميل لونه إلى الاحمرار.

إن من يفهم الحديث السابق على أنه طعن في المرأة يكون قد أخطأ في الفهم إذ أن المقصود أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل من المرأة والرجل مهمة في الحياة، وتم خلق كل منهما ليناسب مهمته.

فالرجل مخلوق للسعي وراء الرزق وذلك يستدعي أن يكون عقله أقوى من عاطفته فهو يحتاج أن يُحكّم عقله وليس عاطفته، يستطيع تحصيل الرزق وتوفير متطلبات واحتياجات الأسرة.

أما المرأة فهي مخلوقة لكي تحنو وتربي ولأنها هي السكن، فلا بد أن تكون عاطفتها أقوى، لكي تستطيع أن تقوم بمهمتها خير قيام.

ومن تمام الخلق ورحمة الحق سبحانه أن يكون كل مخلوق مُيسراً لما خلق له

(١) حديث ضعيف: انظر فوائد المجموعة (٩٩) تذكرة الموضوعات (١٠٠) كشف الخفاء (٤٩٩/١).

« كُلُّ مُسَيَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ »

والمرأة في مهمتها محتاجة للكثير من الحنان والعطف والقليل من التفكير العقلي، لأن الأطفال الصغار يحتاجون إلى العطف والحنان أكثر مما يحتاجون إلى العقلانية.

ولأن العطف الزائد والعقل الزائد لا يجتمعان في أي إنسان، فالرجل عاطفته أقل من عقله لأنه لم يخلق لحضانة الأطفال.

إن المرأة هي التي تحنو وتمسح الشقاء والتعب عن زوجها وأولادها، وتمسح الدموع لتزرع مكانها الابتسامة والبشاشة وكل ذلك يتم بالعقل.

إذن فعاطفة المرأة أقوى من عقلها وليس معنى ذلك أن فكر المرأة وذكائها أقل من الرجل، ولكن العاطفة عندها سريعة وتسبق عمل العقل.

ومن المواقف المجيدة في تاريخ المرأة المسلمة الحدث العظيم الذي وقع يوم صلح الحديبية، ذلك أن المسلمين قد أحرّموا واتجهوا إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة ومعهم الهدى الذي سيذبحونه عند انتهاء العمرة والطواف بالبيت الحرام، وحدث أن تصدى الكفار لهم ومنعوه من دخول مكة ومن الطواف وانتهى الأمر إلى توقيع صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وكفار مكة وفيه تعهد الكفار بعدم التعرض للمسلمين ولا حلفائهم، ولا لنشر الدعوة الإسلامية، وكذلك لا يتعرض المسلمون لقريش ولا حلفائها ومن كان في حمايتها.

وكان ذلك أول تعهد من كفار مكة بألا يتعرضوا للمسلمين مما بعد مكسباً مهماً للدولة الإسلامية في ذلك الوقت لأن الدعوة الإسلامية وقتها كانت في حاجة إلى حرية الرأي والكلمة، وعدم التعرض للدعاة المسلمين بالقتل والتعذيب والأذى.

أما نشر الدين واعتناق الإسلام فإن الدين الإسلامي يملك من الأدلة والبراهين والمنطق والحجة والهدى ما يجعل كل من يستمع بصدق إلى تعاليمه يعتنقه. لكن المسلمين وقتها لم يفهموا ذلك وأخذهم الحمية الدينية بعد توقيع رسول الله ﷺ الصلح مع الكفار.

لأن الرسول ﷺ بعد التوقيع أمر المسلمين أن يذبحوا الهدى ويحلوا إحرامهم، ولكن المسلمين حينئذ كانت تدور في صدورهم ثورة من الغضب والحمية لأن الصلح قد منعهم من الطواف ببيت الله الحرام وثور الغضب هذه حجت عنهم أن يروا الحكمة في توقيع هذا الصلح وكيف أن الحق سبحانه قد جعل فيه إشارة لفتح مكة وانتصار المسلمين.

إذن فقد أغلق الغضب عقولهم ومنعهم من رؤية الحكمة في أن الحق الحكيم سبحانه منعهم من قتال كفار مكة لأن في مكة مسلمين يكتمون أمر إسلامهم، ويقون إيمانهم في صدورهم خوفاً من المشركين، فلو حدث القتال في ذلك الوقت لقتل المسلمون بعضهم بعضاً وهم لا يدرون وفي ذلك جاءت الآية الكريمة من سورة الفتح:

﴿ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَيْدَى مَعَكُمْ أَنْ يَتَّبِعَ حِلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَضَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٥].

وقول الحق سبحانه (لو تزيّلوا) معناه: لو كانوا معروفين أو مميزين أو يجمعهم مكان واحد بحيث يستطيع المسلمون تفاديهم عند نشوب القتال.

قول الحق سبحانه: ﴿أَنْ تَقْتُلُوهُمْ قَتَلْتُمْ مَنَّهُمْ مَعْرَةً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي تقتلوهم دون أن تعلموا أنهم مسلمون مثلكم ﴿قَتَلْتُمْ مَنَّهُمْ مَعْرَةً﴾ أي عار وعزّي لأنكم قتلتم مؤمنين وهذا لم يأذن العليم الحكيم سبحانه وتعالى بالقتال في ذلك اليوم.

بومها أمر الرسول ﷺ المسلمين بأن يذبحوا الهدي ويحلّوا إحرامهم، ولكن أحداً منهم لم يمثل للأمر فدخل رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها وهو شديد الغضب فقالت له مالك يا رسول الله؟ فلم يرد فكررتها عدة مرات حتى قال رسول الله ﷺ: «هلك المسلمون أمرهم بأن ينحروا ويحلّقوا فلم يفعلوا» فقالت أم سلمة: يا رسول الله لا تلمهم فإن داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح، يا نبي الله: اخرج، ولا تكلم أحداً منهم، وانحر هديك، واحلق رأسك، ففعل رسول الله ﷺ ذلك فقام المسلمون فنحروا وحلقوا.

إذن فقد أخذ رسول ﷺ أفضل الأنبياء وأعظمهم والذي يوحى إليه من السماء أخذ برأي امرأة (أم سلمة) في أمر من أصعب الأمور وأشقيا وأشدّها. فلو كان عقلها ناقصاً نقص ذكاء أو نفس استيعاب ما أخذ رسول الله ﷺ برأيها.

والعقل في اللغة: مأخوذ من العقال وهو مقود الجمل الذي يمنعه من أن يسير على غير هدى، بل يخضعه لمشيئة راكمه، والجمل لو تركناه على هواه بغير عقال جرى هنا وهناك كلما رأى غشياً انطلق إليه يمينا ويساراً فلا يصل أبداً إلى مقصد صاحبه الذي يريد أن يصل إليه.

إذن فمنهمة العقال أن يحكم حركة الجمل فيسير في الطريق السليم الموصل المنشود، فلو انحرف الجمل يساراً أو يمينا شد راكمه العقال، فيمشي الجمل في الطرق السليم.

هذه إذن مهمة العقل، العقل يعقل الأمور ويكبح شهوات النفس بحيث تسير في الطريق القويم.

وحياة الرجل وسعيه إلى الرزق يقتضي منه أن يُحكّم عقله في كل شيء ليرتب الأشياء وينظمها، فلو دخلت العاطفة في ذلك لأفسدته.

وقوامه الرجل على أسرته تستلزم منه أن يكون حكيماً في تصرفاته حتى لا يضيع الأسرة: «وكفي بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»<sup>(١)</sup>.

إذن لو كانت عاطفة الرجل أقوى لكانت تصرفاته كلها عاطفية وفسد البيت والأسرة والأولاد وكل شيء.

فالرجل مثلاً لو كان معه مال قليل يكفي بالكاد مصروفات البيت إلى غاية الشهر وجاءه أحد أولاده يطلب منه بعض المال فالرجل ساعتها لن يعطيه، لأنه يفكر بعقله ويعرف أن المال الذي معه إذا نقص منه شيء فلن يكفي المال الباقي مصروفات البيت وتحدث مشكلة ولو أصر الطفل على طلب المال ينهره أبوه وقد يضربه.

أما الأم فلو كانت مكان الأب وطلب منها ابنها أو بنتها شيئاً لأعطته غالباً دون أن تفكر ماذا ستفعل بقية الشهر وخاصة إذا بكى الطفل أمامها وإن لم يكن معها مال قد تقترض من إحدى جارقاتها لتعطي ابنها وقد تفكر في الاشتراك في «جمعية» إنها تتحايّل حتى تأتي لأولادها بالشيء الذي طلبوه.

إذن تندفع لكي ترضى أولادها، فقد تقترض دون أن تعرف كيف ومن أين ستقضي هذا الدين؟ أو كيف ستدفع أقساط الجمعية؟ المهم عندها أن ترضى

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٩٩٦)، أبو داود (١٦٩٢)، أحمد (١٦٠/٢).

أولادها. هذا هو أول الأولويات في حياتها.

إذن فتفكير المرأة خاضع لعاطفتها وليس لعقلها. وتكون النتيجة أنها لا ترتب الأشياء ترتيباً عقلياً منطقياً فتحدث المشاكل لها ولأسرتها.

ومن حكمة الشارع الحكيم سبحانه أنه جعل القوامة للرجل والحضانة للمرأة لكي يحدث استقرار في الأسرة وأيضاً لكي يحدث توازن في حياة الأسرة. فالأب يمثل العقل والمنطق والنظام، والأم تمثل العاطفة والحنان والابتسام.

وهما كفتان لازمتان للاتزان، وأفراد الأسرة جميعاً يفيدون من هذا التوازن. فالأب يفيد من عاطفة المرأة، والمرأة تفيد من عقل الرجل والأولاد هم الراجحون في النهاية، لأنهم قد استفادوا من عقل الأب وعاطفة الأم، فيشربوا متوازنين نفسياً وعقلياً، وأي اختلال في هذه المعاملة الإنسانية يؤثر دون شك على استقرار الأسرة.

إذن: فلماذا نأخذ القوامة هنا على أنها كُفْمُ لأنفاس المرأة؟

لماذا لا نأخذها على أنها سعي في مصالحهن؟ فالرجل مكلف بمهمة القيام على النساء، أي أن يقوم بأداء ما يصلح الأمر.

فوجه تفضيل الرجل أنه القادر على الكدح والتعب والضرب في الأرض والسعي على المعاش، حتى يكفل للمرأة سبل الحياة اللائقة عندما يقوم برعايتها. ويجب على المرأة أن تفرح بذلك، لأنه سبحانه أعطى المشقة والتعب للجنس المؤهل لذلك، لأن الكسب والسعي يحتاج إلى القوة والعزم والشدة. أما المرأة فقيها: الرقة والحنان والعطف والوداعة.

إذن: فقوامة الرجل جاءت لراحة النساء ومنعت عنهن المتاعب، فلماذا تحزن المرأة منها؟

والحق سبحانه يعطينا حثية هذه القوامة، فيقول: ﴿يَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. فالحق فضل الرجل وميزه بالقوامة على المرأة بصفات الرجل الخلقية التي جعلت للرجل حق القوامة على المرأة ورعايتها والقيام بمصالحها.

وكذلك كانت له القوامة بالمال، والمال يأتي نتيجة الحركة ونتيجة التعب. والمتمول هو الذي يتحرك في الحياة حركة قد تكون لنفسه، وإن اتسعت حركته ستكون لأبنائه، وإن اتسعت أكثر فستكون لأحفاده. فمال الرجل سواء كان آبا أو زوجا ليس له وحده ولكنه له ولمن يعولهم من نساء وأولاد، أما مال المرأة فلها وحدها، ورغم هذا فالرجل مطالب بالإتفاق عليها، فهي تصرف أو تنفق من دخلها على نفسها.



## الرد على من تزعم أنها حرة

على الفتاة التي تزعم أن الدين يحجر عليها في لباسها وفي زينتها وفي حياتها أن تعلم جيدًا أنه كيف أراد الدين أن يؤمن شيخوختها في الهرم وعند سن اليأس إذ أن أول صدمة تقع في كيان المرأة عند سن اليأس عندما تنقطع عنها الدورة الشهرية، وفي هذه الأوقات الحرجة لما تذوي نضارة المرأة يخبو جمالها نراها محتاجة إلى عطف زوجها وحنانه وبره. وهي ضعيفة مسكينة، كثيرة التفكير في المصير المولم من ناحية أخرى لأنها لم تعد تشبع غرائز الزوج.

فعلى الفتاة أن تعلم أن الإسلام إنما أراد أن يؤمن هذه الشيخوخة الذابلة المنهكة وأن يدفع إليها البشر والتفاؤل والإيمان.

فعلى هذه الفتاة أن تعلم أنها لن تظل جميلة طوال عمرها ولا فائنة ساحرة مدى حياتها... فإذا ما ذهبت تلك الزهرة بتقدم العمر وانمحت نضارتها واعتصرت محاسنها... ولم تعد تصلح لإثارة غرائز الزوج وهي ليست في مستوى الإهاجة ونزل إلى الشارع فرأى فتاة في غير عمرها، وفي كامل زينتها ورونقها جرت شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع وما يراه في البيت وبين هذا وذاك تتكالب عليه الهموم والحسرات، ولا تعتقد أن هذه المقارنة ستستر أي امرأة.

فنظرة الرجل في الشارع إلى حسن ظاهر ساحر مبتذل تبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته، لو لم ير في الشارع لما التهب مشاعره، ولا تنبهت غرائزه، من هنا تنحل الأسرة الزوجية، وتفكك المودة العائلية.



فاعلمي أيتها الفتاة أن الذي منعك منع من أجلك، والذي منع؛ منع ليحافظ عليك.

ويقول الشيخ الشعراوي: فبمقدار ما أغوت امرأة رجلاً بمقدار ما زهد فيها رجال، وبمقدار ما رغب فيها أناس بمقدار ما رغب عنها أكثر منهم، وبمقدار ما استمالت نفوس فإن الله يذل آخرتها في الدنيا، بأن ينصرف الكل عنها انصرافاً مزرئياً محتقراً. والذي كان يتمنى أن يحظى بنظرة واحدة لو رآها لبصق عليها.





## الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم .....	٥
المرأة قبل الإسلام .....	٨
المرأة بعد الإسلام .....	١١
فقه وحكم تعلم النساء .....	١٥
قراءة القرآن الكريم للحائض .....	١٧
مس المصحف في الحيض .....	١٨
كفارة الوطء في الحيض .....	٢٢
تحريم الوطء في الدبر .....	٢٤
تطهير الثوب من دم الحيض .....	٢٥
الإعجاز الطبي في الحيض .....	٢٦
نظر الحائض إلى المصحف الشريف .....	٢٨
فقه وحكمة الاعتزال في الحيض .....	٢٩
حكم الوضوء ومس المرأة .....	٣٦
عورة المرأة في الصلاة .....	٣٧

٣٨	حكم الآذان للنساء.....
٣٩	فقہ المرأة المسلمة في الحجاب .....
٥٠	شروط وأحكام الحجاب .....
٥٨	فقہ المرأة في النقاب .....
٦٠	فقہ وأحكام عورة المرأة .....
٦١	فقہ المسلمة في الغسل .....
٦١	تفصيل الزوج زوجته بعد الوفاة .....
٦٢	حكم ترك المرأة للصلاة .....
٦٣	حكم صلاة الجمعة للنساء.....
٦٤	فقہ المرأة في الزكاة .....
٦٥	فقہ المرأة في الحج .....
٦٦	فقہ المرأة في أحكام وشروط الزواج والخطبة .....
٦٨	صفات الزوجة المسلمة.....
٧٣	المرأة الصالحة متاع الدنيا والآخرة.....
٧٧	فقہ وحكمة الزواج.....
٨٤	فقہ المرأة المسلمة في المهر .....
١٠٢	حكم خلع الحجاب ليلة الزفاف .....

- ١٠٣ ..... حكم تعطر النساء
- ١٠٤ ..... حكم صبغ الشعر تزيئًا للزوج
- ١٠٥ ..... حكم العقيم والزواج
- ١٠٧ ..... أسر سعيدة بلا أولاد
- ١٠٨ ..... حكم منع الذرية بالتعقيم
- ١٠٩ ..... من أحكام الزواج: «طفل الأنابيب»
- ١١١ ..... حكم خيانة الزوج على الرابطة الزوجية
- ١١٢ ..... حكم ارتكاب المحصنة الزنى
- ١١٣ ..... حكم تفكر الزوجة في غير زوجها
- ١١٤ ..... فقه المرأة في الزواج العرفي
- ١١٥ ..... الهبة في الزواج
- ١١٦ ..... فقه المسلمة في النهي عن الزواج من الكافرين
- ١٢٥ ..... اشتراط الإعلام في الزواج
- ١٢٦ ..... الحكمة في الزواج من الكتائيات
- ١٢٩ ..... حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ
- ١٣٤ ..... فقه المرأة المسلمة في الطلاق
- ١٣٧ ..... الإصلاح قبل الطلاق

- ١٤٢ ..... فقه المرأة في الطلاق قبل الدخول
- ١٥١ ..... حكم ذهاب المرأة للكوافر
- ١٥٢ ..... فقه المرأة المسلمة في الطلاق ثلاثاً
- ١٥٤ ..... حكمة توزيع الطلاق ثلاثاً
- ١٥٥ ..... فقه المرأة في حكم المتعة للمطلقة
- ١٥٦ ..... فقه المرأة وأحكام الظهار
- ١٦٠ ..... فقه المرأة المسلمة في الإيلاء
- ١٦٢ ..... فقه وحكم إيلاء الزوج من زوجته
- ١٦٧ ..... فقه المرأة في أحكام العدة
- ١٧٠ ..... فقه المرأة في عدة الحامل
- ١٧١ ..... عدة المتوفى عنها زوجها
- ١٧٤ ..... عدة البائس والصغيرة
- ١٧٥ ..... العدة والوفاء للزوج
- ١٨٠ ..... حكم الخطبة في زمن العدة
- ١٨٥ ..... الحكمة من عدة المرأة المتوفى عنها زوجها
- ١٩١ ..... فقه المرأة في الخُلَع
- ١٩٣ ..... النهي عن المحلل الزور

١٩٥	فقہ المرأة في ملك اليمين
١٩٩	الطلاق الرجعي وحكم إمساك الزوجة للرجعة
٢٠٠	فقہ اللعان بين الزوجين
٢٠١	فقہ المرأة المسلمة في الميراث
٢٠٩	فقہ المرأة المسلمة في الشهادات
٢١٤	فقہ المرأة المسلمة في الحكم بالضرب
٢١٧	فقہ المرأة في أحكام المولود
٢٢٣	فقہ المرأة في وسائل منع الحمل
٢٢٤	فقہ المرأة المسلمة في الرضاعة
٢٢٧	حكم نشوز المرأة
٢٢٩	فقہ المرأة عند نشوز الزوج
٢٣٠	علاج القرآن لنشوز الزوج
٢٤٣	فقہ المرأة المسلمة في الجهاد
٢٤٤	من أحكام الزينة في الحواجب
٢٤٥	من أحكام الزينة في الأظفار
٢٤٦	حكم صوت المرأة
	حكم زينة المرأة في الشعر

٢٤٨	حكم الاختلاط في الإسلام
٢٥٠	حكم العلاج عند الطبيب
٢٥٢	حكم الإنجاب عن طريق طفل الأنابيب
٢٥٣	حكم إجراء النساء جراحة التجميل
٢٥٦	حكم تقديم الزوجين الأشربة المحرمة للضيوف
٢٥٧	حكم عمل المرأة سكرتيرة للرجل
٢٥٨	حكم ذكرى الأربعين على الميت
٢٥٩	فقہ وحكم عمل المرأة
٢٧١	فقہ المرأة في حلق الشعر
٢٧٢	حكم رؤية أقارب الزوج للزوجة
٢٧٣	الرد على خصوم الإسلام
٢٨٧	فقہ المرأة في فهم معنى الحرية
٢٩٢	فقہ المرأة في فهم مهمتها الأساسية
٢٩٦	فقہ المرأة في معنى نقصان العقل
٣٠٤	الرد على من تزعم أنها حرة
٣٠٧	الفهرس

